أنا محمد وأنا أحمد...

ﷺ

الجزء الثاني

تأليف

سماحة الإمام العلامة

صلاح الدين النجاني الحسني

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِۚ ﴾

{الحجرات : ٧}

صلة الرحم

قال الله تعالى آمراً لنبيه ﷺ : ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِى ٱلۡقُرۡبَىٰ ۗ ﴾ {الشورى : ٢٣} . وورد في الخبر في إثبات النسب بيننا وبين الله تعالى ؛ أن رسول اللهِ ﷺ قَالَ : « **إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَمَرَ اللهُ مُنَادِيًا يُنَادِي : أَلا إِنِّي جَعَلْتُ نَسَبًا ، وَجَعَلْتُمْ نَسَبًا ، فَجَعَلْتُ أَكْرَمَكُمْ أَتْقَاكُمْ ، فَأَبَيْتُمْ إِلا أَنْ تَقُولُوا : فُلانُ بن فُلانٍ خَيْرٌ مِنْ فُلانِ بن فُلانٍ ، فَأَنَا الْيَوْمَ أَرْفَعُ نَسَبِي ، وَأَضَعُ نَسَبَكُمْ ، أَيْنَ الْمُتَّقُونَ ؟** » (١) . والمتقون : هم الذين جعلوا نفوسهم وقاية ، يحمون بها جانب الله تعالى .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾ {الحجرات : ١٣} . أتقاكم : أي أشدكم وقاية ، لأنه جاء في باب أفعل . فالمدار على صحة النسب الإلهي ، فإذا صح النسب ؛ لم تبق غربة في حق من صح نسبه ، ولا يصح النسب حتى يقع التناسب في الصفة . فإذا كان العبد أحديَّ الذّات في شأنه ، معروفاً عند الله ، مجهولاً في العالم ، لا يُعرف نسبه ، ولا ينال منصبه

١- رواه الحاكم وصححه والطبراني في الكبير والصغير والبيهقي في الشعب والحارث في مسنده عن أبي هريرة ﷺ .

يُسأل الله به ، ويُلجأ إليه عند الاضطرار من غير تعيين ولا تمييز ، وهو الذي يُدعى به إذا جاءت الشدائد ؛ فيقول صاحبها : اللهمّ بحرمة الصالحين عندك افعل لي كذا وكذا . فهو المجهول المعين ، ولم يتولد عنه أمر يوجب تمييزه عند الأجانب من الأجانب ، ولم يُدَلَّ عليه ، لأنه لا يُدَلُّ عليه حتى يكون مطلوباً ، والذي لا يُؤبه له ، لا يُطلب .

ثم يكون على حالة ؛ لا يزنه فيها من خلق الله ؛ إلا من له هذا المقام . فإذا كان بمثل هذه الصفات ؛ صح النسب .

ورد في الخبر أن المشركين قالوا لسيدنا محمد ﷺ : انْسُبْ لَنَا رَبَّكَ ، فَأَنْزَلَ اللهُ : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ {الإخلاص : (١ – ٤)} (١) :

نَسَبُ اللهِ قُلْ هُـــوَ اللهُ	فَانْظُرُوا فِيهِ تَعْرِفُوا مَا هُو
أَحَدِيٌّ لِذَاتِهِ صَمَـــــدٌ	لَيْسَ يَدْرِي مَا هُوَ إِلَّا هُو
هُوَ عَيْنُ الوُجُودِ فَهْوَ حَسْبِي	وَكَثِيرٌ فَلَيْسَ إِلَّا هُـــو
فَانْظُرُوا الحَقَّ فِي تَنَاقُضِ مَا	قُلْتُهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُـــو

١- رواه الترمذي وأحمد والبخاري في التاريخ والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب وابن بشران في أماليه وابن خزيمة والدارمي وابن أبي عاصم في السنة والدولابي في الكنى والشاشي عن أبي بن كعب ﷺ . والطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب عن جابر بن عبد الله ﷺ .

فحضرته لا تحمل الغرباء ، لأنه وَاصلٌ للرحم ، فهو أرحم الرحماء ، فقرابته مجهولة ، والجاهلون بها منهم أنزلهم جهلهم منزلة الغرباء ، الذين لا نسب بينهم وبينه ، وهو سبحانه ما يعامل عبده إلا بما جاء به العبد ، لا يزيد عليه ، وهو قوله : ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ {فصلت : ٢٣} . فهو تعالى لهم في اعتقادهم جار جنب ، فهم قطعوا رحمهم ، فقطعهم الله . فما أشرف العلم بالأنساب ! . فكم بين رجل يأتي يوم القيامة عارفاً بنسبه ، مُدِلًّا بقرابته ، متوسلاً إلى الرحمن برحمه ، وبين من يأتي جاهلاً بهذا كله ، يعتقد الأجنبية ، وبُعد المناسبة ؟

قال رسول الله ﷺ : ﴿ **صِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ** ﴾ (١) .

وشرح لنا رسول الله ﷺ ماهية الرحم المقصودة . وأنها هي الصلة به ﷺ حيث قال : ﴿ **وَإِنَّ الْأَنْسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَنْقَطِعُ ، غَيْرَ نَسَبِي وَسَبَبِي وَصِهْرِي** ﴾ (٢) . فصلة الرحم هي الصلة به ﷺ .

١- رواه الطبراني في الكبير عن أبي أمامة رضي الله عنه . والبيهقي في الشعب والحارث عن أبي سعيد رضي الله عنه . والشهاب القضاعي في مسنده وابن شاهين في الترغيب عن ابن مسعود رضي الله عنه . والشهاب القضاعي في مسنده عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضي الله عنهم . وابن زنجويه عن زيد بن أسلم عن أبيه رضي الله عنهما . وابن المقرئ في معجمه وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما .

٢- رواه أحمد والحاكم وصححه والبيهقي في سننه عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه .

وشرح لنا رسول الله ﷺ ما هو المقصود بالسبب والنسب . حيث قال :

- ﴿ سَلْمَانُ منَّا أَهْلَ البَيْت ﴾ (١) . فليس المقصود به القرابة الدنيوية ، فسلمان رضي الله عنه ، فارسيٌ ، وأدخله رسول الله ﷺ في زمرة أهل بيته .
- وقال في سيدنا الحسين رضي الله عنه : ﴿ حُسَيْنٌ مِنِّي ، وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ ﴾ (٢) .
- وقال لسيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : ﴿ أَنْتَ مِنِّي ، وَأَنَا مِنْكَ ﴾ (٣) .
- وقال ﷺ للسيدة فاطمة ولسيدنا علي ، مجتمعين ، ليلة عرسهما : ﴿ اللَّهُمَّ إِنَّهُمَا مِنِّي ، وَأَنَا مِنْهُمَا ﴾ (٤) .

١- رواه الحاكم عن مصعب بن عبد الله رضي الله عنه . والحاكم والطبراني في الكبير والبيهقي في الدلائل وأبو نعيم في المعرفة وفي أخبار أصبهان وابن سعد في طبقاته والطبري في تاريخه وابن عساكر في تاريخه عن كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده رضي الله عنه . والبيهقي في الدلائل عن موسى بن عقبة رضي الله عنه .

٢- رواه الترمذي (وحسنه) وابن ماجة وأحمد وابن أبي شيبة والحاكم (وصححه ووافقه الذهبي) والطبراني وابن حبان وأبو نعيم في المعرفة والبخاري في الأدب عن يعلى العامري رضي الله عنه .

٣- رواه البخاري في صحيحه والترمذي والبيهقي في الدلائل عن البراء بن عازب رضي الله عنه . والترمذي (وحسنه) وأحمد وابن أبي شيبة والحاكم وصححه وأبو يعلى عن عمران بن حصين رضي الله عنه . وأحمد عن بريدة رضي الله عنه . وابن أبي شيبة والبيهقي في السنن والبزار عن الإمام علي كرم الله وجهه . وعبد الرزاق عن قتادة رضي الله عنه . والنسائي عن أسامة بن زيد رضي الله عنه .

٤- رواه الطبراني في الكبير والآجري في الشريعة عن ابن عباس رضي الله عنهما .

- وقال ﷺ لأبي أمامة الباهلي رضي الله عنه : ﴿ **يَا أَبَا أُمَامَةَ أَنْتَ مِنِّي ، وَأَنَا مِنْكَ** ﴾ (١) .
- ولم يقتصر هذا الأمر على الرجال دون النساء ، حيث قال ﷺ لدرة بنت أبي لهب رضي الله عنها : ﴿ **أَنْتِ مِنِّي ، وَأَنَا مِنْكِ** ﴾ (٢) .
- ولم يقتصر على هذا وإنما قالها ﷺ لحي كامل من الأشعريين (٣) .
- ثم عممها رسول الله ﷺ ، حيث قال فيما رُوي عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ تِسْعَةٌ : خَمْسَةٌ وَأَرْبَعَةٌ ؛ أَحَدُ الْعَدَدَيْنِ مِنْ الْعَرَبِ وَالآخَرُ مِنْ الْعَجَمِ ، فَقَالَ : ﴿ **اسْمَعُوا ، هَلْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ سَيَكُونُ بَعْدِي أُمَرَاءُ ؟ . فَمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ ، فَصَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ ، فَلَيْسَ مِنِّي ، وَلَسْتُ مِنْهُ ، وَلَيْسَ بِوَارِدٍ عَلَيَّ الحوْضَ ، وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ ، وَلَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ ، فَهُوَ مِنِّي ، وَأَنَا مِنْهُ ، وَهُوَ وَارِدٌ عَلَيَّ الحوْضَ** ﴾ (٤) .

١- رواه ابن مردويه وابن عساكر وابن حجر في الإصابة عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه .

٢- رواه أحمد في مسنده عن درة بنت أبي لهب رضي الله عنها .

٣- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والبيهقي في السنن والنسائي وابن أبي عاصم وأبو عوانة وأبو يعلى عن أبي موسى رضي الله عنه .

٤- رواه الترمذي وصححه والنسائي وأحمد وابن أبي شيبة والبيهقي وابن أبي عاصم والحاكم وصححه والطبراني . ورواه أحمد عن أبي سعيد رضي الله عنه وأحمد عن النعمان بن بشير رضي الله عنه .

- ولما قتل الإمام عليٌ كرم الله وجهه أصحاب الألوية ، قال جبريل عليه السلام : يا رسول الله إن هذه لهي المواساة . فقال النبي ﷺ : ﴿**إِنَّهُ مِنِّي ، وَأَنَا مِنْهُ**﴾ . قال جبريل عليه السلام : (**وَأَنَا مِنْكُمَا يَا رَسُولَ الله**) (١) . فسيدنا جبريل عليه السلام يطمع أن يدخل في هذه النسبة ! .

فقول رسول الله ﷺ : (مني ، وأنا منه) يمكن تقسيمه لجزئين :

- **(مني)** : أي رجع بقطرة وجوده إلى بحري ، فأفنى وجوده في وجودي .
- **(وأنا منه)** : يعني أنه لما فني في ، كنت أنا عوضا عنه ، فكنت أنا القائم به ، فظهرتُ فيه نيابة عنه . فمن رآه ، فقد رآه ﷺ ، ومن هنا كان : ﴿**النَّظَرُ إلى عَلِيٍّ عِبَادَةٌ**﴾ (٢) . وفي رواية : ﴿**النَّظَرُ إلى وَجْهِ**

١- رواه الطبراني في الكبير (وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : فيه حبان بن علي وهو ضعيف ووثقه ابن معين في رواية ومحمد بن عبيد الله بن أبي رافع ضعيف عند الجمهور ووثقه ابن حبان) ورواه ابن حنبل في الفضائل والطبري في الرياض وفي الذخائر عن أبي رافع رضي الله عنه .

٢- رواه الحاكم وصححه وأبو نعيم في المعرفة عن عمران بن حصين رضي الله عنه . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد رواية عن الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه . وفي رواية أخرى للطبراني في الكبير وأبي نعيم في المعرفة عن أَبِي نُجَيْدٍ عِمْرَانَ بن خَالِدِ بن طَلِيقٍ الضَّرِيرُ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، قَالَ : رَأَيْتُ عِمْرَانَ بن حُصَيْنٍ يُحِدُّ النَّظَرَ إِلَى عَلِيٍّ فَقِيلَ لَهُ ، فَقَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ ، يَقُولُ : ﴿**النَّظَرُ إِلَى عَلِيٍّ عِبَادَةٌ**﴾ . وقال محمد بن جعفر الكتاني في نظم المتناثر : {حديث : ﴿**النَّظَرُ إِلَى عَلِيٍّ عِبَادَةٌ**﴾ ورد من رواية أحد عشر صحابيا بعدة طرق قال السيوطي في التعقبات : وتلك عدة التواتر في رأي جماعة} اهـ .

عَلِيِّ عِبَادَةٌ﴾ (١) . ومن رآه ﷺ ، فقد رأى الحق (٢) كما صحت لدينا الأخبار .

فقول رسول الله ﷺ : ﴿صِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ﴾ (٣) . يعني عندنا أن :

- صلة الرحم هي الصلة به ﷺ .
- والصلة به ﷺ هي الصلاة عليه ﷺ .
- والصلاة عليه ﷺ هي معرفته ﷺ .
- ومعرفته ﷺ هي الفناء فيه .
- فإذا فنيت فيه ، لم تكن أنت .
- وكان هو القائم بك ، فيك ، عنك .
- فكنت قائما بقيوميته فيك .
- وكنت معه ﷺ في أوليته وآخريته ! .
- وهو ﷺ لا أول له ولا آخر بالزمان ، وإنما هي أحكام .

١- رواه الحاكم والطبراني وابن شاهين وأبو نعيم وابن عساكر عن ابن مسعود ﷺ . وابن عساكر عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها . والخطيب في تاريخ بغداد عن أبي هريرة ﷺ .

٢- حديث : ﴿مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَأَى الحَقَّ﴾ رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وابن عساكر والتبريزي عن أبي قتادة ﷺ . ورواه البخاري والخطيب عن أبي سعيد الخدري ﷺ .

٣- سبق تخريجه .

أهل البيت

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ {الأحزاب : ٣٣} . لما كان رسول الله ﷺ عبدا محضا ، قد طهره الله وأهل بيته تطهيرا ، وأذهب عنهم الرجس ، وهو كل ما يشينهم ، فإن الرجس هو القذر عند العرب . فلا يضاف إليهم إلا مطهر ولا بد ، فإن المضاف إليهم هو الذي يشبههم ، فما يضيفون لأنفسهم إلا من له حكم الطهارة والتقديس ، فهذه شهادة من النبي ﷺ لسلمان الفارسي رضي الله عنه بالطهارة ، والحفظ الإلهي ، والعصمة ، حيث قال فيه رسول الله ﷺ : ﴿ **سَلْمانُ منَّا أهْلَ البَيْت** ﴾ (١) . وشهد الله لهم بالتطهير ، وذهاب الرجس عنهم .

وإذا كان لا ينضاف إليهم إلا مطهر مقدس ، وحصلت له العناية الإلهية بمجرد الإضافة ، فما ظنك بأهل البيت في نفوسهم ؟ . فهم المطهرون ،

١- رواه الحاكم عن مصعب بن عبد الله رضي الله عنه . والحاكم والطبراني في الكبير والبيهقي في الدلائل وأبو نعيم في المعرفة وفي أخبار أصبهان وابن سعد في طبقاته والطبري في تاريخه وابن عساكر في تاريخه عن كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده رضي الله عنه . والبيهقي في الدلائل عن موسى بن عقبة رضي الله عنه .

بل هم عين الطهارة ، فهذه الآية تدل على أن الله قد أشرك أهل البيت ، مع رسول الله ﷺ في قوله تعالى : ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ {الفتح : ٢} . ودخل الشرفاء أولاد السيدة فاطمة كلهم ، ومن هو من أهل البيت ، مثل سلمان الفارسي ، وكذلك موالي أهل البيت لقول النبي ﷺ : ﴿ مَوْلَى الْقَوْمِ مِنْهُمْ ﴾ (١) .

فدخل كل هؤلاء ، إلى يوم القيامة ، في حكم هذه الآية من الغفران ، فهم المطهرون اختصاصاً من الله ، وعناية بهم ، لشرف سيدنا محمد ﷺ ، وعناية الله به . ولا يظهر حكم هذا الشرف لأهل البيت إلا في الدار الآخرة ، فإنهم يحشرون مغفورا لهم ، وأما في الدنيا ؛ فمن أتى منهم حدا أقيم عليه ، كالتائب إذا بلغ الحاكم أمره – وقد زنى أو سرق أو شرب – أقيم عليه الحد ، مع تحقق المغفرة ، كماعز رضي الله عنه وأمثاله ، ولا يجوز ذمُّه .

وينبغي لكل مسلم ، مؤمن بالله وبما أنزله ، أن يصدق الله تعالى في قوله : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾

١- روى أبو رافع رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ اسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ عَلَى الصَّدَقَةِ ، فَأَرَادَ أَبُو رَافِعٍ أَنْ يَتْبَعَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿ إِنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَحِلُّ لَنَا ، وَإِنَّ مَوْلَى الْقَوْمِ مِنْهُمْ ﴾ . رواه بهذا اللفظ النسائي وأبو يعلى والروياني عن أبي رافع رضي الله عنه . ونحوه رواه أحمد والطبراني وابن أبي شيبة والدارمي وأبو نعيم في المعرفة .

{الأحزاب : ٣٣} . فيعتقد في جميعهم بتطهيرهم ، وذهاب الرجس عنهم ، لا بعمل عملوه ، ولا بخير قدموه ، بل سابق عناية من الله بهم : ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ {الحديد : ٢١ ، الجمعة : ٤} .

لذا ؛ فإنه لو كان سلمان ﷺ على أمر يشنؤه ظاهر الشرع ، وتلحق المذمة بعامله لكان مضافاً إلي أهل البيت من لم يذهب عنه الرجس ، فيكون لأهل البيت من ذلك بقدر ما أُضيف إليهم . وهم المطهرون بالنص . فسلمان ﷺ منهم بلا شك .

فأرجو أن يكون عقب سلمان تلحقه هذه العناية ، كما لحقت أولاد الحسن والحسين وعقبهم وموالي أهل البيت إلى يوم القيامة . فإن رحمة الله لواسعة .

يا ولي ! وإذا كانت منزلة مخلوق – عند الله – بهذه المثابة : أن يَشْرُفَ المضاف إليهم بشرفهم – وشرفهم ليس لأنفسهم ، وإنما الله تعالى هو الذي اجتباهم وكساهم حلة الشرف .

فكيف – يا ولي بمن أضيف إلى من له الحمد والمجد والشرف لنفسه وذاته ، فهو المجيد سبحانه وتعالى ، فالمضاف إليه من عباده ، الذين هم عباده المخلَصون .

وهم الذين لا سلطان لمخلوق عليهم لا في الدنيا ولا في الآخرة ، قال تعالى لإبليس : ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ {الحجر : ٤٢ ، الإسراء : ٦٥} . فأضاف العباد إليه تعالى ، وما تجد في القرآن عبادا مضافين إليه سبحانه إلا السعداء خاصة ، وجاء اللفظ في غيرهم بـ (العباد) .

فما ظنك بالمعصومين ، المحفوظين منهم ، القائمين بحدود سيدهم ، الواقفين عند مراسمه ؟ . فشرفهم أعلى وأتم . وهؤلاء هم أقطاب هذا المقام .

ومن هؤلاء الأقطاب ورث سلمان شرف مقام أهل البيت . فكان – رضي الله عنه – أعلم الناس بما لله على عباده من الحقوق ، وما لأنفسهم والخلق عليهم من الحقوق ، وأقواهم على أدائها .

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ : قَالَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ : يَا رَسُولَ الله مَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذَكَرَ اللهُ إِنْ تَوَلَّيْنَا اسْتُبْدِلُوا بِنَا ، ثُمَّ لَمْ يَكُونُوا أَمْثَالَنَا ؟ (١) . وَكَانَ سَلْمَانُ بِجَنْبِ رَسُولِ الله ﷺ ، فَضَرَبَ رَسُولُ الله ﷺ فَخِذَ سَلْمَانَ ، وَقَالَ : ﴿ **هَذَا وَأَصْحَابُهُ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ**

١- إشارة إلى قوله تعالى في الآية : ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴾ {محمد : ٣٨} .

مَنُوطًا بِالثُّرَيَّا ؛ لَتَنَاوَلَهُ رِجَالٌ مِنْ فَارِسَ﴾ (١) . وفي تخصيص النبي ﷺ ذكر الثريا – دون غيرها من النجوم – إشارة بديعة لعلو منزلته . فافهم . فسلمان له سر هو الذي ألحقه بأهل البيت . وهذا ما جعل الإمام علي كرم الله وجهه – لما أن سُئِلَ عن سلمان الفارسي ﷺ – يقول : **(ذَاكَ امْرُؤٌ مِنَّا وَإِلَيْنَا أَهْلَ البَيْتِ . مَنْ لَكُمْ بِمِثْلِ لُقْمَانَ الحَكِيم ؟ . عَلِمَ العِلْمَ الأَوَّلَ وَالعِلْمَ الآخرَ . وَقَرَأَ الكِتَابَ الأَوَّلَ وَقَرَأَ الكِتَابَ الآخرَ . وَكَانَ بَحْراً لا يُنْزَفَ)** (٢) . وقالت عنه أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها : **(كَانَ لِسَلْمَانَ مَجْلِسٌ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ بِالليلِ ، حَتَّى كَانَ يَغْلِبُنَا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ)** (٣) . ولهذا قال رسول الله ﷺ : **﴿إِنَّ الجنَّةَ لَتَشْتَاقُ إِلَى ثَلَاثَةٍ عَلِيٍّ وَعَمَّارٍ وَسَلْمَانَ﴾** (٤) .

١- رواه الترمذي وحسنه (واللفظ له) والطبراني في الأوسط والبيهقي في الدلائل وابن حبان وأحمد والطحاوي وابن راهويه والأصبهاني في أخبار أصبهان عن أبي هريرة ﷺ . والحاكم وصححه عن ابن عمر ﷺ . والطبراني في الكبير عن ابن مسعود ﷺ . والطبراني في الكبير وأبو يعلى والبزار عن قيس بن سعد بن عبادة ﷺ وصححه ابن حجر في المطالب العالية .

٢- رواه ابن عبد البر في الاستيعاب وابن سعد في طبقاته وابن الأثير في أسد الغابة وابن عساكر في تاريخه وأورده المتقي الهندي في كنز العمال تحت رقم (٣٦٤٩٢) .

٣- رواه ابن عبد البر في الاستيعاب وابن الأثير في أسد الغابة .

٤- رواه الترمذي وحسنه والحاكم وصححه وأبو يعلى عن أنس بن مالك ﷺ . ورواه الطبراني في الكبير وأبو نعيم في المعرفة عن أَنَس بن مَالِكٍ أيضا بلفظ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : **﴿إِنَّ الجنَّةَ تَشْتَاقُ إِلَى أَرْبَعَةٍ : عَلِيِّ بن أَبِي طَالِبٍ ، وَعَمَّارِ بن يَاسِرٍ ، وَسَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ ، وَالْمِقْدَادِ بن الأَسْوَدِ﴾** ﷺ .

انظر لقصة تَعَرُّف سلمان على النبي ﷺ وإسلامه . ولما أعطاه النبي ﷺ من أداء كتابته وعتقه (١) . وفي هذا فقه عجيب . فهو – رضي الله عنه – عتيقه ﷺ .

١- نورد هنا حديث إسلامه وعتقه كاملا تبركا بذكره ، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ : حَدَّثَنِي سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ رضي الله عنه حَدِيثَهُ مِنْ فِيهِ ، قَالَ : كُنْتُ رَجُلًا فَارِسِيًّا مِنْ أَهْلِ أَصْبَهَانَ ، مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ مِنْهَا ، يُقَالُ لَهَا : جَيٌّ ، وَكَانَ أَبِي دِهْقَانَ قَرْيَتِهِ ، وَكُنْتُ أَحَبَّ خَلْقِ اللهِ إِلَيْهِ ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حُبُّهُ إِيَّايَ حَتَّى حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ ، أَيْ مُلَازِمَ النَّارِ ، كَمَا تُحْبَسُ الْجَارِيَةُ ، وَأَجْهَدْتُ فِي الْمجُوسِيَّةِ حَتَّى كُنْتُ قَطَنَ النَّارِ الَّذِي يُوقِدُهَا ، لَا يَتْرُكُهَا تَخْبُو سَاعَةً ، وَكَانَتْ لِأَبِي ضَيْعَةٌ عَظِيمَةٌ ، فَشُغِلَ فِي بُنْيَانٍ لَهُ يَوْمًا ، فَقَالَ لِي : يَا بُنَيَّ إِنِّي قَدْ شُغِلْتُ فِي بُنْيَانٍ هَذَا الْيَوْمَ عَنْ ضَيْعَتِي ، فَاذْهَبْ فَاطَّلِعْهَا ، وَأَمَرَنِي فِيهَا بِبَعْضِ مَا يُرِيدُ ، فَخَرَجْتُ أُرِيدُ ضَيْعَتَهُ ، فَمَرَرْتُ بِكَنِيسَةٍ مِنْ كَنَائِسِ النَّصَارَى ، فَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ فِيهَا وَهُمْ يُصَلُّونَ ، وَكُنْتُ لَا أَدْرِي مَا أَمْرُ النَّاسِ ، لِحَبْسِ أَبِي إِيَّايَ فِي بَيْتِهِ ، فَلَمَّا مَرَرْتُ بِهِمْ ، وَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ ، دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ أَنْظُرُ مَا يَصْنَعُونَ ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ أَعْجَبَنِي صَلَاتُهُمْ وَرَغِبْتُ فِي أَمْرِهِمْ ، وَقُلْتُ هَذَا وَاللهِ خَيْرٌ مِنَ الدِّينِ الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ ، فَوَاللهِ مَا تَرَكْتُهُمْ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ ، وَتَرَكْتُ ضَيْعَةَ أَبِي ، وَلَمْ آتِهَا ، فَقُلْتُ لَهُمْ : أَيْنَ أَصْلُ هَذَا الدِّينِ ؟ . قَالُوا : بِالشَّامِ . ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى أَبِي ، وَقَدْ بَعَثَ فِي طَلَبِي ، وَشَغَلْتُهُ عَنْ عَمَلِهِ كُلِّهِ ، فَلَمَّا جِئْتُهُ ، قَالَ : أَيْ بُنَيَّ أَيْنَ كُنْتَ ؟ أَلَمْ أَكُنْ عَهِدْتُ إِلَيْكَ مَا عَهِدْتُ ؟ . قُلْتُ : يَا أَبَتِ مَرَرْتُ بِنَاسٍ يُصَلُّونَ فِي كَنِيسَةٍ لَهُمْ ، فَأَعْجَبَنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ دِينِهِمْ ، فَوَاللهِ مَازِلْتُ عِنْدَهُمْ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ . قَالَ : أَيْ بُنَيَّ ؛ لَيْسَ فِي ذَلِكَ الدِّينِ خَيْرٌ . دِينُكَ وَدِينُ آبَائِكَ خَيْرٌ مِنْهُ . قُلْتُ : كَلَّا وَاللهِ إِنَّهُ خَيْرٌ مِنْ دِينِنَا . فَخَافَنِي ، فَجَعَلَ فِي رِجْلَيَّ قَيْدًا ، ثُمَّ حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ ، وَبَعَثَتْ إِلَيَّ النَّصَارَى ، فَقُلْتُ لَهُمْ : إِذَا قَدِمَ عَلَيْكُمْ رَكْبٌ مِنْ الشَّامِ ، تُجَّارٌ مِنْ النَّصَارَى ، فَأَخْبِرُونِي بِهِمْ . فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ رَكْبٌ مِنْ الشَّامِ ، تُجَّارٌ مِنْ النَّصَارَى ، فَأَخْبَرُونِي بِهِمْ . فَقُلْتُ لَهُمْ : إِذَا قَضَوْا حَوَائِجَهُمْ وَأَرَادُوا الرَّجْعَةَ إِلَى بِلَادِهِمْ فَآذِنُونِي بِهِمْ . فَلَمَّا أَرَادُوا الرَّجْعَةَ إِلَى بِلَادِهِمْ أَخْبَرُونِي بِهِمْ ، فَأَلْقَيْتُ الْحَدِيدَ مِنْ رِجْلَيَّ =

....

= ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ الشَّامَ ، فَلَمَّا قَدِمْتُهَا ، قُلْتُ : مَنْ أَفْضَلُ أَهْلِ هَذَا الدِّينِ ؟ . قَالُوا : الْأَسْقُفُّ فِي الْكَنِيسَةِ . فَجِئْتُهُ ، فَقُلْتُ : إِنِّي قَدْ رَغِبْتُ فِي هَذَا الدِّينِ ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ ، أَخْدُمُكَ فِي كَنِيسَتِكَ وَأَتَعَلَّمُ مِنْكَ وَأُصَلِّي مَعَكَ . قَالَ : فَادْخُلْ . فَدَخَلْتُ مَعَهُ . فَكَانَ رَجُلَ سَوْءٍ . يَأْمُرُهُمْ بِالصَّدَقَةِ وَيُرَغِّبُهُمْ فِيهَا ، فَإِذَا جَمَعُوا إِلَيْهِ مِنْهَا أَشْيَاءَ اكْتَنَزَهُ لِنَفْسِهِ ، وَلَمْ يُعْطِهِ المَسَاكِينَ ، حَتَّى جَمَعَ سَبْعَ قِلَالٍ مِنْ ذَهَبٍ وَوَرِقٍ . وَأَبْغَضْتُهُ بُغْضًا شَدِيدًا لِمَا رَأَيْتُهُ يَصْنَعُ ، ثُمَّ مَاتَ فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ النَّصَارَى لِيَدْفِنُوهُ . فَقُلْتُ لَهُمْ : إِنَّ هَذَا كَانَ رَجُلَ سَوْءٍ ، يَأْمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ وَيُرَغِّبُكُمْ فِيهَا ، فَإِذَا جِئْتُمُوهُ بِهَا اكْتَنَزَهَا لِنَفْسِهِ ، وَلَمْ يُعْطِ المَسَاكِينَ مِنْهَا شَيْئًا . قَالُوا : وَمَا عِلْمُكَ بِذَلِكَ ؟ . قُلْتُ : أَنَا أَدُلُّكُمْ عَلَى كَنْزِهِ . قَالُوا : فَدُلَّنَا عَلَيْهِ . فَأَرَيْتُهُمْ مَوْضِعَهُ . فَاسْتَخْرَجُوا مِنْهُ سَبْعَ قِلَالٍ مَمْلُوءَةٍ ذَهَبًا وَوَرِقًا . فَلَمَّا رَأَوْهَا ، قَالُوا : وَاللهِ لَا نَدْفِنُهُ أَبَدًا ، فَصَلَبُوهُ ، ثُمَّ رَجَمُوهُ بِالْحِجَارَةِ ، ثُمَّ جَاءُوا بِرَجُلٍ آخَرَ فَجَعَلُوهُ بِمَكَانِهِ ، فَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا لَا يُصَلِّي الْخَمْسَ أَرَى أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْهُ ، أَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا ، وَلَا أَرْغَبُ فِي الْآخِرَةِ ، وَلَا أَدْأَبُ لَيْلًا وَنَهَارًا مِنْهُ ، فَأَحْبَبْتُهُ حُبًّا لَمْ أُحِبَّهُ مَنْ قَبْلَهُ ، وَأَقَمْتُ مَعَهُ زَمَانًا ، ثُمَّ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا فُلَانُ إِنِّي كُنْتُ مَعَكَ وَأَحْبَبْتُكَ حُبًّا لَمْ أُحِبَّهُ مَنْ قَبْلَكَ ، وَقَدْ حَضَرَكَ مَا تَرَى مِنْ أَمْرِ اللهِ ، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي ، وَمَا تَأْمُرُنِي ؟ قَالَ : أَيْ بُنَيَّ ؛ وَاللهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا الْيَوْمَ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ ، لَقَدْ هَلَكَ النَّاسُ ، وَبَدَّلُوا ، وَتَرَكُوا أَكْثَرَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ ، إِلَّا رَجُلًا بِالموْصِلِ ، وَهُوَ فُلَانٌ ، فَهُوَ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ ، فَالْحَقْ بِهِ . فَلَمَّا مَاتَ وَغَيَّبَ ، لَحِقْتُ بِصَاحِبِ الموْصِلِ ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا فُلَانُ إِنَّ فُلَانًا أَوْصَانِي عِنْدَ مَوْتِهِ أَنْ أَلْحَقَ بِكَ ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّكَ عَلَى أَمْرِهِ . فَقَالَ لِي أَقِمْ عِنْدِي ، فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ ، فَوَجَدْتُهُ خَيْرَ رَجُلٍ عَلَى أَمْرِ صَاحِبِهِ ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ ، قُلْتُ لَهُ : يَا فُلَانُ ؛ إِنَّ فُلَانًا أَوْصَى بِي إِلَيْكَ ، وَأَمَرَنِي بِاللُّحُوقِ بِكَ ، وَقَدْ حَضَرَكَ مِنْ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا تَرَى ، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي ، وَمَا تَأْمُرُنِي ؟ . قَالَ : أَيْ بُنَيَّ ؛ وَاللهِ مَا أَعْلَمُ رَجُلًا عَلَى مِثْلِ مَا كُنَّا عَلَيْهِ إِلَّا بِنَصِيبِينَ ، وَهُوَ فُلَانٌ =

= فَالْحَقْ بِهِ . فَلَمَّا مَاتَ وَغَيَّبَ لَحِقْتُ بِصَاحِبِ نَصِيبِينَ ، فَجِئْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِي ، وَمَا أَمَرَنِي بِهِ صَاحِبِي . قَالَ : فَأَقِمْ عِنْدِي . فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ ، فَوَجَدْتُهُ عَلَى أَمْرِ صَاحِبَيْهِ ، فَأَقَمْتُ مَعَ خَيْرِ رَجُلٍ فَوَاللهِ مَا لَبِثَ أَنْ نَزَلَ بِهِ الموْتُ ، فَلَمَّا حَضَرَ قُلْتُ لَهُ : يَا فُلَانُ إِنَّ فُلَانًا كَانَ أَوْصَى بِي إِلَى فُلَانٍ ، ثُمَّ أَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَيْكَ ، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي ، وَمَا تَأْمُرُنِي ؟ . قَالَ : أَيْ بُنَيَّ وَاللهِ مَا نَعْلَمُ أَحَدًا بَقِيَ عَلَى أَمْرِنَا آمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَهُ ، إِلَّا رَجُلًا بِعَمُّورِيَّةَ ، فَإِنَّهُ بِمِثْلِ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ فَأْتِهِ ، فَإِنَّهُ عَلَى أَمْرِنَا . فَلَمَّا مَاتَ وَغَيَّبَ ، لَحِقْتُ بِصَاحِبِ عَمُّورِيَّةَ ، وَأَخْبَرْتُهُ خَبَرِي . فَقَالَ : أَقِمْ عِنْدِي . فَأَقَمْتُ مَعَ رَجُلٍ عَلَى هَدْيِ أَصْحَابِهِ وَأَمْرِهِمْ ، وَاكْتَسَبْتُ حَتَّى كَانَ لِي بَقَرَاتٌ وَغُنَيْمَةٌ ، ثُمَّ نَزَلَ بِهِ أَمْرُ اللهِ ، فَلَمَّا حَضَرَ قُلْتُ لَهُ : يَا فُلَانُ إِنِّي كُنْتُ مَعَ فُلَانٍ فَأَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَى فُلَانٍ ، وَأَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَى فُلَانٍ ، ثُمَّ أَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَيْكَ ، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي ، وَمَا تَأْمُرُنِي ؟ . قَالَ : أَيْ بُنَيَّ وَاللهِ مَا أَعْلَمُهُ أَصْبَحَ عَلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ آمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَهُ ، وَلَكِنَّهُ قَدْ أَظَلَّكَ زَمَانُ نَبِيٍّ هُوَ مَبْعُوثٌ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ ، يَخْرُجُ بِأَرْضِ الْعَرَبِ ، مُهَاجِرًا إِلَى أَرْضٍ بَيْنَ حَرَّتَيْنِ ، بَيْنَهُمَا نَخْلٌ ، بِهِ عَلَامَاتٌ لَا تَخْفَى ، يَأْكُلُ الْهَدِيَّةَ وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ ، بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلْحَقَ بِتِلْكَ الْبِلَادِ فَافْعَلْ . ثُمَّ مَاتَ وَغَيَّبَ . فَمَكَثْتُ بِعَمُّورِيَّةَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ أَمْكُثَ ، ثُمَّ مَرَّ بِي نَفَرٌ مِنْ كَلْبٍ تُجَّارًا ، فَقُلْتُ لَهُمْ : تَحْمِلُونِي إِلَى أَرْضِ الْعَرَبِ ، وَأُعْطِيكُمْ بَقَرَاتِي هَذِهِ ، وَغُنَيْمَتِي هَذِهِ ؟ . قَالُوا : نَعَمْ . فَأَعْطَيْتُهُمُوهَا . وَحَمَلُونِي حَتَّى إِذَا قَدِمُوا بِي وَادِي الْقُرَى ظَلَمُونِي ، فَبَاعُونِي مِنْ رَجُلٍ مِنْ يَهُودَ عَبْدًا ، فَكُنْتُ عِنْدَهُ ، وَرَأَيْتُ النَّخْلَ ، وَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ الْبَلَدَ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي ، وَلَمْ يَحِقْ لِي فِي نَفْسِي . فَبَيْنَمَا أَنَا عِنْدَهُ ؛ قَدِمَ عَلَيْهِ ابْنُ عَمٍّ لَهُ مِنَ المدِينَةِ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ ، فَابْتَاعَنِي مِنْهُ ، فَاحْتَمَلَنِي إِلَى المدِينَةِ ، فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُهَا ، فَعَرَفْتُهَا بِصِفَةِ صَاحِبِي ، فَأَقَمْتُ بِهَا ، وَبَعَثَ اللهُ رَسُولَهُ ، فَأَقَامَ بِمَكَّةَ مَا أَقَامَ ، لَا أَسْمَعُ لَهُ بِذِكْرٍ ، مَعَ مَا أَنَا فِيهِ مِنْ شُغْلِ الرِّقِّ ، ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى المدِينَةِ ، فَوَاللهِ إِنِّي لَفِي رَأْسِ عَذْقٍ لِسَيِّدِي أَعْمَلُ فِيهِ بَعْضَ =

= الْعَمَلِ ، وَسَيِّدِي جَالِسٌ ، إِذْ أَقْبَلَ ابْنُ عَمٍّ لَهُ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ فُلَانُ : قَاتَلَ اللهُ بَنِي قَيْلَةَ وَاللهِ إِنَّهُمْ الْآنَ لَمُجْتَمِعُونَ بِقُبَاءَ ، عَلَى رَجُلٍ قَدِمَ عَلَيْهِمْ مِنْ مَكَّةَ الْيَوْمَ ، يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَبِيٌّ . فَلَمَّا سَمِعْتُهَا أَخَذَتْنِي الْعُرَوَاءُ ، حَتَّى ظَنَنْتُ سَأَسْقُطُ عَلَى سَيِّدِي . وَنَزَلْتُ عَنْ النَّخْلَةِ ، فَجَعَلْتُ أَقُولُ لِابْنِ عَمِّهِ ذَلِكَ : مَاذَا تَقُولُ ؟ مَاذَا تَقُولُ ؟ . فَغَضِبَ سَيِّدِي ، فَلَكَمَنِي لَكْمَةً شَدِيدَةً ، ثُمَّ قَالَ : مَا لَكَ وَلِهَذَا ؟ . أَقْبِلْ عَلَى عَمَلِكَ . قُلْتُ : لَا شَيْءَ ، إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَسْتَثْبِتَ عَمَّا قَالَ . وَقَدْ كَانَ عِنْدِي شَيْءٌ قَدْ جَمَعْتُهُ ، فَلَمَّا أَمْسَيْتُ أَخَذْتُهُ ، ثُمَّ ذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ بِقُبَاءَ ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ ، فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ رَجُلٌ صَالِحٌ ، وَمَعَكَ أَصْحَابٌ لَكَ غُرَبَاءُ ذَوُو حَاجَةٍ ، وَهَذَا شَيْءٌ كَانَ عِنْدِي لِلصَّدَقَةِ ، فَرَأَيْتُكُمْ أَحَقَّ بِهِ مِنْ غَيْرِكُمْ . فَقَرَّبْتُهُ إِلَيْهِ . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ : ﴿ **كُلُوا** ﴾ وَأَمْسَكَ يَدَهُ فَلَمْ يَأْكُلْ . فَقُلْتُ فِي نَفْسِي هَذِهِ وَاحِدَةٌ ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ عَنْهُ ، فَجَمَعْتُ شَيْئًا ، وَتَحَوَّلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى المدِينَةِ ، ثُمَّ جِئْتُ بِهِ فَقُلْتُ : إِنِّي رَأَيْتُكَ لَا تَأْكُلُ الصَّدَقَةَ ، وَهَذِهِ هَدِيَّةٌ أَكْرَمْتُكَ بِهَا . فَأَكَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْهَا ، وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ فَأَكَلُوا مَعَهُ . فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : هَاتَانِ اثْنَتَانِ . ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ بِبَقِيعِ الْغَرْقَدِ ، وَقَدْ تَبِعَ جَنَازَةً مِنْ أَصْحَابِهِ ، عَلَيْهِ شَمْلَتَانِ لَهُ ، وَهُوَ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ اسْتَدَرْتُ أَنْظُرُ إِلَى ظَهْرِهِ ، هَلْ أَرَى الْخَاتَمَ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي ؟ . فَلَمَّا رَآنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ اسْتَدَرْتُهُ ، عَرَفَ أَنِّي أَسْتَثْبِتُ فِي شَيْءٍ وُصِفَ لِي ، فَأَلْقَى رِدَاءَهُ عَنْ ظَهْرِهِ ، فَنَظَرْتُ إِلَى الْخَاتَمِ ، فَعَرَفْتُهُ ، فَانْكَبَبْتُ عَلَيْهِ أُقَبِّلُهُ وَأَبْكِي ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ : ﴿ **تَحَوَّلْ** ﴾ . فَتَحَوَّلْتُ ، فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ حَدِيثِي كَمَا حَدَّثْتُكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ . فَأَعْجَبَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يَسْمَعَ ذَلِكَ أَصْحَابُهُ . ثُمَّ شَغَلَ سَلْمَانَ الرِّقُّ حَتَّى فَاتَهُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَدْرٌ وَأُحُدٌ . ثُمَّ قَالَ له رَسُولُ اللهِ ﷺ : ﴿ **كَاتِبْ يَا سَلْمَانُ** ﴾ . فَكَاتَبْتُ صَاحِبِي عَلَى ثَلَاثِ مِائَةِ نَخْلَةٍ ، أُحْيِيهَا لَهُ بِالْفَقِيرِ ، وَبِأَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ : ﴿ **أَعِينُوا أَخَاكُمْ** ﴾ . فَأَعَانُونِي بِالنَّخْلِ ؛ الرَّجُلُ بِثَلَاثِينَ وَدِيَّةً ، وَالرَّجُلُ بِعِشْرِينَ =

وكما قال ﷺ : ﴿ **مَوْلَى الْقَوْمِ مِنْهُمْ** ﴾ (١) . والكل موالي الحق ، ورحمته تعالى وسعت كل شيء ، (وكل شيء) : هو عبده ومولاه ! .

وبعد أن تبين لك منزلة أهل البيت عند الله ، وأنه لا ينبغي لمسلم أن يذمهم بما يقع منهم أصلا ، فإن الله طهرهم ، فليعلم الذام لهم أن ذلك راجع إليه ، ولو ظلموه ، فذلك الظلم – هو في زعمه ظلم – لا في نفس الأمر ، وإن حكم عليه ظاهر الشرع بأدائه ، بل حكم ظلمهم إيانا في نفس الأمر ،

= وَالرَّجُلُ بِخَمْس عَشْرَة ، وَالرَّجُلُ بِعَشْرٍ ، يَعْنِي الرَّجُلُ بِقَدْرِ مَا عِنْدَهُ ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ لِي ثَلَاثُ مِائَةِ وَدِيَّةٍ ، فَقَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ : ﴿ **اذْهَبْ يَا سَلْمَانُ ، فَفَقِّرْ لَهَا ، فَإِذَا فَرَغْتَ فَأْتِنِي ، أَكُونُ أَنَا أَضَعُهَا بِيَدَيَّ** ﴾ فَفَقَّرْتُ لَهَا ، وَأَعَانَنِي أَصْحَابِي حَتَّى إِذَا فَرَغْتُ مِنْهَا جِئْتُهُ ، فَأَخْبَرْتُهُ ، فَخَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ مَعِي إِلَيْهَا ، فَجَعَلْنَا نُقَرِّبُ لَهُ الْوَدِيَّ ، وَيَضَعُهُ رَسُولُ الله ﷺ بِيَدِهِ . فَوَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ مَا مَاتَتْ مِنْهَا وَدِيَّةٌ وَاحِدَةٌ . فَأَدَّيْتُ النَّخْلَ ، وَبَقِيَ عَلَيَّ المالُ ، فَأُتِيَ رَسُولُ الله ﷺ بِمِثْلِ بَيْضَةِ الدَّجَاجَةِ مِنْ ذَهَبٍ ، مِنْ بَعْضِ المغَازِي ، فَقَالَ : ﴿ **مَا فَعَلَ الْفَارِسِيُّ المكَاتَبُ** ﴾ ؟ . فَدُعِيتُ لَهُ ، فَقَالَ : ﴿ **خُذْ هَذِهِ ، فَأَدِّ بِهَا مَا عَلَيْكَ يَا سَلْمَانُ** ﴾ . فَقُلْتُ : وَأَيْنَ تَقَعُ هَذِهِ يَا رَسُولَ الله مِمَّا عَلَيَّ ؟ . قَالَ : ﴿ **خُذْهَا ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ سَيُؤَدِّي بِهَا عَنْكَ** ﴾ . فَأَخَذْتُهَا ، فَوَزَنْتُ لَهُمْ مِنْهَا – وَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ – أَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً فَأَوْفَيْتُهُمْ حَقَّهُمْ وَعُتِقْتُ . فَشَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ الْخَنْدَقَ ، ثُمَّ لَمْ يَفُتْنِي مَعَهُ مَشْهَدٌ . رواه أحمد في مسنده (واللفظ له) والطبراني في الكبير والحاكم في المستدرك والبيهقي وأبو نعيم كلاهما في الدلائل وابن حبان في صحيحه والبزار وابن هشام في سيرته .

١- سبق تخريجه .

يشبه جري المقادير على العبد في ماله ونفسه ، بغرق أو بحرق ، وغير ذلك من الأمور المهلكة ، فيحترق أو يموت له أحد أحبائه ، أو يصاب في نفسه ، وهذا كله مما لا يوافق غرضه ، ولا يجوز له أن يذم قدر الله ولا قضاءه ، بل ينبغي له أن يقابل ذلك كله بالتسليم والرضى ، وإن نزل عن هذه المرتبة ؛ فبالصبر ، وإن ارتفع عن تلك المرتبة فبالشكر . فإن في طي ذلك نعماً من الله لهذا المصاب ، وليس وراء ما ذكرناه خير ، فإنه ما وراءه إلا الضجر والسخط وعدم الرضا ، وسوء الأدب مع الله . فكذا ينبغي أن يقابل المسلم ، جميع ما يطرأ عليه من أهل البيت ، في ماله ونفسه وعرضه وأهله وذويه ، فيقابل ذلك كله بالرضى والتسليم والصبر ، ولا يلحق المذمة بهم أصلا . وإن توجهت عليهم الأحكام المقررة شرعا ، فذلك لا يقدح في هذا ، بل يجريه مجرى المقادير . وإنما منعنا تعليق الذم بهم ، إذ ميزهم الله عنا ، بما ليس لنا معهم فيه قدم ، وأما أداء الحقوق المشروعة ؛ فهذا رسول الله ﷺ كان يقترض من اليهود ، وإذا طالبوه بحقوقهم ، أداها على أحسن ما يمكن ، وإن تطاول اليهودي عليه بالقول ، يقول : ﴿ **دَعُوهُ ، فَإِنَّ لِصَاحِبِ الحَقِّ مَقَالًا** ﴾ (١) .

١- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والترمذي وأحمد والبيهقي في السنن وأبو عوانة والطيالسي وابن الأعرابي في معجمه عن أبي هريرة ﷺ . وأحمد والبيهقي في السنن وعبد الرزاق وعبد بن حميد عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها .

وقال ﷺ في قصة المرأة المخزومية : ﴿لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا﴾ (١) . فوضع الأحكام لله ، يضعها كيف يشاء ، وعلى أي حال يشاء . فهذه حقوق الله ، ومع هذا لم يذمهم الله .

وإنما كلا منا في حقوقنا ، وما لنا أن نطالبهم به ، فنحن مخيرون :

- إن شئنا أخذنا .

- وإن شئنا تركنا ، والترك أفضل عموما ، فكيف في أهل البيت ؟ وليس لنا ذم أحد ، فكيف بأهل البيت ؟ .

فإنا إذا نزلنا عن طلب حقوقنا ، وعفونا عنهم في ذلك ، أي فيما أصابوه منا ، كانت لنا بذلك عند الله اليد العظمى والمكانة الزلفى .

فإن النبي ﷺ ما طلب منا – عن أمر الله – إلا المودة في القربى ، فأمره أن يقول : ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ {الشورى : ٢٣} . وفيه سر صلة الأرحام ، ومن لم يقبل سؤال نبيه فيما سأله فيه – مما هو قادر عليه – بأي وجه يلقاه غدا ، أو يرجو شفاعته ، وهو ما أسعف نبيه ﷺ فيما طلب منه من المودة في قرابته . فكيف بأهل بيته ، فهم أخص القرابة .

١- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة والبيهقي والدارمي وأبو عوانة وابن راهويه وابن الأعرابي عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها .

ثم إنه تعالى جاء بلفظ المودة ، وهو الثبوت على المحبة ، فإنه من ثبت وده في أمر ، استصحبته المودة في كل حال ، وإذا استصحبته المودة في كل حال ، لم يؤاخذ أهل البيت بما يطرأ منهم في حقه ، مما له أن يطالبهم به ، فيتركه ترك محبة ، وإيثارا لنفسه لا عليها ، قال المحب الصادق : (**وكل ما يفعل المحبوب محبوب**) وجاء باسم الحب ، فكيف حال المودة ؟ .

ومن البشرى ؛ ورود اسم الودود لله تعالى ، ولا معنى لثبوتها (أي المودة) إلا حصول أثرها بالفعل في الدار الآخرة ، وفي النار ، لكل طائفة بما تقتضيه حكمة الله فيهم . وقال الآخر في المعنى :

أُحِبُّ لِحُبِّهَا ، السُّودَانَ . حَتَّى　　　أُحِبُّ لِحُبِّهَا ، سُودَ الكِلابِ !

قيل : كانت الكلاب السود تناوشه ، وهو يتحبب إليها ، فهذا فعل المحب في حب من لا تسعده محبته عند الله ، ولا تورثه القربة من الله ، فهل هذا إلا من صدق الحب ، وثبوت الود في النفس .

فلو صحت محبتك لله ولرسوله ، أحببت أهل بيت رسول الله ﷺ ، ورأيت كل ما يصدر منهم في حقك – مما لا يوافق طبعك ولا غرضك – أنه جمال تتنعم بوقوعه منهم ، فتعلم عند ذلك أن لك عناية عند الله ، الذي أحببتهم من أجله ، حيث ذكرك من يحبه ، وخطرت على باله ، وهم أهل بيت رسوله ﷺ ، الذي قال فيهم رسول الله ﷺ : ﴿ **أَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي بِحُبِّي**

(أو لِحُبِّي)﴾ (١) . فتشكر الله تعالى على هذه النعمة ، فإنهم ذكروك بألسنة طاهرة ، بتطهير الله ، طهارة لم يبلغها علمك .

وإذا رأيناك على ضد هذه الحالة ، مع أهل البيت ، الذي أنت محتاج إليهم ، ولرسول ﷺ حيث هداك الله به ، فكيف أثق أنا بودك الذي تزعم به أنك شديد الحب في ، والرعاية لحقوقي ، أو لجانبي ، وأنت في حق أهل نبيك بهذه المثابة من الوقوع فيهم ، والله ما ذاك إلا من نقص إيمانك ، ومن مكر الله بك ، واستدراجه إياك من حيث لا تعلم . وصورة المكر أن تقول وتعتقد ؛ إنك في ذلك تذب عن دين الله وشرعه ، وتقول في طلب حقك ، أنك ما طلبت إلا ما أباح الله لك طلبه ، ويندرج الذم في ذلك الطلب المشروع ، والبغض والمقت وإيثارك نفسك على أهل البيت ، وأنت لا تشعر بذلك .

والدواء الشافي من هذا الداء العضال ؛ أن لا ترى لنفسك معهم حقاً ، وتنزل عن حقك ، لئلا يندرج في طلبه ما ذكرته لك ، وما أنت من حكام المسلمين ؛ حتى يتعين عليك إقامة حد ، أو إنصاف مظلوم ، أو ردّ حق إلى أهله ، فإن كنت حاكماً ولابد ، فاسع في استنزال صاحب الحق عن حقه ، إذا كان المحكوم عليه من أهل البيت ، فإن أبى ؛ حينئذ

١- رواه الترمذي وحسنه والحاكم وصححه (وأقره الذهبي) والبيهقي في الشعب وأبو نعيم في الحلية والخطيب البغدادي في تاريخه وابن عساكر في تاريخه عن ابن عباس رضي الله عنهما .

يتعين عليك إمضاء حكم الشرع فيه ، فلو كشف الله لك – يا ولي – عن منازلهم عند الله في الآخرة ، لوددت أن تكون مولى من مواليهم . فالله يلهمنا رشد أنفسنا . فانظر ما أشرف منزلة سلمان – رضي الله عن جميعهم .

فأدنى شيء يقال في أهل البيت كما قيل في أهل بدر : ﴿ **لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ : اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ، فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ الجنَّةُ ، أَوْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ** ﴾ . ففنيت عنهم أحكام المخالفات ، فما خالفوا ، فإنهم ما تصرفوا إلا فيما أبيح لهم ، فإن الغيرة الإلهية تمنع أن ينتهك المقربون عنده حرمة الخطاب الإلهي بالتحجير ، وهو غير مؤاخذ لهم ، لما سبقت لهم به العناية في الأزل ، فأباح لهم ما هو محجور على الغير . وسائر من ليس له هذا المقام ، لا علم له بذلك ، فيحكم عليه بأنه ارتكب المعاصي ، لذا ففي قصة حاطب بن أبي بلتعة ﷺ اتهمه بعض الصحابة بالنفاق ، وقام بعضهم ليضرب عنقه ، فلما منعهم رسول الله ﷺ عن الفتك به ، وقال الحديث السابق ، فاغرورقت عينا الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ بالدموع وقال : ﴿ **اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ** ﴾ (١) .

١- حديث أهل بدر رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وأبو داود والترمذي وابن أبي شيبة والبيهقي والنسائي والطبراني في الكبير وأبو يعلى والشافعي في مسنده عن علي كرم الله وجهه . والطبراني في الكبير والأوسط والدارمي وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ . والطبراني في الأوسط عن عمر بن الخطاب ﷺ . وابن حبان عن جابر ﷺ .

فأهل البيت حين أذهب الله عنهم الرجس - ولا رجس أرجس من المعاصي - وطهرهم تطهيرا ، وهو خبر ، والخبر لا يدخله النسخ ، وخبر الله صدق ، وقد سبقت به الإرادة الإلهية ، فكل ما ينسب إلى أهل البيت ، مما يقدح فيما أخبر الله به عنهم من التطهير ، وذهاب الرجس ، فإنما ينسب إليهم من حيث اعتقاد الذي ينسبه ، لأنه رجس بالنسبة إليه ، وذلك الفعل عينه ؛ ارتفع حكم الرجس عنه في حق أهل البيت . فالصورة واحدة فيهما ، ولكن الحكم مختلف .

أهل العباءة :

لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ {الأحزاب : ٣٣} . فِي بَيْتِ أم المؤمنين السيدة أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها ؛ دَعَا النبي ﷺ فَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا ، فَجَلَّلَهُمْ بِكِسَاءٍ ، وَعَلِيٌّ خَلْفَ ظَهْرِهِ ، فَجَلَّلَهُ بِكِسَاءٍ .

ثُمَّ قَالَ ﷺ : ﴿ **اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي ، فَأَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا** ﴾ .

قَالَتْ السيدة أُمُّ سَلَمَةَ : وَأَنَا مَعَهُمْ يَا نَبِيَّ اللهِ ؟ .

قَالَ ﷺ : ﴿ **أَنْتِ عَلَى مَكَانِكِ ، وَأَنْتِ عَلَى خَيْرٍ** ﴾ (١) .

١- رواه الترمذي وصححه وأحمد والبيهقي في السنن والحاكم وصححه والطبراني في الكبير والأوسط وأبو يعلى عن أم المؤمنين السيدة أم سلمة رضي الله عنها . والترمذي والطبراني في الكبير عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه ربيب النبي ﷺ . والحاكم وصححه وأحمد وابن أبي شيبة والطبراني في الكبير وأبو يعلى عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه .

المباهلة :

المُباهلة : الملاعَنَة ، وهو أن يَجْتمع القوم - إذا اختَلَفوا في شيء - فيقولوا : لَعْنَةُ اللهِ على الظالم منَّا .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ ﴾ {آل عمران : (٥٩ – ٦١)} .

قوله عز وجل : ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ ﴾ أي جادلك في عيسى عليه السلام أو في الحق .

﴿ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ بأن عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله .

﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ ﴾ : (ندع) جزم لجواب الأمر (قل) وعلامة الجزم سقوط الواو .

﴿ أَبْنَآءَنَا ﴾ : أراد الحسن والحسين عليهما السلام .

﴿ وَنِسَآءَنَا ﴾ : يعني السيدة فاطمة رضي الله عنها .

﴿ وَأَنفُسَنَا ﴾ : يعنى رسول الله ﷺ نفسه ، وعليا كرم الله وجهه .

﴿ وَأَنفُسَكُمْ ﴾ : أهل نجران .

﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ : قال ابن عباس ﷺ : أي نتضرع في الدعاء . وقال الكلبي : نجتهد ونبالغ في الدعاء ، وقال الكسائي وأبو عبيدة : نلتعن . والابتهال : الالتعان ، يقال : عليه بهلة الله أي لعنته .

﴿فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ : أي الكاذبين منا ومنكم في أمر عيسى عليه السلام .

فلما قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية (أي الآية : ٦١ من سورة آل عمران) على وفد نجران ، ودعاهم إلى المباهلة ، قالوا : حتى نرجع ، وننظر في أمرنا ، ثم نأتيك غدا . فخلا بعضهم ببعض ، فقالوا للعاقب : وكان ذا رأيهم : يا عبد المسيح ما ترى ؟ قال : والله لقد عرفتم يا معشر النصارى أن محمدًا نبيٌّ مرسل ، والله ما لاعن قوم نبيًا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ، ولئن فعلتم ذلك لنهلكن . فإن أبيتم إلا الإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم ، فوادعوا الرجل ، وانصرفوا إلى بلادكم . فأتوا رسول الله ﷺ ، وقد غدا رسول الله ﷺ محتضنا للحسين ، آخذا بيد الحسن ، وفاطمة تمشي خلفه ، وعلي خلفها ، وهو ﷺ يقول لهم : ﴿إِذَا أَنَا دَعَوْتُ فَأَمِّنُوا﴾ . فقال أسقف نجران : **يا معشر النصارى إني لأرى وجوها ؛ لو سألوا الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله . فلا تبتهلوا ، فتهلكوا ، ولا يبقى على وجه الأرض منكم نصراني إلى يوم**

القيامة . فقالوا يا أبا القاسم : قد رأينا أن لا نلاعنك ، وأن نتركك على دينك ، ونثبت على ديننا .

فقال رسول الله ﷺ : ﴿ **فَإِنْ أَبَيْتُمُ المبَاهَلَةَ ؛ فَأَسْلِمُوا ، يَكُنْ لَكُمْ مَا لِلْمُسْلِمِينَ ، وَعَلَيْكُمْ مَا عَلَيْهِمْ** ﴾ . فأبوا . فقال : ﴿ **فَإِنِّي أُنَابِذُكُمْ** ﴾ . فقالوا : ما لنا بحرب العرب طاقة ، ولكنا نصالحك على أن لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا ، على أن نؤدي إليك كل عام ألفي حلة ، ألفًا في صفر ، وألفًا في رجب .

فصالحهم رسول الله ﷺ على ذلك ، وقال :

﴿ **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ العَذَابَ قَدْ تَدَلَّى عَلَى أَهْلِ نَجْرَانَ ، وَلَوْ تَلَاعَنُوا لَمسِخُوا قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ ، وَلَاضْطَرَمَ عَلَيْهِمُ الوَادِي نَارًا ، وَلَاسْتَأْصَلَ اللهُ نَجْرَانَ وَأَهْلَهُ ، حَتَّى الطَّيْرَ عَلَى الشَّجَرِ ، وَلَمَا حَالَ الحَوْلُ عَلَى النَّصَارَى كُلِّهِمْ حَتَّى هَلَكُوا** ﴾ (١) .

ولما قالت نصارى نجران للنبي ﷺ : إنك تعيب صاحبنا ؟ فقال ﷺ : ﴿ **وَمَنْ صَاحِبُكُمْ** ﴾ ؟ . قالوا : عيسى . قال ﷺ : ﴿ **وَأَيُّ شَيءٍ أَقُولُ** ﴾ ؟ .

١- رواه ابن جرير والبغوي والبيضاوي والزمخشري وأبو السعود والخازن والنيسابوري والرازي في تفاسيرهم .

قالوا : تقول إنه عبد الله . قال ﷺ لهم : ﴿**لَيْسَ بِعَارٍ أَنْ يَكُونَ عِيْسَى عَبْدًا**﴾ (١) . فنزلت : ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾ {النساء : ١٧٢} . ولله در من قال :

أَرَبٌّ وعَبـــدٌ ونَفــيُ ضِـــدٍّ **قلتُ لَهُ : لَيسَ ذَاكَ عِندِي**
فَقَالَ : ما عِندَكُم ؟ فقُلنَـــا : **وُجُودُ فَقدٍ وفَقدُ وُجْدِ**

فإثبات العبودية مستقلة تضاد الربوبية ، ولذلك أنكرها الشاعر ، أي : أثبت ربًا وعبدًا ، وأنت تقول بنفي الضد عنه . وفي الحِكَم لابن عطاء الله : (**الأكوان ثابتة بإثباته ، ممحوة بأحدية ذاته**) .

فالسيدة فاطمة الزهراء ، وزوجها ابن عم النبي ﷺ ، وابناهما الحسن والحسين ، هم أهل عباءة النبي ﷺ . وهم أصحاب قصة المباهلة ، ولذا فقد كان كل منهم جزءاً من النبي ﷺ ، أعطاهم رسول الله ﷺ من نفسه . صرح بذلك النبي ﷺ في صحيح أحاديثه ، لذا فقد كان لزاما علينا أن نذكر بعضا من مناقبهم :

١- رواه البغوي والبيضاوي والزمخشري وأبو السعود والخازن والنيسابوري والرازي والنسفي في تفاسيرهم .

- **بعض مناقب الإمام علي كرم الله وجهه :**

وَرَدَ عَنْ سَيِّدنا عَلِيٍّ كرَّمَ اللهُ وَجهَهُ قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ عَشْرُ آيَاتٍ مِنْ بَرَاءَةٌ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ دَعَا النَّبِيُّ ﷺ أَبَا بَكْرٍ ﷺ ، فَبَعَثَهُ بِهَا لِيَقْرَأَهَا عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ ، ثُمَّ دَعَانِي النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ لِي : ﴿ **أَدْرِكْ أَبَا بَكْرٍ ﷺ ، فَحَيْثُمَا لَحِقْتَهُ فَخُذِ الْكِتَابَ مِنْهُ ، فَاذْهَبْ بِهِ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ ، فَاقْرَأْهُ عَلَيْهِمْ** ﴾ فَلَحِقْتُهُ بِالْجُحْفَةِ ، فَأَخَذْتُ الْكِتَابَ مِنْهُ ، وَرَجَعَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ نَزَلَ فِيَّ شَيْءٌ ؟ . قَالَ ﷺ : ﴿ **لَا ، وَلَكِنَّ جِبْرِيلَ جَاءَنِي ، فَقَالَ : لَنْ يُؤَدِّيَ عَنْكَ إِلَّا أَنْتَ ، أَوْ رَجُلٌ مِنْكَ** ﴾ (١) .

وَعَنْ حُبْشِيِّ بْنِ جُنَادَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ﴿ **عَلِيٌّ مِنِّي ، وَأَنَا مِنْ عَلِيٍّ . وَلَا يُؤَدِّي عَنِّي إِلَّا أَنَا أَوْ عَلِيٌّ** ﴾ (٢) .

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِعَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ : ﴿ **أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى ، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي** ﴾ (٣) .

١- رواه أحمد في مسنده وفي فضائل الصحابة وأبو الشيخ وابن مردوية وهو حديث رقم ٤٤٠٠ في كنز العمال وأورده ابن حجر في الفتح .

٢- رواه الترمذي وصححه وابن ماجة وأحمد وابن أبي شيبة والنسائي وابن أبي عاصم في السنة وفي الآحاد والمثاني والطبراني في الكبير .

٣- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والترمذي وصححه وابن ماجة وأحمد في مسنده =

وَحَدَثَ أَنْ تَخَلَّفَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فِي خَيْبَرَ ، وَكَانَ بِهِ رَمَدٌ ، فَقَالَ : أَنَا أَتَخَلَّفُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ! . فَخَرَجَ عَلِيٌّ ، فَلَحِقَ بِالنَّبِيِّ ﷺ ، فَلَمَّا كَانَ مَسَاءُ اللَّيْلَةِ الَّتِي فَتَحَهَا فِي صَبَاحِهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ﴿ **لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ** – أَوْ قَالَ : لَيَأْخُذَنَّ – **غَدًا رَجُلٌ يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ** – أَوْ قَالَ : يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ – **يَفْتَحُ اللهُ عَلَيْهِ** ﴾ . فَإِذَا نَحْنُ بِعَلِيٍّ ، وَمَا نَرْجُوهُ ، فَقَالُوا : هَذَا عَلِيٌّ . فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَفَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ (١) .

وقد صح في الحديث عن المصطفى ﷺ أنه يوم غدير خُمٍّ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ، وَقَالَ : ﴿ **أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ** ﴾ ؟ . قَالُوا : بَلَى . قَالَ : ﴿ **أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ** ﴾ ؟ . قَالُوا :

= وابن أبي شيبة والبيهقي في السنن وعبد الرزاق والنسائي عن سعد بن أبي وقاص ﷺ . والترمذي وحسنه وأحمد عن جابر بن عبد الله ﷺ . وأحمد عن أبي سعيد الخدري ﷺ . وأحمد وابن أبي شيبة عن أسماء بنت عميس رضي الله عنها . وابن أبي شيبة عن زيد بن أرقم ﷺ .

١- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والبيهقي في السنن وأحمد وابن أبي شيبة عن سلمة بن الأكوع ﷺ . والبخاري ومسلم في صحيحيهما والبيهقي في السنن والطبراني عن سهل بن سعد ﷺ . ومسلم والترمذي وابن ماجة وأحمد والنسائي في السنن الكبرى عن سعد بن أبي وقاص ﷺ . والنسائي في السنن الكبرى عن عمران بن حصين ﷺ . وأحمد وابن أبي شيبة والنسائي في السنن الكبرى عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ﷺ . والنسائي في السنن الكبرى عن أبي هريرة ﷺ . وغيرهم كثير .

بَلَى . فَأَخَذَ ﷺ بِيَدِ عَلِيٍّ ، فَقَالَ : ﴿مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ ؛ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ . اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ﴾ (١) . فَلَقِيَهُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَقَالَ له : (هَنِيئًا يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ ، أَصْبَحْتَ وَأَمْسَيْتَ مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ) (٢) .

١- رواه الترمذي وصححه وابن ماجة وأحمد والحاكم (وصححه وأقره الذهبي) والطبراني في الكبير والأوسط والصغير وأبو يعلى وابن أبي شيبة وعبد الرزاق والنسائي وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني وابن حبان وأبو نعيم في المعرفة وابن عساكر في تاريخه . وفي نظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتاني ذكر أن هذا الحديث ورد عن واحد وعشرين صحابيا . وفي رواية عن الإمام أحمد أن هذا الحديث سمعه من النبي ﷺ ثلاثون صحابيا . وقال الحافظ ابن حجر : [حديث كثير الطرق جدا ، استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد ، منها صحاح ، ومنها حسان ، قال ذلك يوم غدير خم] اهـ . وأورد الثعلبي في تفسيره والعصامي في سمط النجوم العوالي عن ابن عيينة أن النبي ﷺ لما قال ذلك ، طار في الآفاق ، فبلغ الحارث بن النعمان فأتى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد أمرتنا عن الله بالشهادتين فقبلنا ، وبالصلاة والزكاة والصيام والحج فقبلنا ، ثم لم ترض حتى رفعت بضبعي ابن عمك تفضله علينا ! . فهذا شيء منك أم من الله ؟ . فقال رسول الله ﷺ : ﴿**وَالَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ إِنَّهُ مِنَ اللهِ**﴾ فولى الحارث ، وهو يقول : اللهم إن كان ما يقوله محمد ﷺ حقا فأمطر علينا حجارة من السماء ، أو ائتنا بعذاب أليم . فما وصل لراحلته حتى رماه الله بحجر ، فسقط على هامته ، فخرج من دبره فقتله .

٢- رواه أحمد وابن أبي شيبة والتبريزي في مشكاة المصابيح والطبري في ذخائر العقبى وابن عساكر في تاريخه عن البراء بن عازب ﷺ . والحاكم وصححه عن زيد بن أرقم ﷺ .

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :

- ﴿ أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ ، وَعَلِيٌّ بَابُهَا ، فَمَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ فَلْيَأْتِهِ مِنْ بَابِهِ ﴾ (١) .

- وفي رواية : ﴿ أَنَا مَدِينَةُ الْحِكْمَةِ ، وَعَلِيٌّ بَابُهَا ﴾ (٢) .

- وفي رواية : ﴿ أَنَا دَارُ الْحِكْمَةِ ، وَعَلِيٌّ بَابُهَا ﴾ (٣) .

- وفي رواية : ﴿ أَنَا مَدِينَةُ الْفِقْهِ ، وَعَلِيٌّ بَابُهَا ﴾ (٤) .

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ﴿ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى آدَمَ فِي عِلْمِهِ ، وَإِلَى نُوحٍ فِي تَقْوَاهُ ، وَإِلَى إِبْرَاهِيمَ فِي حِلْمِهِ ، وَإِلَى مُوسَى فِي هَيْبَتِهِ ، وَإِلَى عِيسَى فِي عِبَادَتِهِ ، فَلْيَنْظُرْ

١- رواه الحاكم وصححه والطبراني في الكبير والطبري في تهذيب الآثار وابن عساكر في تاريخه وابن الأثير في أسد الغابة والخطيب البغدادي في تاريخه عن ابن عباس ﷺ . والحاكم وابن المقرئ في معجمه وابن عساكر والخطيب البغدادي في تاريخيهما عن جابر بن عبد الله ﷺ . وأبو نعيم في المعرفة وابن عساكر والخطيب البغدادي في تاريخيهما عن الإمام علي كرم الله وجهه .

٢- رواه الآجري في الشريعة والخطيب البغدادي عن ابن عباس ﷺ .

٣- رواه الترمذي وأحمد في فضائل الصحابة والتبريزي في المشكاة وأبو نعيم في الحلية والطبري في تهذيب الآثار والآجري في الشريعة وابن عساكر في تاريخه عن الإمام علي كرم الله وجهه .

٤- رواه الآجري في الشريعة عن الإمام علي كرم الله وجهه .

إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ﴾ (١) .

وذُكِرَ الإمام علي كرم الله وجهه عند ابن عباس ، فقال : إنكم لتذكرون رجلا كان يسمع وطئ جبريل فوق بيته (٢) .

أخبره النبي ﷺ بشهادته : فعن أَبِي سِنَانٍ الدُّؤَلِيِّ أَنَّهُ عَادَ عَلِيًّا كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ فِي شَكْوَةٍ اشْتَكَاهَا ، فَقَالَ لَهُ : لَقَدْ تَخَوَّفْنَا عَلَيْكَ يَا أَبَا الْحَسَنِ فِي شَكْوِكَ هَذَا ، فَقَالَ : وَلَكِنِّي وَاللهِ مَا تَخَوَّفْتُ عَلَى نَفْسِي مِنْهُ ؛ لأَنِّي سَمِعْتُ الصَّادِقَ الْمَصْدُوقَ ﷺ يَقُولُ : ﴿ **إِنَّكَ سَتُضْرَبُ ضَرْبَةً هَهُنَا ، وَضَرْبَةً هَهُنَا** ﴾ ، وَأَشَارَ إِلَى صُدْغَيْهِ : ﴿ **فَيَسِيلُ دَمُهَا ، حَتَّى يَخْضِبَ لِحْيَتَكَ ، وَيَكُونَ صَاحِبُهَا أَشْقَاهَا ، كَمَا كَانَ عَاقِرُ النَّاقَةِ أَشْقَى ثَمُودَ** ﴾ (٣) .

١- رواه ابن شاهين وأبو نعيم في فضائل الخلفاء الراشدين عن أبي سعيد الخدري . وابن عساكر في تاريخه والطبري في الرياض النضرة والعصامي في سمط النجوم العوالي عن أبي الحمراء .

٢- أخرجه الإمام أحمد في المناقب والطبري في ذخائر العقبى وفي الرياض النضرة وابن عساكر في تاريخه .

٣- رواه بهذا اللفظ البخاري في التاريخ والبيهقي في السنن وفي المعرفة وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني والحاكم وصححه والطبراني في الكبير والآجري في الشريعة وابن عساكر في تاريخه . ونحوه عند أبي يعلى والخلال وأورده ابن حجر في المطالب العالية وابن عساكر في تاريخه وابن الأثير في أسد الغابة من رواية عثمان بن صهيب عن أبيه . ونحوه عند البزار في البحار الزخار والآجري في الشريعة وأبو نعيم في الدلائل من رواية عمار بن ياسر . ونحوه عند الإمام أحمد في فضائل الصحابة عن الضحاك بن مزاحم . ونحوه عند ابن عساكر والخطيب كلاهما في التاريخ عن جابر بن سمرة .

كلمات نورانية :

رُوي عن كميل بن زياد النخعي ﵁ أنه قال : سألت أمير المؤمنين – علي بن أبي طالب – عَزَّ عِزُّهُ – عن الحقيقة ؟ .

فقال : لست أهلاً لها .

فقلت : يا مولاي ألست صاحب سرك ؟ .

فقال : بلى ، ولكن يرشح عليك ما يطفح مني !

ثم قال : الحقيقة كشف سبحات الجلال من غير إشارة .

فقلت : زدني .

فقال : هي جذب الأحدية لصفة التوحيد بلا علة .

فقلت : زدني .

فقال : محو الموهوم لصحو المعلوم .

فقلت : زدني .

فقال : هي نور يشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التوحيد آثاره .

فقلت : زدني .

فقال : هي هتك الستر لغلبة السر .

فقلت : زدني .

فقال : أطفئ السراج فقد طلع الصباح .

ورُوي عن كعب الأحبار ﷺ أنه قال : كنت في حديقة بني النجار في خدمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، ومعنا سلمان الفارسي والمقداد بن عمرو الكندي وأبو ذر جندب بن جنادة بن سكن الغفاري وعبد الله بن رواحة الأنصاري وعثمان بن مصعر النجاش اليماني وقنبر بن كادان بن غرارة الدوسي –رضوان الله تعالى عليهم أجمعين – فقلت : يا مولاي هل الله تعالى حاضر معنا ، أم غائب عنا بمعزل عن وجودنا ؟ . فالتفت إلي مغضبا ، التفات الأسد ، ثم نظر إلى الجماعة ، وقال : العلم يُبَصِّر أهله ، حتى يعدون أنهم يخرقون ملكوت السماوات والأرض . ثم نظر إلي وقال : يا كعب الأحبار لقد سألتني عن أمر عظيم ، وفيه الخطر ، وغامض في السؤال ، فقال : اعلم أن :

- الله تعالى في كل شيء لا بمقارنة ، وأنه غير كل شيء لا بمزايلة .
- وأنه ليس في الأشياء بوالج ، ولا عنها بخارج .
- إذ لو كان فيها بوالج ، لبطل حكم الظاهر .
- ولو كان عنها خارجاً ، لبطل حكم الباطن .
- وهو الظاهر والباطن .
- فاحذر أن تتهمه وتتوهمه .
- فمن العرفان أن لا تتوهمه ، ومن العدل أن لا تتهمه .
- يا كعب ! إذا تكلمت في ذات الله ؛ توعرت عليك الطرقات .

- وإذا عرفت الله ؛ فلا تمنع المعرفة عن ذوي الاستحقاق ، فإن الله بالمرصاد .

وَرُوي عن سلمان الفارسي ﷺ ، أنه قال : سألت مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : هل الله تعالى مُتَجَلٍّ علينا في هذا الآن ؟ فقال :

- يا سلمان إن العطاء من الله تعالى ، ولكل مستحق موهبة .
- فاجعل نفسك حيث جعلك الله موضعا ، واستوهب منه معرفته ، فبها تنال الرغائب الجليلة .
- وكن أمينا على سره ، وخازنا لعلمه .
- ولا تشك أن الله تعالى متجل بنوره ، ناطق بظهوره ، باد بمشيئته .
- ظاهر بقدرته ، باطن بحكمته ، قاهر بعظمته .
- موجود في كل موجود بعلمه .
- لا غائب ولا مفقود .
- لا يفقده من عرفه ، ولا يجده من وحده .
- ولا يجحد مواقع أنواره من عرف سرًّا من أسراره .
- لا يُهتدى إليه إلا به .
- ظاهر في بطونه ، باطن في ظهوره .
- لا يحيط به شيء وهو بكل شيء محيط إحاطة قدرة وعظمة .

- الكبرياء لباسه ، والعظمة رداؤه ، والعز سناه .
- والقدرة سيفه ، والمشيئة عرشه ، والعلم كرسيه .
- كل ما تمثله الخواطر ؛ فهو بخلافه .
- ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ {الأنعام : ١٠٣} .

وأخرج الحافظ الكنجي الشافعي ، عن حذيفة بن اليمان ﷺ أنه لقي عمر بن الخطاب ﷺ :

فقال له عمر : كيف أصبحت يابن اليمان ؟

فقال : كيف تريدني أصبح ؟ أصبحت والله أكره الحق ، وأحب الفتنة ، وأشهد بما لم أره ، وأحفظ غير المخلوق ، وأصلي على غير وضوء ، ولي في الارض ما ليس لله في السماء . فغضب عمر لقوله ، وانصرف من فوره ، وقد أعجله أمر ، وعزم على أذى حذيفة لقوله ذلك ، فبينا هو في الطريق ؛ إذ مر بالإمام علي بن أبي طالب ، كرم الله وجهه ، فرأى الغضب في وجهه ؛

فقال : ما أغضبك يا عمر ؟

فقال : لقيت حذيفة بن اليمان ، فسألته : كيف أصبحت ؟

فقال : أصبحت أكره الحق .

فقال علي : صدق . يكره الموت ، وهو حق ، قال تعالى : ﴿ وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّ ﴾ {ق : ١٩} .

فقال عمر : يقول : وأحب الفتنة .

قال علي : صدق . يحب المال والولد ، وقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ ﴾ {التغابن : ١٥} .

فقال عمر : يا علي ! يقول : وأشهد بما لم أره ! .

فقال علي : صدق . يشهد لله بالوحدانية ، والموت ، والبعث ، والقيامة ، والجنة ، والنار ، والصراط . ولم ير ذلك كله .

فقال عمر : يا علي ! وقد قال : إني أحفظ غير المخلوق ! .

قال علي : صدق . يحفظ كتاب الله تعالى : القرآن ، وهو غير مخلوق .

قال عمر : ويقول : أصلي على غير وضوء ! .

فقال علي : صدق . يصلي على ابن عمي رسول الله ﷺ ، على غير وضوء ، والصلاة عليه جائزة .

فقال عمر : يا أبا الحسن ! قد قال أكبر من ذلك .

فقال علي : وما هو ؟

قال عمر : قال : إن لي في الارض ما ليس لله في السماء .

قال علي : صدق . له الزوجة والولد .

فقال عمر : كاد يهلك ابن الخطاب ، لولا علي بن أبي طالب .

قال الإمام علي كرم الله وجهه : (**لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من تفسير فاتحة الكتاب**) (١) .

ورُوي أنه قام الإمام علي كرم الله وجهه ، يخطب على المنبر بالكوفة ، فكان من عجيب مقاله : (**سلوني عن طرق السماء ، فإني أعلم بها من طرق الأرض . سلوني قبل أن تفقدوني ، فإن بين جنبي علوما كثيرة كالبحار الزواخر**) ! اهـ .

١- أورده حجة الإسلام الإمام الغزالي في الإحياء وأبو طالب المكي في قوت القلوب والسيوطي في الإتقان .

● بعض مناقب السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها :

تسميتها :

عن ابن عباس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ **ابنتي فاطمة حوراء آدمية ، لم تحض ولم تطمث ، وإنما سماها الله فاطمة ؛ لأن الله فطمها ومحبيها عن النار** ﴾(١) . اشتقاقها من الفطم ، وهو (القطع) . ومنه : فُطم الصبي : إذا قُطع عنه اللبن .

ألقابها :

لُقِّبت بالزهراء : لأنها زهرة المصطفى ﷺ .

ولُقِّبت بالبتول : لأنه تعالى قطعها عن النساء حسنا وفضلا وشرفا . أو لانقطاعها إلى الله تعالى .

وكُنِّيت بأم أبيها : كانت كُنْيَةُ السيدة فَاطِمَةُ أُمُّ أَبِيهَا (٢) .

وسيدة نساء العالمين : عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها قالت :

١- رواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد وابن جميع الصيداوي في معجم الشيوخ .

٢- رواه الطبراني في الكبير عن مُصْعَبُ بن عَبْدِ اللهِ الزُّبَيْرِيُّ ﷺ ، وعن مُحَمَّدِ بن عَلِيٍّ الْمَدِينِيِّ ﷺ . ورواه ابن عبد البر في الاستيعاب وابن عساكر في تاريخه عن جعفر بن محمد ﷺ .

قال رسول الله ﷺ : ﴿ **يَا فَاطِمَةُ ، أَمَا تَرْضَينَ أَنَّكِ سَيِّدَةُ نِسَاءِ هَذِهِ الأُمَّةِ** . أو قال : **سَيِّدَةُ نِسَاءِ العَالمينَ** ﴾ ؟ (١) .

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ﷺ قال : خرجت يوما فإذا أنا برسول الله ، ﷺ قائم فقال لي : ﴿ **يَا عِمْرَانُ ، فَاطِمَةُ مَرِيضَةٌ ، فَهَلْ لَكَ أَنْ تَعُودَهَا** ﴾ ؟ . قلت : فداك أبي وأمي ، وأي شرف أشرف من هذا ؟ . فقال ﷺ : ﴿ **انْطَلِقْ** ﴾ ، فانطلق رسول الله ﷺ وانطلقت معه ، إِلَى بَابِ فَاطِمَةَ فَاسْتَأْذَنَ ﷺ ، فقَالَتْ : نَعَمْ يَا أَبَتَاهُ ، فَوَاللهِ مَا عَلَيَّ إِلَّا عَبَاءَةٌ . فَقَالَ لَهَا ﷺ : ﴿ **اصْنَعِي بِهَا كَذَا وَكَذَا** ﴾ . فَعَلَّمَهَا كَيْفَ تَسْتَتِرُ ، فَقَالَتْ : وَاللهِ مَا عَلَى رَأْسِي خِمَارٌ . فَأَخَذَ خَلْقَ مُلاءَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ ﷺ ، فَقَالَ : ﴿ **اخْتَمِرِي بِهَا** ﴾ . ثُمَّ أَذِنَت ، فَدَخَلَا . فَقَالَ ﷺ : ﴿ **كَيْفَ نَجِدُك يَا بُنَيَّةُ** ﴾ ؟ . فَقَالَتْ : إِنِّي وَجِعَةٌ ، وَأَنَّهُ لِيَزِيدَنِي أَنَّهُ مَا لِي طَعَامٌ آكُلُهُ . فَبَكَى رَسُولُ اللهِ ﷺ وَبَكَتْ وَبَكَيتُ مَعَهُمَا . فَقَالَ لها : ﴿ **أي بُنيَةَ تَصَبَّرِي** ﴾ . (مرتين أو ثلاثا) . ثم قَالَ ﷺ : ﴿ **يَا بُنَيَّةُ أَمَا تَرْضِينَ أَنَّكِ سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ** ﴾ ؟ . قَالَتْ : يَا أَبَتِ فَأَيْنَ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ ؟ . فقَالَ ﷺ : ﴿ **تِلْكَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ عَالَمِهَا ، وَأَنْتِ**

١- رواه النسائي في السنن الكبرى والحاكم وصححه والطيالسي والدولابي في الذرية الطاهرة وأبو نعيم في الحلية والمناوي في إتحاف السائل بما لفاطمة من المناقب وابن حجر في الإصابة وابن سعد في الطبقات الكبرى .

سَيِّدَةُ نِسَاءِ عَالَمِك . أَمَا وَاللهِ زَوَّجْتُكِ سَيِّدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ (١) . وَفِي رِوَايَةٍ : فقال القوم : تالله بنت نبينا ﷺ على هذا الحال ؟ . قال : فالتفت ، فقال ﷺ : ﴿ **أَمَا إِنَّهَا سَيِّدَةُ النِّسَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾ (٢) . رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا .

خصائصها ومكانتها :

عَنْ أُمِّ المؤْمِنِينَ السَّيِّدَة عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَشْبَهَ سَمْتًا وَهَدْيًا وَدَلًّا - وَقَالَ الْحَسَنُ : حَدِيثًا وَكَلَامًا ، وَلَمْ يَذْكُرْ الْحَسَنُ السَّمْتَ وَالْهَدْيَ وَالدَّلَّ - بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ فَاطِمَةَ - كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهَا - كَانَتْ إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ : قَامَ إِلَيْهَا ، فَأَخَذَ بِيَدِهَا ، وَقَبَّلَهَا ، وَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ . وَكَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا : قَامَتْ إِلَيْهِ ، فَأَخَذَتْ بِيَدِهِ ، فَقَبَّلَتْهُ ، وَأَجْلَسَتْهُ فِي مَجْلِسِهَا . فَلَمَّا مَرِضَ النَّبِيُّ ﷺ ، دَخَلَتْ فَاطِمَةُ ، فَأَكَبَّتْ عَلَيْهِ فَقَبَّلَتْهُ ، ثُمَّ رَفَعَتْ رَأْسَهَا فَبَكَتْ ، ثُمَّ أَكَبَّتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ رَفَعَتْ رَأْسَهَا فَضَحِكَتْ . فَقُلْتُ : إِنْ كُنْتُ لأَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ مِنْ أَعْقَلِ نِسَائِنَا ، فَإِذَا هِيَ مِنَ النِّسَاءِ ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ ، قُلْتُ لَهَا : أَرَأَيْتِ حِينَ أَكْبَبْتِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَرَفَعَتِ

١- رواه أبو نعيم في الحلية وابن شاهين في فضائل السيدة فاطمة وابن الأعرابي في معجمه والطبري في ذخائر العقبى والمناوي في إتحاف السائل بما لفاطمة من المناقب وابن عبد البر في الاستيعاب وابن حجر في الإصابة وابن عساكر في تاريخه .

٢- بهذا اللفظ رواه أبو نعيم في الحلية عن جابر بن سمرة ﷺ .

رَأسَكِ فَبَكَيْتِ ، ثُمَّ أَكْبَبْتِ عَلَيْهِ فَرَفَعْتِ رَأْسَكِ فَضَحِكْتِ ، مَا حَمَلَكِ عَلَى ذَلِكَ ؟ قَالَتْ : إِنِّي إِذًا لَبَذِرَةٌ ؛ أخبرني أَنَّهُ مَيِّتٌ مِنْ وَجَعِهِ هَذَا ، فَبَكَيْتُ . ثُمَّ أخبرني أَنِّي أَسْرَعُ أَهْلِهِ لُحُوقًا بِهِ ، فَذَاكَ حِينَ ضَحِكْتُ ! (١) .

عَنْ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلسَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا : ﴿ **إِنَّ اللهَ يَغْضَبُ لِغَضَبِكِ ، وَيَرْضَى لِرَضَاكِ** ﴾ (٢) .

عن الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ قَالَ : إِنَّ عَلِيًّا خَطَبَ بِنْتَ أَبِي جَهْلٍ ، فَسَمِعَتْ بِذَلِكَ فَاطِمَةُ ، فَأَتَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، فَقَالَتْ : يَزْعُمُ قَوْمُكَ أَنَّكَ لَا تَغْضَبُ لِبَنَاتِكَ ، وَهَذَا عَلِيٌّ نَاكِحٌ بِنْتَ أَبِي جَهْلٍ . فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَسَمِعْتُهُ حِينَ تَشَهَّدَ يَقُولُ : ﴿ **أَمَّا بَعْدُ ، أَنْكَحْتُ أَبَا الْعَاصِ بْنَ الرَّبِيعِ ، فَحَدَّثَنِي وَصَدَقَنِي ، وَإِنَّ فَاطِمَةَ بَضْعَةٌ مِنِّي ، وَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَسُوءَهَا ، وَاللهِ لَا تَجْتَمِعُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَبِنْتُ عَدُوِّ اللهِ عِنْدَ رَجُلٍ وَاحِدٍ** ﴾ . فَتَرَكَ عَلِيٌّ الْخِطْبَةَ (٣) . وفي رواية ،

١- رواه أبو داود والترمذي وحسنه والحاكم والنسائي .

٢- رواه الحاكم والطبراني في الكبير (وقال الهيثمي : إسناده حسن) وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني وأبو نعيم في المعرفة والدولابي وابن الغطريف وأبو يعلى والطبري في ذخائر العقبى وابن حجر في الإصابة وابن عساكر في تاريخه وابن الأثير في أسد الغابة .

٣- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والترمذي وأحمد وعبد الرزاق وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني والحاكم وصححه والطبراني في الكبير وأبو يعلى وابن حبان .

أنه ﷺ قال : ﴿ **وَإِنِّي لَسْتُ أُحَرِّمُ حَلَالًا ، وَلَا أُحِلُّ حَرَامًا ، وَلَكِنْ وَاللهِ لَا تَجْتَمِعُ ابْنَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَابْنَةُ عَدُوِّ اللهِ مَكَانًا وَاحِدًا أَبَدًا** ﴾ (١) .

زواجها :

عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مَسْعُودٍ ﷺ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ يَقُولُ ، وَنَحْنُ نَسِيرُ مَعَهُ : ﴿ **إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أُزَوِّجَ فَاطِمَةَ مِنْ عَلِيٍّ** ﴾ (٢) .

الميراث :

عَنْ أم المؤمنين السيدة عَائِشَةَ رضي الله عنها ، أَنَّ السيدة فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَام ، بِنْتَ النَّبِيِّ ﷺ ، أَرْسَلَتْ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ﷺ ، تَسْأَلُهُ مِيرَاثَهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، مِمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْهِ بِالمدِينَةِ وَفَدَك ، وَمَا بَقِيَ مِنْ خُمُسِ خَيْبَرَ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : ﴿ **لَا نُورَثُ ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ** ﴾ . إِنَّمَا يَأْكُلُ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي هَذَا المالِ ، وَإِنِّي وَاللهِ لَا أُغَيِّرُ شَيْئًا مِنْ صَدَقَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، عَنْ حَالِهَا الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَلَأَعْمَلَنَّ فِيهَا بِمَا عَمِلَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ . فَأَبَى أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَدْفَعَ إِلَى فَاطِمَةَ مِنْهَا شَيْئًا ، فَوَجَدَتْ فَاطِمَةُ

١- بهذا اللفظ رواه أحمد والطبري في ذخائر العقبى والمناوي في إتحاف السائل وابن الأثير في أسد الغابة .

٢- رواه الطبراني في الكبير (وقال الهيثمي : رجاله ثقات) والآجري في الشريعة وابن عساكر في تاريخه .

عَلَى أَبِي بَكْرٍ فِي ذَلِكَ ، فَهَجَرَتْهُ ، فَلَمْ تُكَلِّمْهُ حَتَّى تُوُفِّيَتْ (١) . أي أنها – رضي الله عنها – لم تكلمه في أمر الميراث ثانية حتى توفيت .

عن الشعبي قال : لما مرضت فاطمة – رضي الله عنها – أتاها أبو بكر ﷺ ، فاستأذن ، فقال علي كرم الله وجهه : يا فاطمة هذا أبو بكر يستأذن عليك ، فقالت : أتحب ! أن آذن له ؟ . قال : نعم ، فأذنت له ، فدخل عليها يترضاها ، فقال : والله ما تركتُ الدار ، والمال ، والأهل ، والعشيرة إلا ابتغاء مرضاة الله ورسوله ، ومرضاتكم أهل البيت . ثم تَرَضَّاها ، حتى رضيت ، رضي الله تعالى عنهما (٢) .

انظر إلى قصة سيدنا أبي بكر ﷺ مع السيدة فاطمة رضي الله عنها ، وتعلم منها كيفية التعامل مع أهل البيت . فبرغم أن سيدنا أبا بكر ﷺ ينفذ حديث رسول الله ﷺ : ﴿**لَا نُورَثُ ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ**﴾ . إلا أنه ﷺ أحب أن لا تنتقل السيدة فاطمة رضي الله عنها ، دون أن تكون راضية عنه .

١- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وأحمد والبيهقي وابن حبان والطبراني في مسند الشاميين والطحاوي .

٢- رواه البيهقي في السنن والدلائل والاعتقاد (وقال البيهقي : هذا مرسل حسن بإسناد صحيح) وأورده ابن كثير في سيرته وفي البدية والنهاية (وقال : إسناده جيد قوي) والعصامي في سمط النجوم العوالي والذهبي في سير أعلام النبلاء .

إغضاء الجميع عند مرورها يوم القيامة :

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ﴿**إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ، قِيلَ : يَا أَهْلَ الجمْعِ ، غُضُّوا أَبْصَارَكُمْ حَتَّى تَمُرَّ فَاطِمَةُ بنتُ مُحَمَّدٍ ﷺ . فَتَمُرَّ ، وَعَلَيْهَا رِيطَتَانِ خَضْرَاوَانِ**﴾ (١) . رَضِيَ اللهُ عَنْهَا . ريطتان : مفردها ريطة : وهي كل ثوب رقيق لين .

وفاتها رضي الله عنها :

عَاشَتْ السيدة فاطمة رضي الله عنها بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ أَشْهُرٍ ، على أصح الروايات (٢) .

١- رواه الحاكم وصححه والطبراني في الكبير والأوسط وأبو نعيم في المعرفة وأحمد في فضائل الصحابة وتمام في فوائده وابن الأعرابي في معجمه عن الإمام علي كرم الله وجهه . كذا رواه أبو نعيم في الدلائل عن أبي هريرة ﷺ . والخطيب البغدادي في تاريخه عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها .

٢- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وأحمد والبيهقي في السنن وعبد الرزاق وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني والحاكم والطبراني في الكبير وأبو عوانة وابن حبان والدولابي عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها .

• بعض مناقب الحسن والحسين عليهما السلام :

عَنْ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ قَالَ : لَمَا وُلِدَ الْحَسَنُ جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ : ﴿ **أَرُونِي ابْنِي ، مَا سَمَّيْتُمُوهُ ؟** ﴾ . قُلْتُ : سَمَّيْتُهُ حَرْبًا . قَالَ : ﴿ **بَلْ هُوَ حَسَنٌ** ﴾ . فَلَمَّا وُلِدَ الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ﴿ **أَرُونِي ابْنِي ، مَا سَمَّيْتُمُوهُ ؟** ﴾ . قُلْتُ : سَمَّيْتُهُ حَرْبًا ، قَالَ : ﴿ **بَلْ هُوَ حُسَيْنٌ** ﴾ فَلَمَّا وَلَدْتُ الثَّالِثَ ، جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ ، فَقَالَ : ﴿ **أَرُونِي ابْنِي ، مَا سَمَّيْتُمُوهُ ؟** ﴾ . قُلْتُ : حَرْبًا . قَالَ : ﴿ **بَلْ هُوَ مُحَسِّنٌ** ﴾ . ثُمَّ قَالَ : ﴿ **سَمَّيْتُهُمْ بِأَسْمَاءِ وَلَدِ هَارُونَ : شَبَّرُ وَشَبِيرُ وَمُشَبِّرٌ** ﴾ (١) . وهذا منسجم مع ما ورد عنه ﷺ أنه قال للإمام علي كرم الله وجهه : ﴿ **أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى** ﴾ (٢) . فجعل النبي ﷺ الإمام علي كرم الله وجهه كنبي الله هارون عليه السلام ، وسمى أولاده بأسماء أولاده عليه السلام .

عَنْ الإمام عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ قَالَ : الْحَسَنُ أَشْبَهُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مَا بَيْنَ الصَّدْرِ إِلَى الرَّأْسِ ، وَالْحُسَيْنُ أَشْبَهُ بِالنَّبِيِّ ﷺ مَا كَانَ أَسْفَلَ مِنْ ذَلِكَ ! (٣) .

١- رواه أحمد والطبراني في الكبير وابن أبي شيبة والبيهقي في السنن والحاكم وصححه وابن حبان والبخاري في الأدب والدولابي وابن عساكر في تاريخه .

٢- سبق تخريجه .

٣- رواه الترمذي وصححه وأحمد وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني والبيهقي في الدلائل والتبريزي في المشكاة وابن عساكر في تاريخه .

قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿الحسَنُ وَالحسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الجنَّةِ﴾ . وفي رواية زيادة : ﴿وَأَبُوهُمَا خَيْرٌ مِنْهُمَا﴾ (١) .

عن يَعْلَى بْنِ مُرَّةَ ﷺ حَدَّثَ أَنَّهُمْ خَرَجُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى طَعَامٍ دُعُوا لَهُ ، فَإِذَا حُسَيْنٌ يَلْعَبُ فِي السِّكَّةِ ، فَتَقَدَّمَ النَّبِيُّ ﷺ أَمَامَ الْقَوْمِ ، وَبَسَطَ يَدَيْهِ ، فَجَعَلَ الْغُلَامُ يَفِرُّ هَا هُنَا وَهَا هُنَا ، وَيُضَاحِكُهُ النَّبِيُّ ﷺ ، حَتَّى أَخَذَهُ ، فَجَعَلَ إِحْدَى يَدَيْهِ تَحْتَ ذَقْنِهِ ، وَالْأُخْرَى فِي فَأْسِ رَأْسِهِ ، فَقَبَّلَهُ ، وَقَالَ : ﴿حُسَيْنٌ مِنِّي ، وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ . أَحَبَّ اللهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا . حُسَيْنٌ سِبْطٌ مِنْ الْأَسْبَاطِ﴾ (٢) .

عَنْ أُسَامَةَ بْن زَيْدٍ ﷺ قَالَ : طَرَقْتُ النَّبِيَّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ ، فِي بَعْضِ الْحَاجَةِ ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى شَيْءٍ ، لَا أَدْرِي مَا هُوَ ، فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنْ

١- رواه الترمذي وصححه وأحمد وابن أبي شيبة والنسائي في السنن الكبرى والحاكم وصححه والطبراني في الكبير عن أبي سعيد الخدري ﷺ . والترمذي وحسنه وأحمد وابن أبي شيبة والنسائي في السنن الكبرى والحاكم والطبراني في الكبير عن حذيفة ﷺ . وابن أبي شيبة والطبراني في الكبير عن الإمام علي كرم الله وجهه . والنسائي في السنن الكبرى والطبراني في الكبير عن أبي هريرة ﷺ . والطبراني في الكبير عن عمر بن الخطاب ﷺ . وابن ماجة والحاكم عن ابن عمر ﷺ .

٢- رواه الترمذي وحسنه وابن ماجة وأحمد وابن أبي شيبة والحاكم وصححه والطبراني في الكبير وفي مسند الشاميين وابن حبان وأبو نعيم في المعرفة والبخاري في الأدب المفرد والدولابي وابن شاهين وابن عساكر .

حَاجَتِي ، قُلْتُ : مَا هَذَا الَّذِي أَنْتَ مُشْتَمِلٌ عَلَيْهِ ؟ . فَكَشَفَهُ ، فَإِذَا حَسَنٌ وَحُسَيْنٌ عَلَى وَرِكَيْهِ ، فَقَالَ ﷺ : ﴿ **هَذَانِ ابْنَايَ ، وَابْنَا ابْنَتِي . اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُمَا ؛ فَأَحِبَّهُمَا ، وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُمَا** ﴾ (١) .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَعَهُ حَسَنٌ وَحُسَيْنٌ ، هَذَا عَلَى عَاتِقِهِ ، وَهَذَا عَلَى عَاتِقِهِ ، وَهُوَ يَلْثِمُ هَذَا مَرَّةً ، وَيَلْثِمُ هَذَا مَرَّةً ، حَتَّى انْتَهَى إِلَيْنَا ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّكَ تُحِبُّهُمَا ! . فَقَالَ ﷺ : ﴿ **مَنْ أَحَبَّهُمَا فَقَدْ أَحَبَّنِي ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمَا فَقَدْ أَبْغَضَنِي** ﴾ (٢) .

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي نُعْمٍ رضي الله عنه ، أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، سَأَلَ ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما عَنْ دَمِ الْبَعُوضِ يُصِيبُ الثَّوْبَ ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ : انْظُرُوا إِلَى هَذَا ؛ يَسْأَلُ عَنْ دَمِ الْبَعُوضِ ، وَقَدْ قَتَلُوا ابْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : ﴿ **إِنَّ الحسَنَ وَالحسَيْنَ هُمَا رَيْحَانَتَايَ مِنْ الدُّنْيَا** ﴾ (٣) .

١- رواه الترمذي وحسنه وابن أبي شيبة والنسائي في السنن الكبرى وعبد بن حميد والتبريزي في المشكاة وابن عساكر في تاريخه .

٢- رواه أحمد والنسائي في السنن الكبرى والحاكم وصححه والطبراني في الكبير وابن راهويه والآجري في الشريعة .

٣- رواه البخاري في صحيحه والترمذي وصححه والطبراني في الكبير والآجري في الشريعة وابن عساكر في تاريخه .

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ ﷺ قَالَ : أَخْرَجَ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ الْحَسَنَ ، فَصَعِدَ بِهِ عَلَى الْمِنْبَرِ ، فَقَالَ : ﴿ **ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ (١) . وصدق رسول الله ﷺ فيما تنبأ به ، حيث تصالح سيدنا الحسن عليه السلام مع معاوية ، وتنازل له – وهو في أشد قوته – حقناً لدماء المسلمين .

وَعَنْ أُمِّ الْمُؤمِنين أُمّ سَلَمَةَ رَضْيَ اللهُ عنها ، قَالَت أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ اضْطَجَعَ ذَاتَ يَوْمٍ ، فَاسْتَيْقَظَ وَهُوَ خَاثِرُ النَّفْسِ – أي ثَقيل النَّفْس غير طَيِّب ولا نَشيط – وَفِي يَدِهِ تُرْبَةٌ حَمْرَاءُ يُقَلِّبُهَا ، فَقُلْتُ : مَا هَذِهِ التُّرْبَةُ يَا رَسُولَ الله ؟ . فَقَالَ : ﴿ **أَخْبَرَنِي جِبْرِيلُ** عليه السلام **أَنَّ هَذَا يُقْتَلُ بِأَرْضِ الْعِرَاقِ – لِلْحُسَيْنِ – فَقُلْتُ لِجِبْرِيلَ** عليه السلام : **أَرِنِي تُرْبَةَ الأَرْضِ الَّتِي يُقْتَلُ بِهَا ، فَهَذِهِ تُرْبَتُهَا** ﴾ وفي رواية زيادة : قالت السيدة أم سلمة لرسول الله ﷺ : وَمَا هَذِهِ الأَرْض ؟ . قال : ﴿ **هذه كربلاء** ﴾ . فقالت : أرض كرب وبلاء (٢) .

١- رواه البخاري في صحيحه وأبو داود والترمذي وصححه والنسائي وأحمد وابن أبي شيبة والبيهقي في السنن والدلائل وعبد الرزاق والحاكم والطبراني في الكبير والأوسط والصغير والحميدي وابن حبان والطيالسي وابن راهويه والبزار والآجري في الشريعة .

٢- رواه أحمد في مسنده (وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح) وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (واللفظ له) والحاكم في المستدرك وصححه والطبراني في الكبير والبيهقي في الدلائل وعبد بن حميد والآجري في الشريعة .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄ قَالَ : رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ ، بِنِصْفِ النَّهَارِ ، وَهُوَ قَائِمٌ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ، بِيَدِهِ قَارُورَةٌ فِيهَا دَمٌ ، فَقُلْتُ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ الله مَا هَذَا ؟ . قَالَ : ﴿ **هَذَا دَمُ الحسَيْنِ وَأَصْحَابِهِ ، لَمْ أَزَلْ أَلْتَقِطُهُ مُنْذُ الْيَوْمِ** ﴾ . فَأَحْصَيْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ ، فَوَجَدُوهُ قُتِلَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ! (١) .

١- رواه أحمد (وقال الهيثمي : رجال أحمد رجال الصحيح) والحاكم وصححه والطبراني في الكبير والبيهقي في الدلائل وعبد بن حميد والتبريزي في المشكاة وابن عبد البر في الاستيعاب وابن عساكر في تاريخه وابن الأثير في أسد الغابة .

الشيعة والخوارج والسنة :

عَن الإمامِ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ قَالَ : قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ : ﴿ **فِيكَ مَثَلٌ مِنْ عِيسَى : أَبْغَضَتْهُ الْيَهُودُ حَتَّى بَهَتُوا أُمَّهُ ، وَأَحَبَّتْهُ النَّصَارَى حَتَّى أَنْزَلُوهُ بِالمنْزِلَةِ الَّتِي لَيْسَ بِهِ** ﴾ . ثُمَّ قَالَ الإِمَامُ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ : (أَلَا وَإِنَّهُ يَهْلِكُ فِيَّ اثْنَانِ : مُحِبٌّ يُقَرِّظُنِي بِمَا لَيْسَ فِيَّ . وَمُبْغِضٌ يَحْمِلُهُ شَنَآنِي عَلَى أَنْ يَبْهَتَنِي . أَلَا إِنِّي لَسْتُ بِنَبِيٍّ ، وَلَا يُوحَى إِلَيَّ ، وَلَكِنِّي أَعْمَلُ بِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ مَا اسْتَطَعْتُ ، فَمَا أَمَرْتُكُمْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ فَحَقٌّ عَلَيْكُمْ طَاعَتِي فِيمَا أَحْبَبْتُمْ وَكَرِهْتُمْ) (١) .

عَنْ الإمامِ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ قَالَ : (مثلي في هذه الأمة كمثل عيسى ابن مريم عليه السلام : أحبته طائفة ، فأفرطت في حبه ، فهلكت . وأبغضته طائفة ، فأفرطت في بغضه ، فهلكت . وأحبته طائفة ، فاقتصدت في حبه ، فنجت) (٢) .

فالذين اقتصدوا في حبه ، هم من يعرفون بالسنة .

١- رواه البخاري في تاريخه وأحمد في مسنده والحاكم وصححه والنسائي وأبو يعلى والبزار وابن أبي عاصم في السنة والآجري في الشريعة وابن شاهين وأبو نعيم في فضائل الخلفاء الراشدين وابن الأعرابي في معجمه والتبريزي في مشكاة المصابيح وابن عساكر في تاريخه .

٢- رواه أحمد في فضائل الصحابة ورواه عبد الله بن أحمد في السنة .

والذين أفرطوا في حبه ، هم من يعرفون بالشيعة .

والذين أفرطوا في بغضه هم من يعرفون بالخوارج .

فمن الناس من يحب أهل البيت ، ويستفرغ الحب فيهم ، ويروا أن ذلك من أسنى القربات إلى الله ، وكذلك هو ، لو وقفوا ، ولا يزيدون عليه .

إلا أنهم تعدّوا من حب أهل البيت إلى طريقين :

- فمنهم مَن تبدَّى إلى بغضِ الصحابة وسبِّهم ، حيث لم يقدموهم في المناصب الدنيوية ، وتخيلوا أن أهل البيت أولى بهذه المناصب ، فكان منهم ما قد عرف .
- وطائفة زادت إلى سب الصحابة ؛ القدح في رسول الله ﷺ ، وفي جبريل عليه السلام ، وفي الله جل جلاله ، حيث لم ينصوا على رتبتهم ، وتقديمهم في الخلافة للناس حتى أنشد بعضهم : ما كان من بعث الأمين أمينا ...

وهذا كله واقع من أصل صحيح ، وهو حب أهل البيت ، أنتج في نظرهم فكراً فاسداً ، فضلُّوا ، وأضلُّوا ، فانظر ما أدى إليه غلوّهم الذي أخرجهم عن الحد ، فانعكس أمرهم إلى الضد .

آل سيدنا محمد ﷺ :

لا تتخيل أن آل سيدنا محمد ﷺ هم أهل بيته خاصة ، ليس هذا عند العرب ، وقد قال تعالى : ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ {غافر : ٤٦} . يريد خاصته . فإن الآل لا يضاف بهذه الصفة إلا للكبير القدر في الدنيا والآخرة .

قال رسول الله ﷺ في معرض تعليمنا الصلاة عليه : ﴿ **اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ . اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**﴾ (١) .

وقد ثبت أنه ﷺ سيد الناس يوم القيامة (٢) ، ومن كان بهذه المثابة عند

١- رواه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة عن كعب بن عجرة رضي الله عنه . والبخاري والنسائي وابن ماجة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . وابن ماجة عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه .

٢- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والترمذي وأحمد وابن أبي شيبة والنسائي والبيهقي في الدلائل وأبو عوانة وابن حبان وابن المبارك في مسنده وابن منده في الإيمان وابن خزيمة في التوحيد وهناد في الزهد وابن أبي عاصم في السنة وابن أبي الدنيا في الأهوال عن أبي هريرة رضي الله عنه . وأحمد والبيهقي في الدلائل والشعب والدارمي وابن منده في الإيمان والآجري في الشريعة والخرائطي في مكارم الأخلاق عن أنس بن مالك رضي الله عنه . والحاكم وصححه عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه . والحاكم والطبراني في الأوسط وابن أبي عاصم في الأوائل والخرائطي في مكارم الأخلاق عن حذيفة رضي الله عنه .

الله ؛ كيف تُحمل الصلاة عليه ، كالصلاة على إبراهيم عليه السلام من حيث أعيانهما ؟ . فلم يبق إلا أنه ﷺ ألحق آله بالأنبياء في المرتبة ، وزاد على إبراهيم عليه السلام بأنّ شرعه لا يُنسخ ، وبعض شرع إبراهيم ومن بعده نسخت الشرائع بعضها بعضاً . وما علَّمنا رسول الله ﷺ ، الصلاة عليه على هذه الصورة ، إلا بوحي من الله ، وبما أراه الله ، وأن الدعوة في ذلك مجابة ، فقطعنا أن في هذه الأمّة من لحقت درجته درجة الأنبياء ، في النبوة عند الله ، لا في التشريع ، ولهذا بَيَّنَ رسول الله ﷺ ، وأكد بقوله : ﴿ **إِنَّ الرِّسَالَةَ وَالنُّبُوَّةَ قَدْ انْقَطَعَتْ ، فَلَا رَسُولَ بَعْدِي ، وَلَا نَبِيَّ** ﴾ (١) . فأكد بالرسالة من أجل التشريع ، فأكرم الله رسوله ﷺ بأن جعل آله شهداء على أمم الأنبياء ، كما جعل الأنبياء شهداء على أممهم ، ثم أنه خص هذه الأمّة – أعني علماءها – بأن شرع لهم الاجتهاد في الأحكام ، وقرّر حكم ما أدّاه إليه اجتهادهم ، وتعبَّدهم به ، وتعبَّد من قلدهم به ، كما كان حكم الشرائع للأنبياء ومقلديهم ، ولم يكن مثل هذا لأمّة نبيّ ، ما لم يكن نبي بوحي مُنَزَّلٍ ، فجعل الله وحي علماء هذه الأمة في اجتهادهم ، كما قال لنبيه ﷺ : ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ ﴾ {النساء : ١٠٥} .

١– رواه الترمذي وصححه وأحمد والحاكم وصححه عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

فالمجتهد ما حكم إلا بما أراه الله في اجتهاده ، فهذه نفحات من نفحات التشريع ، ما هو عين التشريع ، فلآل سيدنا محمد ﷺ – وهم المؤمنون العلماء من أمته – مرتبة النبوّة عند الله ، تظهر في الآخرة ، وما لها حكم في الدنيا ، إلا هذا القدر من الاجتهاد المشروع لهم ، فلم يجتهدوا في الدين والأحكام ، إلا بأمر مشروع من عند الله . فإن اتفق أن يكون أحد من أهل البيت ، بهذه المثابة من العلم والاجتهاد ، ولهم هذه المرتبة كسيدنا الحسن وسيدنا الحسين وسيدنا جعفر الصادق ، وغيرهم من أهل البيت ، فقد جمعوا بين الأهل والآل ﷺ .

ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال : ﴿ **عُلَمَاءُ هَذِهِ الأُمَّةِ كَأَنْبِيَاءِ سَائِرِ الأُمَمِ** ﴾ . وفي رواية : ﴿ **كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيل** ﴾ . وإن كان إسناد هذا الحديث ليس بالقائم ، ولكن أوردناه تأنيساً للسامعين ، أن علماء هذه الأمة قد التحقت بالأنبياء في الرتبة ، ويؤيد ذلك ما صح عنه ﷺ أنه قال : ﴿ **إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ ، لَمْ يَرِثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا ، وَإِنَّمَا وَرِثُوا الْعِلْمَ . فَمَنْ أَخَذَهُ ؛ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ** ﴾ (١) .

وتلخيص ما ذكرناه هو أن يقول المصلي : اللهم صل على سيدنا محمد ، بأن

١- رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة وأحمد والبيهقي في الشعب والدارمي وابن حبان والطبراني والشهاب وابن أبي شيبة وابن الأعرابي والتبريزي في المشكاة .

تجعل آله من أمّته ، كما صليت على إبراهيم ، بأن جعلت آله أنبياءَ ورسلاً في المرتبة عندك ، وعلى آل سيدنا محمد ، كما صليت على آل إبراهيم ، بما أعطيتهم من التشريع والوحي ، فأعطاهم (الحديث) ، فمنهم (محدثون) (١) وشرع لهم الاجتهاد ، وقرره حكما شرعيا ، فأشبهت الأنبياء في ذلك .

فآل سيدنا محمد هم العظماء بسيدنا محمد ﷺ ، وسيدنا محمد ﷺ مثل السراب ، يعظم من يكن فيه ، وأنت تحسبه محمداً العظيم الشأن ، كما تحسب السراب ماء ، وهو ماء في رأي العين ، فإذا جئت محمداً ﷺ ، لم تجد محمدا ﷺ ، ووجدت الله في صورة محمدية ، ورأيته برؤية محمدية ، كما أنك إذا جئت إلى السراب ؛ لتجده كما أعطاك النظر ، فلم تجده في شيئيته ، كما أعطاك النظر ، ووجدت الله عنده (٢) ، أي عرفت أن معرفتك بالله ، مثل معرفتك بالسراب أنه ماء ، فإذا به ليس ماء ، وتراه العين ماء ، فكذلك إذا قلت : عرفت الله ، وتحققت بالمعرفة ، عرفت أنك ما عرفت الله ، فالعجز عن معرفته هي المعرفة به ، فما حصل بيدك

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : ﴿ **إِنَّهُ قَدْ كَانَ فِيمَا مَضَى قَبْلَكُمْ مِنْ الْأُمَمِ مُحَدَّثُونَ ، وَإِنَّهُ إِنْ كَانَ فِي أُمَّتِي هَذِهِ مِنْهُمْ ؛ فَإِنَّهُ عُمَرُ بْنُ الخطَّابِ**﴾ رواه البخاري في صحيحه وأحمد في فضائل الصحابة والخطيب في تاريخ بغداد وابن عساكر في تاريخ دمشق .

٢- إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ **وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ** ﴾ {النور : ٣٩} . والكفر هنا هو الستر .

إلا أنه لا يتحصل لأحد من خلقه ، وكل من استند إلى الله عظم في القلوب ، وعند العارفين بالله ، وعند العامة ، كما أنه من كان في السراب عظم شخصه في رأي العين ، ويسمى ذلك الشخص آلاً ، وهو في نفسه على خلاف ما تراه العيون ، من التضاؤل تحت جلال الله وعظمته ، كذلك سيدنا محمد يتضاءل تضاؤل السراب في جنب الله ، لوجود الله عنده ، فهذا – إذا فهمت ما قلناه – معنى آل سيدنا محمد ﷺ .

الإمام المهدي رضي الله عنه :

قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿ لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إلا يَوْمٌ ، لَطَوَّلَ اللهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ ، حَتَّى يَبْعَثَ اللهُ فِيهِ رَجُلا مِنِّي ، أَوْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي ، يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي ، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمَ أَبِي ﴾ (١) .

قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿ المَهْدِيُّ مِنْ عِتْرَتِي مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ ﴾ (٢) .

قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿ المَهْدِيُّ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ ، يُصْلِحُهُ اللهُ فِي لَيْلَةٍ ﴾ (٣) .

قَالَ الإِمَامُ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ - وَنَظَرَ إِلَى ابْنِهِ الحَسَن عليه السلام : إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ ، كَمَا سَمَّاهُ النَّبِيُّ ﷺ ، وَسَيَخْرُجُ مِنْ صُلْبِهِ رَجُلٌ ، يُسَمَّى بِاسْمِ نَبِيِّكُمْ ، يُشْبِهُهُ فِي الخَلْقِ ، وَلَا يُشْبِهُهُ فِي الخُلُقِ (٤) .

وذلك لأنه لا يكون أحد مثل رسول الله ﷺ في أخلاقه ، والله تعالى يقول

١- رواه أبو داود والترمذي وصححه وأحمد وابن أبي شيبة والحاكم والطبراني وابن حبان والبزار والشاشي وابن الأعرابي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

٢- رواه أبو داود وابن ماجة والحاكم والطبراني والداني في السنن وحماد في الفتن عن أم المؤمنين السيدة أم سلمة رضي الله عنها .

٣- رواه ابن ماجة وأحمد وابن أبي شيبة وأبو يعلى والبزار وأبو عمرو الداني في السنن عن علي كرم الله وجهه .

٤- رواه أبو داود وحماد في الفتن والتبريزي في المشكاة .

فيه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ {القلم : ٤} .

قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « أُبَشِّرُكُمْ بِالمَهْدِيِّ ، يُبْعَثُ فِي أُمَّتِي عَلَى اخْتِلَافٍ مِنْ النَّاسِ ، وَزَلَازِلَ ، فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا ، كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا ، وَيَرْضَى عَنْهُ سَاكِنُ السَّمَاءِ وَسَاكِنُ الْأَرْضِ ، وَيَمْلَأُ اللهُ قُلُوبَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ غِنًى ، فَلَا يَحْتَاجُ أَحَدٌ إِلَى أَحَدٍ ، فَيُنَادِي مُنَادٍ : مَنْ لَهُ فِي المالِ حَاجَةٌ ؟ . قَالَ : فَيَقُومُ رَجُلٌ ، فَيَقُولُ : أَنَا . فَيُقَالُ لَهُ : ائْتِ السَّادِنَ (يَعْنِي الخازِنَ) فَقُلْ لَهُ : قَالَ لَكَ المهْدِيُّ : أَعْطِنِي . قَالَ : فَيَأْتِي السَّادِنَ ، فَيَقُولُ لَهُ ، فَيُقَالُ لَهُ : احْتَثِي ، فَيَحْتَثِي ، فَإِذَا أَحْرَزَهُ ، قَالَ : كُنْتُ أَجْشَعَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ نَفْسًا ، أَوَعَجَزَ عَنِّي مَا وَسِعَهُمْ ؟ . قَالَ : فَيَمْكُثُ سَبْعَ سِنِينَ أَوْ ثَمَانِ سِنِينَ أَوْ تِسْعَ سِنِينَ . ثُمَّ لَا خَيْرَ فِي الحياةِ ، أَوْ فِي الْعَيْشِ بَعْدَهُ » (١) .

عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « يَكُونُ اخْتِلَافٌ عِنْدَ مَوْتِ خَلِيفَةٍ ، فَيَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ المدِينَةِ هَارِبًا إِلَى مَكَّةَ ، فَيَأْتِيهِ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ، فَيُخْرِجُونَهُ وَهُوَ كَارِهٌ ، فَيُبَايِعُونَهُ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالمقَامِ ، وَيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعْثٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، فَيُخْسَفُ بِهِمْ بِالْبَيْدَاءِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالمدِينَةِ ، فَإِذَا رَأَى النَّاسُ ذَلِكَ ؛ أَتَاهُ أَبْدَالُ الشَّامِ ،

١- رواه أحمد واللفظ له (وقال الهيثمي : رجاله ثقات) وأبو داود وابن أبي شيبة والحاكم وصححه والطبراني وأبو يعلى وابن حبان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

وَعَصَائِبُ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، فَيُبَايِعُونَهُ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالمقَامِ ، ثُمَّ يَنْشَأُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ – أَخْوَالُهُ كَلْبٌ – فَيَبْعَثُ إِلَيْهِمْ بَعْثًا ، فَيَظْهَرُونَ عَلَيْهِمْ ، وَذَلِكَ بَعْثُ كَلْبٍ ، وَالخيْبَةُ لِمَنْ لَمْ يَشْهَدْ غَنِيمَةَ كَلْبٍ . فَيَقْسِمُ المالَ ، وَيَعْمَلُ فِي النَّاسِ بِسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ ﷺ ، وَيُلْقِي الْإِسْلَامُ بِجِرَانِهِ فِي الْأَرْضِ ، فَيَلْبَثُ سَبْعَ سِنِينَ ، ثُمَّ يُتَوَفَّى ، وَيُصَلِّي عَلَيْهِ المسْلِمُونَ﴾ (١) . يلقي الإسلام بجرانه : أي يثبت ويستقر .

وهذا الجيش الذي سيخسف به بالبيداء ، مذكور في الصحيحين ، وهو حجة على من قال ؛ بأنه لا ذكر في أي من الصحيحين ، لهذه الأحداث التي نتكلم عنها : فعن أم المؤمنين السيدة عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : عَبَثَ رَسُولُ الله ﷺ فِي مَنَامِهِ ، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ الله صَنَعْتَ شَيْئًا فِي مَنَامِكَ لَمْ تَكُنْ تَفْعَلُهُ ، فَقَالَ : ﴿الْعَجَبُ إِنَّ نَاسًا مِنْ أُمَّتِي يَؤُمُّونَ بِالْبَيْتِ ، بِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، قَدْ لَجَأَ بِالْبَيْتِ ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْبَيْدَاءِ ، خُسِفَ بِهِمْ﴾ . فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ الله إِنَّ الطَّرِيقَ قَدْ يَجْمَعُ النَّاسَ ! . قَالَ : ﴿نَعَمْ ، فِيهِمْ المسْتَبْصِرُ وَالمجْبُورُ وَابْنُ السَّبِيلِ . يَهْلِكُونَ مَهْلَكًا وَاحِدًا ، وَيَصْدُرُونَ مَصَادِرَ شَتَّى ،

١- رواه أبو داود وأحمد وابن أبي شيبة والحاكم والطبراني (وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح) وابن حبان وأبو عمرو الداني في الفتن وابن راهويه والتبريزي في المشكاة عن أم المؤمنين السيدة أم سلمة رضي الله عنها .

يَبْعَثُهُمْ اللهُ عَلَى نِيَّاتِهِمْ﴾ (١) .

وهذا الرجل من قريش - المذكور في هذه الأحاديث – المقصود به هو المهدي الذي نتكلم عنه ، وكما ذكرنا سابقا أن لفظ (المهدي) ليس اسما له ، وأن اسمه على اسم نبينا ، واسم أبيه كاسم أب نبينا ، لذا فإن اسمه : محمد أو أحمد بن عبد الله . ولكن (المهدي) هو لقب يُطلق عليه ، لاتباعه سنة نبينا ، وحكمه في الناس بالعدل ، وانتشار الإسلام ، والخير في أيامه .

ويفتح المهدي القسطنطينية بالتكبير ، فَقَد ورد عَنْ النَّبِيَّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : ﴿**سَمِعْتُمْ بِمَدِينَةٍ جَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَرِّ ، وَجَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَحْرِ**﴾ . قَالُوا : نَعَمْ يَا رَسُولَ الله . قَالَ : ﴿**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَغْزُوَهَا سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ بَنِي إِسْحَقَ ، فَإِذَا جَاءُوهَا ، نَزَلُوا ، فَلَمْ يُقَاتِلُوا بِسِلَاحٍ ، وَلَمْ يَرْمُوا بِسَهْمٍ ، قَالُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ . فَيَسْقُطُ أَحَدُ جَانِبَيْهَا** . قَالَ ثَوْرٌ : لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ : ﴿**الَّذِي فِي الْبَحْرِ**﴾ . ﴿**ثُمَّ يَقُولُوا الثَّانِيَةَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ . فَيَسْقُطُ جَانِبُهَا الْآخَرُ . ثُمَّ يَقُولُوا الثَّالِثَةَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ . فَيُفَرَّجُ لهمْ فَيَدْخُلُوهَا ، فَيَغْنَمُوا ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ المغَانِمَ ؛ إِذْ جَاءَهُمْ الصَّرِيخُ ،**

١- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما (واللفظ لمسلم) عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها . ومسلم في صحيحه عن أم المؤمنين السيدة أم سلمة رضي الله عنها . ومسلم في صحيحه عن أم المؤمنين السيدة حفصة رضي الله عنها .

فَقَالَ : إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَرَجَ ، فَيَتْرُكُونَ كُلَّ شَيْءٍ وَيَرْجِعُونَ﴾ (١) .

وينزل عيسى ابن مريم عليه السلام ، فيصلي خلف إمام من هذه الأمة ، كما ورد في الصحيح عن النَّبِيِّ ﷺ إنه قال : ﴿لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الحَقِّ ، ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ : تَعَالَ ، صَلِّ لَنَا . فَيَقُولُ : لَا ، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ ، تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ﴾ (٢) .

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ﴿كَيْفَ أَنْتُمْ ، إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ ، وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ﴾ ؟ (٣) .

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ﴿وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ؛ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا ، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ ، وَيَقْتُلَ

١- رواه مسلم في صحيحه (واللفظ له) والحاكم والتبريزي في المشكاة عن أبي هريرة رضي الله عنه . وقال الحاكم في نهاية الحديث : « يقال إن هذه المدينة هي القسطنطينية . قد صحت الرواية أن فتحها مع قيام الساعة » .

٢- رواه مسلم في صحيحه والبيهقي في السنن والطبراني في الأوسط والطبري في تهذيب الآثار وأبو عوانة وابن حبان وابن منده في الإيمان وابن بشران في أماليه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه .

٣- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وأحمد والطبراني وأبو عوانة وابن حبان والبيهقي وابن منده وابن الأعرابي عن أبي هريرة رضي الله عنه .

الْخِنْزِيرَ ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ . وَيَفِيضَ المالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ . حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا﴾ . ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ : وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ {النساء : ١٥٩} (١) .

وعن حذيفة بن اليمان ﷺ عن رسول الله ﷺ ، في قصة المهدي ﷺ ، وفتحه لرومية ، قال : ﴿ ثُمَّ يُكَبِّرُونَ عَلَيها أَرْبَع تَكْبِيرَات ، فَيَسْقُطْ حَائِطَهَا ، وَإِنَّما سُمِّيَتْ رُومِيَّةُ ، لأنها كَرُمَّانَةٍ مِنْ كَثْرَةِ الخَلْقِ ، فَيَقْتُلُونَ بِهَا سِتَّمِائَةِ أَلْف ، وَيَسْتَخْرِجُونَ مِنْهَا حلي بَيْتِ المَقْدِسِ ، وَالتَّابُوتَ الذي فيه السَّكِينَةَ ، وَمَائِدَةَ بَنِي إِسْرَائيلَ ، وَرُضَاضَةَ الأَلْوَاحِ ، وَعَصَا مُوسَى ، ومِنْبَرَ سُلَيَمانَ ، وَقَفِيزَينِ مِنَ المَنِّ الذي أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ، أَشَدَّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ﴾ (٢) .
الرضاض : الفتات ، أو القطع الصغيرة .

١- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما (واللفظ لهما) والترمذي وصححه وابن ماجة وأحمد والطبراني وابن أبي شيبة والبيهقي وابن حبان وابن منده عن أبي هريرة ﷺ .

٢- رواه نعيم بن حماد في الفتن وأبو عمرو الداني في السنن عن حذيفة بن اليمان ﷺ .

السيد أبو طالب عم النبي ﷺ :

عَنْ ابْنِ المسَيَّبِ عَنْ أَبِيهِ ﷺ أَنَّ أَبَا طَالِبٍ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ ، دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ ، وَعِنْدَهُ أَبُو جَهْلٍ ، فَقَالَ : ﴿ **أَيْ عَمِّ ؛ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ** ﴾ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ : يَا أَبَا طَالِبٍ تَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ المطَّلِبِ ؟ فَلَمْ يَزَالَا يُكَلِّمَانِهِ ، حَتَّى قَالَ آخِرَ شَيْءٍ كَلَّمَهُمْ بِهِ : عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ المطَّلِبِ (١) . وعبد المطلب جد النبي ﷺ كان يعلم أن للبيت ربا يحميه ، في قصة أبرهة كما هو معلوم .

والحديث في الصحيح اشترط فقط العلم بتوحيد الله ، وليس النطق بكلمة التوحيد ، حيث قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ﴿ **مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الجَنَّةَ** ﴾ (٢) . ولم يشترط النطق بها .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِعَمِّهِ : ﴿ **قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ أَشْهَدُ لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾ . قَالَ : لَوْلَا أَنْ تُعَيِّرَنِي قُرَيْشٌ ؛ يَقُولُونَ : إِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى

١- رواه البخاري في صحيحه والنسائي وأحمد وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني والطبراني في الكبير والبيهقي في الدلائل وأبو عوانة وأبو نعيم في المعرفة .

٢- رواه مسلم وأحمد وابن أبي شيبة والنسائي والحاكم والطبراني في الأوسط وأبو عوانة وابن حبان وعبد بن حميد وابن منده في الإيمان والبيهقي في الاعتقاد والبزار في البحار الزخار وابن خزيمة في التوحيد عن عثمان بن عفان ﷺ .

ذَلِكَ الجَزَعُ ، لَأَقْرَرْتُ بِهَا عَيْنَكَ . فَأَنْزَلَ اللهُ : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ {القصص : ٥٦} (١) .

فهنا أقر السيد أبو طالب بأن عدم نطقه بالشهادة ، هو خوفه من المعايرة . وليس عدم التصديق بالرسالة ، ولا عدم الإقرار بوحدانية الله ، ولا عدم الإقرار برسالة النبي ﷺ .

والآية في آخر الحديث ، تنبئ أن معيار الهدى ليس هو قولي ولا قول آخر ، ولكن هو علم الله : ﴿ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ ويؤيد ذلك ما ورد في الحديث الصحيح : «**إِنَّ النَّاسَ خُلِقُوا عَلَى طَبَقَاتٍ** :

- **فَيُولَدُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا ، وَيَعِيشُ مُؤْمِنًا ، وَيَمُوتُ مُؤْمِنًا .**
- **وَيُولَدُ الرَّجُلُ كَافِرًا ، وَيَعِيشُ كَافِرًا ، وَيَمُوتُ كَافِرًا .**
- **وَيُولَدُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا ، وَيَعِيشُ مُؤْمِنًا ، وَيَمُوتُ كَافِرًا .**
- **وَيُولَدُ الرَّجُلُ كَافِرًا ، وَيَعِيشُ كَافِرًا ، وَيَمُوتُ مُؤْمِنًا** » (٢) .

١- رواه مسلم في صحيحه والترمذي (وحسنه) وأحمد والبيهقي في الشعب والدلائل وابن عساكر في تاريخه عن أبي هريرة رضي الله عنه .

٢- رواه أحمد وعبد الرزاق والطبراني في الأوسط ومعمر بن راشد في الجامع عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . والطبراني في الكبير عن ابن مسعود رضي الله عنه .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِجَارِيَةٍ سَوْدَاءَ أَعْجَمِيَّةٍ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله إِنَّ عَلَيَّ عِتْقَ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ . فَقَالَ لَهَا رَسُولُ الله ﷺ : ﴿ أَيْنَ اللهُ ﴾ ؟ . فَأَشَارَتْ إِلَى السَّمَاءِ بِإِصْبَعِهَا السَّبَّابَةِ . فَقَالَ لَهَا : ﴿ مَنْ أَنَا ﴾ ؟ . فَأَشَارَتْ بِإِصْبَعِهَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَإِلَى السَّمَاءِ ، أَيْ أَنْتَ رَسُولُ الله . فَقَالَ : ﴿ أَعْتِقْهَا ﴾ (١) . فحكم النبي ﷺ بإيمانها ، بالإشارة والرمز ، ولم يطلب منها النطق بالشهادتين . ولا تقل بأن ذلك مقتصر على الأعجمي أو الأخرس ، فقد أمر الله تعالى زكريا أن يمتنع عن الكلام ويلتزم بالرمز ثلاثة أيام ، حيث قال تعالى : ﴿ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾ {آل عمران : ٤١} . وقال تعالى لمريم الصديقة : ﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ {مريم : ٢٦} . لذلك كان ردها لما سألها قومها : ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ﴾ {مريم : ٣٠} .

ثم انظر معي إلى صحة ما استنتجناه ، من أن السيد أبو طالب ، كان يعلم أن ابن أخيه صادق ، وأن دعوته هي الحق ، حيث قال :

١- رواه أبو داود وأحمد والبيهقي في السنن والحارث بن أبي أسامة في بغيته واللالكائي والطبراني في الكبير والأوسط وابن خزيمة في التوحيد عن أبي هريرة ﷺ .

وَاللهِ لَنْ يَصِلُوا إِلَيكَ بِجَمْعِهِم حَتَّى أُوَسَّدَ فِي التُّرَابِ دَفِيناً
فَاصْدَعْ بِأَمْرِكَ مَا عَلَيكَ غَضَاضَةٌ وَابْشِرْ بِذَاكَ وَقِرَّ مِنْكَ عُيُوناً
وَدَعَوْتَنِي وَعَلِمْتُ أَنَّكَ صَادِقٌ وَلَقَدْ صَدَقْتَ وَكُنْتَ ثَمَّ أَمِيناً
وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ مِنْ خَيرِ أَدْيَانِ البَرَايَا دِينـــــاً

فهل تظن أن قائل هذه الأبيات ، لا يعلم بصحة هذا الدين ؟

ولماذا لا يكون حاله كحال مؤمن آل فرعون ، الذي قال الله تعالى عنه : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ {غافر : ٢٨} .

وعن ابن عباس ﷺ ، قال : عارض النبي ﷺ جنازة أبي طالب ، فقال : ﴿ وَصَلتكَ رَحِمٌ ، وَجُزِيتَ خَيراً يَا عَم ﴾ (١) .

١- رواه البيهقي في الدلائل وتمام في فوائده وابن كثير في سيرته وفي تفسيره والعصامي في سمط النجوم العوالي وابن حجر في الإصابة وابن عساكر في تاريخه وابن عدي في الكامل والخطيب في تاريخ بغداد والذهبي في تاريخه والقرطبي في تفسيره عن ابن عباس ﷺ . ورواه عبد الرزاق في مصنفه عن مكحول ﷺ .

وسأل العباس رضي الله عنه النبي ﷺ : ما ترجو لأبي طالب ؟ . فقال ﷺ : ﴿ **كُلَّ الخَيرِ أَرْجُو مِنْ رَبِّي** ﴾ (١) .

فهذه الأخبار تنبئ أن النبي ﷺ كان لا يرجو لعمه إلا كل الخير ، فهل تظن أنه من الأدب مع رسول الله ﷺ أن نرجو – لعمه وناصره وكافله – من الله – غير ذلك ؟ .

انظر معي إلى قوله ﷺ لعمه العباس رضي الله عنه حين آذاه بعض القوم : ﴿ **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ؛ لَا يُؤمِنُ أَحَدُهُمْ حَتَّى يُحِبَّكُم لُحبِّي . أَتَرْجُونَ أَنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِشَفَاعَتِي ، وَلَا يَرْجُوهَا بَنُو عَبْدِ المُطَّلِبِ ؟** ﴾ (٢) .

أعلنها رسول الله ﷺ صريحة واضحة : ﴿ **لا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ ، وَأَهْلِي أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ ، وَذَاتِي أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ ذَاتِهِ** ﴾ (٣) .

ولا تعترض بأن السيد أبو طالب ، ليس من أهل النبي ﷺ ، لقوله تعالى لنوح عليه السلام في ابنه : ﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ ﴾ {هود : ٤٦} .

١- رواه ابن سعد في طبقاته وابن عساكر في تاريخه والذهبي في تاريخ الإسلام عن العباس رضي الله عنه .

٢- رواه الحاكم والطبراني في الأوسط والصغير عن العباس رضي الله عنه .

٣- رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبيهقي في الشعب وفي لباب الأنساب وابن الشجري في أماليه وأبو الشيخ في الثواب والديلمي في الفردوس عن ابن أبي ليلى رضي الله عنه .

وشرح ذلك أنه :

أولا :

ما تعهد الله تعالى لأحد قط ، تعهده للنبي ﷺ أن يعطيه حتى يرضيه ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ {الضُّحى : ٥} . وهو ﷺ لا يرضيه أن يكون عمه الذي أحاطه وكفله ورعاه ، وتحمل الأذي في سبيل نشر دعوته وهي في مهدها ، إلى دخوله الشِّعب ، إلى زمن انتقاله ، لا يرضيه أن يكون بعد ذلك من أهل النار .

ثانيا :

تدبر معي تكملة قوله تعالى لنوح عليه السلام : ﴿ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ {هود : (٤٦ - ٤٧)} . فهنا وقع اللوم على نوح عليه السلام أنه سأل ما ليس له به علم ، وقارن بينه وبين من قالها صراحة : ﴿ **إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللهِ أَنَا** ﴾ (١) .

١- رواه البخاري في صحيحه وأحمد وعبد بن حميد وأبو داود في مسند السيدة عائشة عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها . والحاكم وابن خزيمة عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه .

انظر إليه ﷺ حين استغفر لرأس النفاق (١) ، فخيره الله تعالى ، ثم نهاه ، ولكن بعد أن قال تعالى في المنافقين : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ {النساء : ١٤٥} . أوكل أمرهم للمشيئة ، ولكن ذَيَّلَ الآية بتذكيرنا بأنه غفور رحيم ، وذلك في قوله : ﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ {الأحزاب : ٢٤} . ولا يهمنا ترتيب الأحداث ، أو تسلسل وقوعها ، ولكن المقصود هو إظهار عظم مرتبته ﷺ ، وأنه في كل أحواله لا ينطق عن الهوى ، حيث قال تعالى في حقه : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ {النجم : (٣-٤)} . وأنه ما طلبه ﷺ منه تعالى ، ولم يجبه به في الدنيا ، فسوف يجيبه به في الآخرة

١ – لَمَا تُوُفِّيَ عَبْدُ الله بْنُ أُبَيٍّ ، جَاءَ ابْنُهُ عَبْدُ الله بْنُ عَبْدِ الله إِلَى رَسُولِ الله ﷺ ، فَسَأَلَهُ أَنْ يُعْطِيَهُ قَمِيصَهُ يُكَفِّنُ فِيهِ أَبَاهُ ، فَأَعْطَاهُ ، ثُمَّ سَأَلَهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ ، فَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ ، فَقَامَ عُمَرُ فَأَخَذَ بِثَوْبِ رَسُولِ الله ﷺ ، فَقَالَ يَا رَسُولَ الله : تُصَلِّي عَلَيْهِ وَقَدْ نَهَاكَ رَبُّكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ ؟ . فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « **إِنَّمَا خَيَّرَنِي اللهُ ، فَقَالَ** : ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً ﴾ {التوبة : ٨٠} . **وَسَأَزِيدُهُ عَلَى السَّبْعِينَ** » . قَالَ عُمَر : إِنَّهُ مُنَافِقٌ . قَالَ : فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ فَأَنْزَلَ اللهُ : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾ {التوبة : ٨٤} . رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والبيهقي في السنن والدلائل والطبراني في الكبير والطحاوي عن ابن عمر رضي الله عنهما . والطبراني في الكبير والأوسط والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنهما .

﴿إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴾ {الإسراء : ١٠٨} .

فالسيد أبو طالب من أهل النبي ﷺ ، لا جدال في ذلك ، وكان النبي ﷺ يحبه حبا شديدا ، وكان هو يحب النبي ﷺ حبا يفوق الوصف ، والمرء مع من أحب ، كما قال النبي ﷺ (١) . ولذا فقد وجب علينا حبه ، والدعاء له .

أما دليل حب النبي ﷺ له ؛ هو ما رُوي من أنه قَامَ أَعْرَابِيٌّ ، واشتكى الجدب والجفاف لرسول الله ﷺ ، وَأَنْشَدَ فَقَالَ :

أَتَيْنَاك وَالْعَذْرَاءُ يَدْمَى لَبَانُهَا　　　وَقَدْ شُغِلَتْ أُمُّ الصَّبِيِّ عَنِ الطِّفْلِ

حتى قال :

وَلَيْسَ لَنَا إلَّا إلَيْك فِرَارُنَـــا　　　وَلَيْسَ فِرَارُ النَّاسِ إلَّا إلَى الرُّسُلِ

فَبَكَى النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى اخْضَلَّتْ لِحْيَتُهُ الشَّرِيفَةُ ، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ ، فَحَمِدَ اللهَ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَرَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ : ﴿ اللهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا مُغِيثًا ، عَذْبًا

١- حديث : ﴿المرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ﴾ رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وأحمد عن عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ والترمذي والنسائي والطبراني في الكبير عن صفوان بن عسال ﷺ . كذا رواه البخاري وأحمد عن أبي موسى ﷺ . ورواه أبو داود والترمذي وصححه وأحمد وابن أبي شيبة عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ .

طَيِّبًا ، نَافِعًا غَيْرَ ضَارٍّ ، عَاجِلًا غَيْرَ آجِلٍ » . فَمَا رَدَّ رَسُولُ الله ﷺ يَدَهُ إِلَى صَدْرِهِ ، حَتَّى مَطَرَتْ السَّمَاءُ ، وَجَاءَ أَهْلُ الْبَلَدِ يَصِيحُونَ : الْغَرَقَ الْغَرَقَ يَا رَسُولَ الله . فَضَحِكَ رَسُولُ الله ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ، فَقَالَ : « **اللهُمَّ حَوَالَيْنَا ، وَلَا عَلَيْنَا** » فَانْجَابَتْ السَّحَابَةُ ، حَتَّى أَحْدَقَتْ بِالمَدِينَةِ كَالْإِكْلِيلِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « **لله دَرُّ أَبِي طَالِبٍ ، لَوْ كَانَ حَيًّا لَقَرَّتْ عَيْنَاهُ . مَنْ يُنْشِدُنَا قَوْلَهُ ؟** » . فَقَامَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ، وقَالَ : تَعْنِي يَا رَسُولَ الله قَوْلَهُ :

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ... ثِمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِـــلِ

فَقَالَ ﷺ : « **أَجَلْ** » (١) .

وهذا البيت هو البيت رقم أربعين ، من قصيدة السيد أبو طالب ، التي قالها لما تَمَالَأَتْ قُرَيْش عَلَى النَّبِيّ ﷺ ، وَنَفَّرُوا عَنْهُ مَنْ يُرِيد الْإِسْلَام ، وهي تفيض بالحب للنبي ﷺ ، والإيمان به ، وبرسالته ، تقع في حوالي مائة وعشرة بيتا ، أولها قوله :

خَليلَيَّ ما أُذني لِأَوَّلِ عـــاذِلِ ... بِصَغواءَ في حَقٍّ وَلا عِندَ باطِلِ

وآخرها قوله :

وَلا شَكَّ أَنَّ اللهَ رافِعُ أَمـــرِهِ ... وَمُعليهِ في الدُنيا وَيَومَ التَجادُلِ

١- رواه البيهقي في الدلائل والطبراني في المطولات وفي الدعاء وابن عساكر في تاريخه وأورده ابن حجر في الفتح عن أنس بن مالك ﷺ .

انظر لفيض الحب والحنان ، يتدفقان من هذه الأبيات ، من عم النبي ﷺ على ابن أخيه ، وكذلك تفيض هذه القصيدة بالإيمان ، وتذكر يوم القيامة . وانتبه لاعتزاز النبي ﷺ بها ، وطلبه لمن ينشدها عليه .

وكيف لا نرجو من الله تعالى لعم النبي ﷺ كل الخير ، وقد قال تعالى : ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ﴾ {التحريم : ٨} . فهل تظن من الله تعالى أن يخزي النبي ﷺ في عمه ، وقد أخبرنا تعالى أنه سوف لا يخزيه ، مطلقا ، وبدون أي حَجْرٍ ؟ .

والاعتراض على نجاة السيد أبي طالب بما ورد في الصحيح ؛ من أن النَّبِيَّ ﷺ – وَذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ – فَقَالَ : **«لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ النَّارِ ، يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ ، يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ»** (١) الضحضاح : هو ما رق من الماء على وجه الأرض إلى نحو الكعبين ، واستعير هنا لبيان تخفيف العذاب في النار . ولعل من النبي ﷺ واجبة .

هذا الاعتراض في غير موضعه ، لأن :

- عذاب السيد أبو طالب ليس دليلا على كفره ، وليس دليلا على خلوده في العذاب ، فهناك من المؤمنين من سيعذب في الآخرة .

١– هذا الحديث رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والطبراني في الكبير وأحمد وابن حبان والحاكم والبيهقي في الدلائل وأبو يعلى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

- وهذا الحديث هو عين الدليل على نجاة السيد أبو طالب ، فقد ثبت في هذا الحديث أن النبي ﷺ شفع ، وسيشفع فيه ، وأن شفاعته فيه مقبولة ، وأنه بشفاعة النبي ﷺ خُفف عنه العذاب ، وقد ورد في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أن قال :

- ﴿ شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي ﴾ (١) .
- ﴿ إِنَّ شَفَاعَتِي لِكُلِّ مُسْلِمٍ ﴾ (٢) .
- ﴿ إِنَّ شَفَاعَتِي لِمَنْ مَاتَ لا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا ﴾ (٣) .

وطالما أن هذه هي شروط الشفاعة ، وأن حديث الصحيح يُعلمنا أنه قبلت في السيد أبي طالب شفاعة النبي ﷺ ، بدليل أنه بموجبها خُفِّفَ عنه ، فعلمنا أنه انطبقت عليه هذه الشروط .

١- رواه أبو داود والترمذي وصححه وأحمد والبيهقي في السنن والشعب والحاكم وصححه والطبراني في الكبير والأوسط والصغير وأبو يعلى وابن حبان والشهاب القضاعي في مسنده عن أنس بن مالك ﷺ . والترمذي وحسنه عن ابن مسعود ﷺ . والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب وابن حبان وأبو نعيم في المعرفة عن جابر بن عبد الله ﷺ . والطبراني في الكبير والأوسط عن ابن عباس ﷺ .

٢- رواه الطبراني في الكبير عن عوف بن مالك ﷺ .

٣- رواه أحمد وابن أبي شيبة والطبراني في الكبير وابن حبان وابن أبي عاصم في السنة عن عوف بن مالك ﷺ .

قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿ **أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ** ﴾ (١) فلو فرض – جدلاً – أنه كافر ، وهو أخف أهل النار عذابا ، فسيكون الكافر أهون عذابا حتى من عصاة المؤمنين ، وهذا لا يقول به أحد ! .

قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿ **إِنَّ لِبَنِي أَبِي طَالِب رَحِمًا ، سَأَبُلُّهَا بِبَلَالها** ﴾ (٢) . وفي رواية : ﴿ **إِنَّ لِأَبِي طَالِب رَحِمًا ، سَأَبُلُّهَا بِبَلَالِها** ﴾ (٣) . سأبلها ببلالها : أي سأوفيها حقها مطلقا ، أي في الدنيا وفي الآخرة . وهذا وعد منه ﷺ لعمه ، ولا أوفى بالوعد منه ﷺ .

قال تعالى : ﴿ **فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ** ﴾ {الأعراف : ١٥٧} . فالسيد أبو طالب – كما بَيَّنَا – تنطبق عليه جميع الصفات الواردة في هذه الآية ، فهو إن شاء الله من المفلحين .

فهو عندنا مسلم ، علم ذلك من علم ، وجهله من جهل . وهذا هو ما ندين الله به ، وما نرجوه من الله له ، وما نأمله لهذا السيد المُعظم ، الكبير الشأن ، كافل النبي ﷺ وحاميه ، وصاحبه في الدنيا والآخرة .

١- رواه مسلم في صحيحه وأحمد والبيهقي في الدلائل وفي البعث وأبو عوانة وعبد بن حميد وابن منده في الإيمان وابن أبي الدنيا عن ابن عباس رضي الله عنهما .

٢- بهذا اللفظ رواه الطبراني والحافظ ابن حجر في الفتح عن عمرو بن العاص رضي الله عنه .

٣- بهذا اللفظ رواه ابن عساكر في تاريخه عن عمرو بن العاص رضي الله عنه .

ومن قال بنجاته من أهل السنة كل من : الإمام القرطبي والإمام السبكي والإمام الشعراني والعلامة السحيمي وغيرهم كثير .

وأقل ما يجب في حق هذا السيد ؛ هو تفويض أمره إلى الله ، ومراعاة حرمة رسول الله ﷺ فيه ، وقد ثبت في قصة درة بنت أبي لهب رضي الله عنها – عندما آذاها بعض الناس في أبوها – أنه ﷺ جلس على المنبر ، فقال : **﴿ أَيُّهَا النَّاسُ مَا لِي أُوذَى فِي أَهْلِي ، فَوَاللهِ إِنَّ شَفَاعَتِي لَتَنَالُ حَيَّ حَا ، وَحُكْمَ ، وصَدَاءَ ، وسَلْهَبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾** (١) . وفي رواية أنه ﷺ قال : **﴿ مَا بَالُ أَقْوَامٍ يُؤْذُونَنِي في قَرَابَتِي ؟ . مَنْ آذَى قَرَابَتِي فَقَدْ آذَاني ، وَمَنْ آذَاني فَقَدْ آذَى اللهَ تَعَالَى ﴾** (٢) .

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، وَعَنْ عَمَّارِ بن يَاسِرٍ ، ﭫ ، قَالُوا : قَدِمَتْ دُرَّةُ بنتُ أَبِي لَهَبٍ ، رضي الله عنها ، المدِينَةَ مُهَاجِرَةً ، فَنَزَلَتْ دَارَ رَافِعِ بن المعَلَّى الزُّرَقِيِّ ، فَقَالَ لَهَا نِسْوَةٌ جَالِسِينَ إِلَيْهَا مِنْ بني زُرَيْقٍ : أَنْتِ بنتُ أَبِي لَهَبٍ الَّذِي يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢...﴾ {سورة المسد} . ما يُغْنِي عَنْكِ مُهاجَرُكِ ؟ . فَأَتَتْ دُرَّةُ النَّبِيَّ ﷺ : فَشَكَتْ إِلَيْهِ مَا قُلْنَ لَهَا ، فَسَكَّنَها ، وَقَالَ : **﴿ اجْلِسِي ﴾** . ثُمَّ صَلَّى بِالنَّاسِ الظُّهْرَ ، وَجَلَسَ عَلَى المِنْبَرِ سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَ : **﴿ أَيُّهَا النَّاسُ مَا لِي أُوذَى فِي أَهْلِي ، فَوَاللهِ إِنَّ شَفَاعَتِي لَتُنَالُ بِقَرابَتِي ، حَتَّى : حَا ، وَحُكْمَ ، وصَدَاءَ ، وسَلْهَبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾** . رواه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (واللفظ له) والطبراني في الكبير (وقال الهيثمي : وفيه عبد الرحمن ابن بشير الدمشقي وثقه ابن حبان وضعفه أبو حاتم ، وبقية رجاله ثقات) .

٢- هذه الرواية أوردها الطبري في ذخائر العقبى والصالحي الشامي في سبل الهدى والرشاد عن أبي هريرة رضي الله عنه .

ولا شك أن النطق بقبيح القول في حق السيد أبو طالب ، والتشدق به في مجالس الخاصة والعامة ، وسفهاء الناس ، يؤذي أحفاده من أولاد الإمام علي كرم الله وجهه الموجودين الآن ، ويؤذي أمواتهم في قبورهم ، ويؤذي رسول الله ﷺ ، الذي قال الله تعالى في حقه : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ {التوبة : ٦١} . اللهم ارزقنا حسن الأدب مع رسولك ﷺ وقرابته الذين نزل في حقهم : ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ {الشورى : ٢٣} .

آمين .

القول الفصل في أبوي الرسول ﷺ :

للعلماء في الحكم على أبوي الرسول ﷺ ، عدة مسالك ، تدل على أنهما ناجيان ، وليسا في النار ، بل لا يستحقان منا إلا كل التفخيم والتعظيم والتبجيل ، صرح بذلك جمع من العلماء ، منها :

المسلك الأول :

أنهما – رضي الله عنهما – تُوفيا قبل البعثة ، ولا تعذيب على من تُوفي قبلها ، لقوله تعالى : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ {الإسراء : ١٥} . وقد أجمع علماء الشافعية على أن من مات ، ولم تبلغه الدعوة ، يموت ناجياً . وأنه لا يُقاتَل حتى يُدعى إلى الإسلام ، وأنه إذا قُتل يضمن بالدية والكفارة . نص عليه الإمام الشافعي رضي الله عنه . وقد سُئل الإمام شيخ الإسلام شرف الدين المناوي رضي الله عنه عن والد النبي ﷺ : [هل هو في النار ؟ . فزأر في السائل زأرة شديدة . فقال له السائل : هل ثبت إسلامه ؟ فقال : إنه مات في الفترة ، ولا تعذيب قبل البعثة] اهـ .

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح : [أنهم يمتحنون في الآخرة ، بأن ترفع لهم نار ، فمن دخلها كانت عليه بردا وسلاما ، ومن أبى عُذِّب . أخرجه البزار من حديث أنس وأبي سعيد ، وأخرجه الطبراني من حديث معاذ بن جبل .

وقد صحت مسألة الامتحان في حق المجنون ومن مات في الفترة من طرق صحيحة (١) ، وحكى البيهقي في " كتاب الاعتقاد " أنه المذهب الصحيح] اهـ .

ولما سأل أنصاري النبي ﷺ عن أمه أو عن والديه قائلا : يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ وَعَدَكَ رَبُّكَ فِيهَا أَوْ فِيهِمَا ؟ . فَقَالَ ﷺ : ﴿ **مَا سَأَلْتُهُ رَبِّي . وَمَا أَطْمَعَنِي فِيهِ . وَإِنِّي لأَقُومُ المَقَامَ المحْمُودَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾ (٢) . فهذا الحديث يُشعر بأنه ﷺ

١- عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ سَرِيعٍ ﷺ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ : ﴿ **أَرْبَعَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : رَجُلٌ أَصَمُّ لَا يَسْمَعُ شَيْئًا ، وَرَجُلٌ أَحْمَقُ ، وَرَجُلٌ هَرَمٌ ، وَرَجُلٌ مَاتَ فِي فَتْرَةٍ . فَأَمَّا الْأَصَمُّ فَيَقُولُ : رَبِّ لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَسْمَعُ شَيْئًا . وَأَمَّا الْأَحْمَقُ فَيَقُولُ : رَبِّ لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَالصِّبْيَانُ يَحْذِفُونِي بِالْبَعْرِ . وَأَمَّا الهَرَمُ فَيَقُولُ : رَبِّي لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَعْقِلُ شَيْئًا . وَأَمَّا الَّذِي مَاتَ فِي الْفَتْرَةِ فَيَقُولُ : رَبِّ مَا أَتَانِي لَكَ رَسُولٌ . فَيَأْخُذُ مَوَاثِيقَهُمْ ؛ لَيُطِيعُنَّهُ ، فَيُرْسِلُ إِلَيْهِمْ أَنْ ادْخُلُوا النَّارَ . قَالَ : فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ؛ لَوْ دَخَلُوهَا لَكَانَتْ عَلَيْهِمْ بَرْدًا وَسَلَامًا** ﴾ . رواه أحمد في مسنده وأبو نعيم في أخبار أصبهان . وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ مِثْلَ هَذَا غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ فِي آخِرِهِ : ﴿ **فَمَنْ دَخَلَهَا كَانَتْ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا ، وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا يُسْحَبُ إِلَيْهَا** ﴾ . رواه أحمد في مسنده وابن راهويه وأبو نعيم في أخبار أصبهان . وقال الهيثمي : هذا لفظ أحمد ورجاله في طريق الأسود بن سريع وأبي هريرة رجال الصحيح وكذلك رجال البزار فيهما .

٢- عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ : جَاءَ ابْنَا مُلَيْكَةَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَا : إِنَّ أُمَّنَا كَانَتْ تُكْرِمُ الزَّوْجَ وَتَعْطِفُ عَلَى الْوَلَدِ – قَالَ : وَذَكَرَ الضَّيْفَ – غَيْرَ أَنَّهَا كَانَتْ وَأَدَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ . قَالَ ﷺ : ﴿ **أُمُّكُمَا فِي النَّارِ** ﴾ . فَأَدْبَرَا وَالشَّرُّ يُرَى فِي وُجُوهِهِمَا . فَأَمَرَ ﷺ بِهِمَا ، فَرُدَّا ، فَرَجَعَا =

يرتجي لهما الخير عند قيامه المقام المحمود ، وذلك بأن يشفع لهما ؛ فيوفقا للطاعة إذا امتحنا حينئذ ، كما يمتحن أهل الفترة ، ولا شك في أنه يُقال له ؛ عند قيامه ذلك المقام : ﴿ **سَلْ تُعْطَهْ ، وَقُلْ يُسْمَعْ ،**

= وَالسُّرُورُ يُرَى فِي وُجُوهِهِمَا ، رَجِيَا أَنْ يَكُونَ قَدْ حَدَثَ شَيْءٌ . فَقَالَ ﷺ : ﴿ **أُمِّي مَعَ أُمِّكُمَا** ﴾ . فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ المنَافِقِينَ : وَمَا يُغْنِي هَذَا عَنْ أُمِّهِ شَيْئًا ، وَنَحْنُ نَطَأُ عَقِبَيْهِ ؟ . فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ - وَلَمْ أَرَ رَجُلًا قَطُّ أَكْثَرَ سُؤَالًا مِنْهُ - يَا رَسُولَ الله : هَلْ وَعَدَكَ رَبُّكَ فِيهَا أَوْ فِيهِمَا – قَالَ : فَظَنَّ أَنَّهُ مِنْ شَيْءٍ قَدْ سَمِعَهُ - فَقَالَ ﷺ : ﴿ **مَا سَأَلْتُهُ رَبِّي . وَمَا أَطْمَعَنِي فِيهِ . وَإِنِّي لَأَقُومُ المقَامَ المحْمُودَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾ . فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ : وَمَا ذَاكَ المقَامُ المحْمُودُ ؟ . قَالَ ﷺ : ﴿ **ذَاكَ إِذَا جِيءَ بِكُمْ عُرَاةً حُفَاةً غُرْلًا ، فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُكْسَى إِبْرَاهِيمُ** عليه السلام **. يَقُولُ : اكْسُوا خَلِيلِي ، فَيُؤْتَى بِرَيْطَتَيْنِ بَيْضَاوَيْنِ ، فَلَيَلْبَسْهُمَا ، ثُمَّ يَقْعُدُ فَيَسْتَقْبِلُ الْعَرْشَ . ثُمَّ أُوتَى بِكِسْوَتِي ، فَأَلْبَسُهَا ، فَأَقُومُ عَنْ يَمِينِهِ مَقَامًا لَا يَقُومُهُ أَحَدٌ غَيْرِي ، يَغْبِطُنِي بِهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ . وَيُفْتَحُ نَهَرٌ مِنْ الْكَوْثَرِ إِلَى الحَوْضِ** ﴾ فَقَالَ المنَافِقُونَ : فَإِنَّهُ مَا جَرَى مَاءٌ قَطُّ إِلَّا عَلَى حَالٍ أَوْ رَضْرَاضٍ . قَالَ (الأنصاري) : يَا رَسُولَ الله عَلَى حَالٍ أَوْ رَضْرَاضٍ ؟ قَالَ ﷺ : ﴿ **حَالُهُ المِسْكُ ، وَرَضْرَاضُهُ التُّومُ** ﴾ . قَالَ المنَافِقُ : لَمْ أَسْمَعْ كَالْيَوْمِ ، قَلَّمَا جَرَى مَاءٌ قَطُّ عَلَى حَالٍ أَوْ رَضْرَاضٍ ، إِلَّا كَانَ لَهُ نَبْتَةٌ . فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ : يَا رَسُولَ الله هَلْ لَهُ نَبْتٌ ؟ . قَالَ : ﴿ **نَعَمْ ، قُضْبَانُ الذَّهَبِ** ﴾ . قَالَ المنَافِقُ : لَمْ أَسْمَعْ كَالْيَوْمِ ، فَإِنَّهُ قَلَّمَا نَبَتَ قَضِيبٌ إِلَّا أَوْرَقَ ، وَإِلَّا كَانَ لَهُ ثَمَرٌ . قَالَ الْأَنْصَارِيُّ : يَا رَسُولَ الله هَلْ مِنْ ثَمَرٍ ؟ . قَالَ ﷺ : ﴿ **نَعَمْ أَلْوَانُ الجَوْهَرِ ، وَمَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ ، وَأَحْلَى مِنْ الْعَسَلِ ، إِنَّ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ مَشْرَبًا لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ ، وَإِنْ حُرِمَهُ لَمْ يُرْوَ بَعْدَهُ** ﴾ . رواه أحمد في مسنده والحاكم في مستدركه وصححه والطبراني في الكبير وابن شاهين في الناسخ والمنسوخ .

وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ﴾ (١) كما في الأحاديث الصحيحة ، فإذا سأل ذلك يُعطه .

١- هذا جزء من حديث الشفاعة الذي ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أنه قَالَ : أُتِيَ ﷺ بِلَحْمٍ ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ ، فَنَهَشَ مِنْهَا نَهْشَةً ، ثُمَّ قَالَ : ﴿أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ ؟ . يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ ، الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، يُسْمِعُهُمْ الدَّاعِي ، وَيَنْفُذُهُمْ الْبَصَرُ ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنْ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ ، فَيَقُولُ النَّاسُ : أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ ؟ . أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ ؟ . فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ : عَلَيْكُمْ بِآدَمَ ، فَيَأْتُونَ آدَمَ ﷺ ، فَيَقُولُونَ لَهُ : أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ ، وَأَمَرَ الملائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ . اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا ؟ . فَيَقُولُ آدَمُ : إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنْ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي ، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي ، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ . فَيَأْتُونَ نُوحًا ، فَيَقُولُونَ يَا نُوحُ : إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ . فَيَقُولُ : إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي ، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي ، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ . فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ ، فَيَقُولُونَ يَا إِبْرَاهِيمُ : أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ ، وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ . فَيَقُولُ لَهُمْ : إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ . (فَذَكَرَهُنَّ أَبُو حَيَّانَ فِي الحَدِيثِ) نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي ، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي ، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى . فَيَأْتُونَ مُوسَى ، فَيَقُولُونَ يَا مُوسَى : أَنْتَ رَسُولُ اللهِ ، فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ عَلَى النَّاسِ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ فَيَقُولُ : إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي ، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي ، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ . =

وورد عن ابن عباس رضي الله عنهم ، في قوله تعالى : ﴿ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴾ {الضحى : ٥} . قال : (مِنْ رِضَا مُحَمَّدٍ ؛ أَنْ لا يَدْخُلَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ النَّارَ) (١) .

وفي فَتَاوَى الشَّيْخِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ شِهَابِ الدِّينِ الرَّمْلِيِّ الْأَنْصَارِيِّ الشَّافِعِيِّ ، قال : [وَمِنْ رِضَاهُ ﷺ أَنْ لَا يَدْخُلَ أَحَدٌ مِنْ أَبَوَيْهِ النَّارَ . وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولَ الله ﷺ : ﴿ سَأَلْت رَبِّي أَنْ لَا يُدْخِلَ النَّارَ أَحَدًا

= فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ يَا عِيسَى : أَنْتَ رَسُولُ الله ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ ، وَرُوحٌ مِنْهُ ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ . فَيَقُولُ عِيسَى : إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي ، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي ، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ . فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا ، فَيَقُولُونَ : يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ الله ، وَخَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ، فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ ، شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي . ثُمَّ يُقَالُ : يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ ، سَلْ تُعْطَهْ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ ﴾ . رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والترمذي وأحمد وابن أبي شيبة والنسائي والبيهقي في الدلائل عن أبي هريرة رضي الله عنه . ورواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وابن ماجة وأحمد وابن أبي شيبة والبيهقي في السنن والنسائي عن أنس بن مالك رضي الله عنه . والبخاري والترمذي عن أبي سعيد رضي الله عنه . وأحمد عن ابن عباس رضي الله عنهم . والطبراني في الكبير عن سلمان رضي الله عنه . وغيرهم كثير .

١- أخرجه ابن جرير الطبري من طريق السدي .

مِنْ أَهْلِ بَيْتِي ، فَأَعْطَانِي ذَلِكَ﴾ (١) . وَلِهَذَا لما سُئِلَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرِ بْنُ الْعَرَبِيِّ – أَحَدُ أَئِمَّةِ المالِكِيَّةِ – عَنْ رَجُلٍ قَالَ : إنَّ أَبَا النَّبِيِّ ﷺ فِي النَّارِ ؟ . فَأَجَابَ بِأَنَّ : مَنْ قَالَ إنَّ أَبَا النَّبِيِّ ﷺ فِي النَّارِ فَهُوَ مَلْعُونٌ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ {الأحزاب : ٥٧} . قَالَ : وَلَا أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُقَالَ عَنْ أَبِيهِ ﷺ إِنَّهُ فِي النَّارِ] اهـ .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في الإصابة في ترجمة أبي طالب في القسم الرابع من حرف الطاء من الكنى ، بعد أن أورد قصة الامتحان : [ونحن نرجو أن يدخل عبد المطلب وآل بيته ، في جملة من يدخلها طائعا ، فينجو] اهـ .

وهذا كله يقوي الحديث – الضعيف – الوارد عن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ **إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ ؛ شَفَعْتُ لِأَبِي وَأُمِّي وَعَمِّي أَبِي طَالِب ، وَأَخٍ لِي كَانَ فِي الجَاهِلِيَّةِ**﴾ (٢) . أي أخ من الرضاعة .

١- رواه ابن بشران في أماليه والطبري في ذخائر العقبى وأبو سعد النيسابوري في " شرف المصطفى " وعمر الملا في سيرته وأورده كل من الصالحي الشامي في سبل الهدى والرشاد والحافظ السيوطي في مسالك الحنفا وأورده الديلمي بلا إسناد .

٢- رواه تمام الرازي في فوائده وأورده الطبري في ذخائر العقبى وابن حجر في الإصابة والحافظ ابن عساكر في تاريخه .

المسلك الثاني :

أنهما – رضي الله عنهما – لم يثبت عنهما شرك ، بل كانا على الحنيفية ، دين جدهما إبراهيم عليه السلام ، كما كان على ذلك طائفة من العرب : كزيد بن عمرو بن نفيل ، وورقة بن نوفل وغيرهما .

ودليل ما ذهبنا إليه هو :

- قوله تعالى : ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ {الشعراء : ٢١٩} . قيل معناه أنه ﷺ كان ينتقل نوره من ساجد إلى ساجد ، ويؤيد ذلك ما أورده ابن كثير في تفسيره لهذه الآية ، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : ﴿مِنْ نَبِيٍّ إِلَى نَبِيٍّ ، حَتَّى أَخْرَجَكَ نَبِيًّا﴾ وفي رواية قَالَ : ﴿مَازَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَقَلَّبُ فِي أَصْلابِ الأَنْبِيَاءِ ، حَتَّى وَلَدَتْهُ أُمُّهُ﴾ (١) . وهذا التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما – إذا صحت نسبته إليه – فإنه يرفع كل سلسلة آبائه وأجداده ﷺ إلى درجة النبوة وإن لم يبعثوا ! .
- عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : سألت رسول الله ﷺ ، قلت : فداك أبي وأمي ؛ أين كنت وآدم في الجنة ؟ فتبسم ﷺ حتى بدت ثناياه ، ثم قال :

١– رواه البزار والطبراني في الكبير (وقال الهيثمي : رجالهما رجال الصحيح غير شبيب بن بشر وهو ثقة) وابن أبي حاتم والآجري في الشريعة وأبو نعيم في الدلائل وابن مردويه وابن الأعرابي في معجمه والقاضي عياض في الشفا وابن عساكر في تاريخه وابن سعد في الطبقات .

﴿ كُنْتُ فِي صُلْبِهِ ، ورُكِبَ بِي السَّفِينَةُ فِي صُلْبِ أَبِي نُوحٍ ، وَقُذِفَ بِي فِي صُلْبِ إِبْرَاهِيم . لَمْ يَلْتَقِ أَبَوَايَ قَطُّ عَلَى سِفَاحٍ . لَمْ يَزَلِ اللهُ تَعَالى يَنْقِلُنِي مِنَ الأَصْلَابِ الحَسَنَةِ إِلَى الأَرْحَامِ الطَّاهِرَةِ ، صَفِيٌّ مَهْدِيٌّ . لَا يَتَشَعَّبُ شُعْبَتَانِ إِلَّا كُنْتُ فِي خَيرِهِمَا . قَدْ أَخَذَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالنُّبُوَّةِ مِيثَاقِي ، وَبِالإِسْلامِ عَهْدِي ، ونَشَرَ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ ذِكْرِي ، وبَيَّنَ كُلُّ نَبِيٍّ صِفَتِي ، تُشْرِقُ الأَرْضُ بِنُورِي ، وَالغَمَامُ لِوَجْهِي ، وَعَلَّمَنِي كِتَابَهُ ، وَرَوَى بِي سَحَابَهُ ، وَشَقَّ لِي اسْمًا مِنْ أَسْمَائِهِ ، فَذُو العَرْشِ مَحْمُودٌ وَأَنَا مُحَمَّدٌ ، وَوَعَدَنِي يَحْبُونِي بِالحَوْضِ وَالكَوْثَرِ ، وَأَنْ يَجْعَلَنِي أَوَّلَ شَافِعٍ وَأَوَّلَ مُشَفَّعٍ ، ثُمَّ أَخْرَجَنِي مِنْ خَيْرِ قَرْنٍ لِأُمَّتِي وَهُمُ الحَمَّادُونَ ، يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ ﴾ . قال ابن عباس : فقال لي حسان بن ثابت رضي الله عنه في النبي ﷺ :

مِنْ قَبْلِهَا طِبْتَ فِي الظِّلَالِ وَفِي ... مُسْتَوْدَعٍ يَوْمَ يُخْصَفُ الوَرَقُ
ثُمَّ سَكَنْتَ البِلَادَ لَا بَشَرٌ ... أَنْتَ وَلَا نُطْفَةٌ وَلَا عَلَقُ
مُطَهَّرٌ تَرْكَبُ السَّفِينَ وَقَدْ ... أَلجمَ أَهْلَ الضَّلَالَةِ الغَرَقُ
تُنْقَلُ مِنْ أَصْلُبٍ إِلَى رَحِمٍ ... إِذَا مَضَى عَالَمٌ بَدَا طَبَقُ

فقال النبي ﷺ : ﴿يَرْحَم اللهُ حَسَّانَ﴾ . فقال الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : وجبت الجنة لحسان ورب الكعبة . وفي رواية أن قائل هذه الأبيات هو العباس رضي الله عنه عم الرسول ﷺ (١) .

فقوله ﷺ : ﴿لَا يَتَشَعَّبُ شُعْبَتَانِ إِلَّا كُنْتُ فِي خَيرِهِمَا﴾ معناه أن كل أصوله من الأخيار ، وليس منهم هالك أبدا .

قوله ﷺ : ﴿لَمْ أَزَلْ أُنْقَلُ مِنْ الأَصْلَابِ الحَسَنَةِ إِلَى الأَرْحَامِ الطَّاهِرَةِ﴾ يعلمنا أن كل أصوله مؤمنون . وذلك لأن كل من كان كافراً فهو نجس ، لقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ {التوبة : ٢٨} . فليس بعد الشرك نجاسة . وهذا يخالف نص الحديث السابق .

فإذا اعترض معترض ؛ بأن القرآن نصَّ على أن أبا إبراهيم عليه السلام كان ضالا ، وذلك في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ {الأنعام : ٧٤} . فالرد على ذلك ؛ بأن لفظ الأب قد يطلق على العم ، كما ورد في القرآن ، على لسان أبناء يعقوب ، عليه السلام ، في قوله تعالى : ﴿أَمْ كُنتُمْ

١- رواه ابن عساكر في تاريخه وأبو نعيم في الدلائل والحاكم في معرفة علوم الحديث وابن كثير في سيرته وفي البداية والنهاية .

شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِى قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَـٰعِيلَ وَإِسۡحَـٰقَ ﴾ {البقرة : ١٣٣} . فسموا إسماعيل عليه السلام أباً ليعقوب عليه السلام ، مع أنه كان عماً له ! . ويعزز ما ذهبنا إليه ما ورد في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ ﴾ {الأنعام : ٧٤} . عن مجاهد رضي الله عنه أنه قال : **﴿آزر لم يكن بأبيه ، ولكنه اسم صنم﴾** (١) . وعن السدي أنه قال : **﴿اسم أبيه تارح ، واسم الصنم آزر﴾** (٢) .

- وعن أنس رضي الله عنه قال : خطب النبي صلى الله عليه وسلم فقال : **﴿أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله ، بْنِ عَبْدِ المطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ ، بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيٍّ ، بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ ، بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ ، بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ ، بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ ، بْنِ كِنَانَةِ بْنِ خُزَيْمَةَ ، بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِلْيَاسِ ، بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ ، وَمَا افْتَرَقَ النَّاسُ فِرْقَتَينِ إِلَّا جَعَلَنِي اللهُ في خَيرِهِمَا ، فَأُخْرِجْتُ مِنْ بَينِ أَبَوَيَّ ، فَلَمْ يُصِبْنِي شَيءٌ مِنْ عَهْدِ الجَاهِلِيَّةِ ، وَخَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ ، وَلَمْ أَخْرُجْ مِنْ سِفَاحٍ ، مِنْ لَدُنْ آدَمَ ، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى أَبِي وَأُمِّي ، فَأَنَا**

١- أخرجه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

٢- أخرجه ابن أبي حاتم وابن جرير والسيوطي في الدر المنثور .

خَيْرُكُمْ نَفْسًا ، وَخَيرُكُمْ أَبًا﴾ (١) . فهو ﷺ كان يخطب في جماعة المسلمين ، ومنهم من هو أبوه مسلم ، فقوله لهم : ﴿**وَخَيرُكُمْ أَبًا**﴾ . فنص الحديث أن أباه ﷺ أفضل من آباء كل الجالسين ، ومعناه أنه ناج ، وأنه في الجنة .

- عَن المطَّلِبِ بْنِ أَبِي وَدَاعَةَ ﵁ قَالَ : جَاءَ الْعَبَّاسُ ﵁ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَكَأَنَّهُ سَمِعَ شَيْئًا ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى المِنْبَرِ فَقَالَ : ﴿**مَنْ أَنَا**﴾ ؟ . فَقَالُوا : أَنْتَ رَسُولُ الله – عَلَيْكَ السَّلَامُ – قَالَ : ﴿**أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله بْنِ عَبْدِ المطَّلِبِ . إِنَّ اللهَ خَلَقَ الخلْقَ ، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ فِرْقَةً ، ثُمَّ جَعَلَهُمْ فِرْقَتَيْنِ ، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ فِرْقَةً ، ثُمَّ جَعَلَهُمْ قَبَائِلَ ، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ قَبِيلَةً ، ثُمَّ جَعَلَهُمْ بُيُوتًا ، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ بَيْتًا ، وَخَيْرِهِمْ نَسَبًا**﴾ (٢) . فقل لي بربك : كيف يكون ﷺ في خيرهم بيتاً ونسباً ؛ وهذا البيت ، وهذا النسب في النار ؟ . وفي رواية أخرى أنه : أَتَى نَاسٌ مِنْ الْأَنْصَارِ النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالُوا : إِنَّا لَنَسْمَعُ مِنْ قَوْمِكَ ، حَتَّى يَقُولَ

١- أخرجه البيهقي في الدلائل وابن عساكر في تاريخه والحاكم في المعرفة والسمعاني في الأنساب .

٢- أخرجه الترمذي (وحسنه) وأحمد والبيهقي في الدلائل واللالكائي في شرح الأصول والتبريزي في مشكاة المصابيح والطبري في ذخائر العقبى .

الْقَائِلُ مِنْهُمْ : إِنَّمَا مِثْلُ مُحَمَّدٍ مِثْلُ نَخْلَةٍ نَبَتَتْ فِي كِبَاءٍ (الْكِبَاءُ : الْكُنَاسَةُ) . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ﴿ **أَيُّهَا النَّاسُ ! مَنْ أَنَا** ﴾ ؟ . قَالُوا : أَنْتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ . قَالَ : ﴿ **أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمطَّلِبِ** ﴾ . قَالَ الراوي : فَمَا سَمِعْنَاهُ قَطُّ يَنْتَمِي قَبْلَهَا . ﴿ **أَلَا إِنَّ اللهَ - عَزَّ وَجَلَّ - خَلَقَ خَلْقَهُ ، فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ خَلْقِهِ ، ثُمَّ فَرَّقَهُمْ فِرْقَتَيْنِ ، فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ الْفِرْقَتَيْنِ ، ثُمَّ جَعَلَهُمْ قَبَائِلَ ، فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِهِمْ قَبِيلَةً ، ثُمَّ جَعَلَهُمْ بُيُوتًا ، فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِهِمْ بَيْتًا ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ بَيْتًا ، وَخَيْرُكُمْ نَفْسًا** ﴾ (١) .

انظر إلى تعليق الراوي : (فَمَا سَمِعْنَاهُ قَطُّ يَنْتَمِي قَبْلَهَا) .

هنا لم يقبل النبي ﷺ ردهم على سؤاله عن هويته ، بأنه رسول الله ، ليس لأن ذلك خطأ ، ولكن ليوجه نظرهم ، ويعلمهم بأنه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، فصحح لهم قولهم ، ليعرفهم أنه ليس كما قيل : نخلة نبتت في مزبلة . وأنه ليس هو فقط ناج بنفسه ، دون أهله ونسبه وأصوله ، وأن هذه السلسلة كلها - التي أتى هو ﷺ منها - في الجنة . بل هي خير من الجالسين كلهم - والجالسون كلهم صحابة ! - فهذه السلسلة في أعلى منزلة معه ﷺ ! .

١- هذه الرواية أخرجها أحمد في مسنده (وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح) وابن أبي شيبة والدولابي في الكنى عن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب رضي الله عنه .

• عَن ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ﴿ **إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَسَّمَ الخَلْقَ قِسْمَيْنِ ، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهَا قِسْمًا ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ :** ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴾ {الواقعة : ٢٧} ، ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴾ {الواقعة : ٤١} ، **فَأَنَا مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ، وَأَنَا مِنْ خَيْرِ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ، ثُمَّ جَعَلَ الْقِسْمَيْنِ بُيُوتًا ، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهِمَا بَيْتًا ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ :** ﴿ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ {الواقعة : (٨ – ١٠)} ، **فَأَنَا مِنْ خَيْرِ السَّابِقِينَ ، ثُمَّ جَعَلَ الْبُيُوتَ قَبَائِلَ ، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهَا قَبِيلَةً ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ :** ﴿ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ ﴾ {الحجرات : ١٣} ، **فَأَنَا أَتْقَى وَلَدِ آدَمَ ، وَأَكْرَمُهُمْ عَلَى اللهِ – عَزَّ وَجَلَّ – وَلا فَخْرَ ، ثُمَّ جَعَلَ الْقَبَائِلَ بُيُوتًا ، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهَا بَيْتًا ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ :** ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ {الأحزاب : ٣٣} ﴾ (١) . فهذا الحديث يُعْلِمُنا أن أصوله وآباءه وقبيلته ﷺ هم من أصحاب اليمين ، ثم من السابقين السابقين ، ثم من خيرهم وأكرمهم على الله تعالى .

١– أخرجه الطبراني في الكبير والحكيم الترمذي في نوادر الأصول وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي معاً في الدلائل .

- قال رسول الله ﷺ مفتخراً ، محمساً المسلمين يوم حنين : ﴿**أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ المطَّلِبْ**﴾ (١) . ما أشرف هذا التعريف وما أشد فخر سيدنا عبد المطلب به ؛ انظر إلى رسول الله ﷺ كيف نسب نفسه إلى الله تعالى أولا حيث النبوة ، ثم نسب نفسه إلى جده السيد عبد المطلب . وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن النبي ﷺ قال : ﴿**لَا تَفْتَخِرُوا بِآبَائِكُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ؛ لَمَا يَدَهْدِهُ** (يدحرج) **الجَعْلُ بِمُنْخَرَيْهِ ؛ خَيْرٌ مِنْ آبَائِكُمُ الَّذِينَ مَاتُوا فِي الجَاهِلِيَّةِ**﴾ (٢) . أيعقل أن ينهاهم رسول الله ﷺ عن الافتخار بآبائهم الكفار ، ويفتخر نبي الإسلام ببنوته لكافر . فهو بالقطع ليس بكافر ! .
- عَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ السُّلَمِيِّ رضي الله عنه ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : ﴿**إِنِّي عَبْدُ الله ، فِي أُمِّ الْكِتَابِ ، لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي**

١- قَالَ رَجُلٌ لِلْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه : أَفَرَرْتُمْ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ ؟ . قَالَ : لَكِنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَمْ يَفِرَّ . إِنَّ هَوَازِنَ كَانُوا قَوْمًا رُمَاةً ، وَإِنَّا لما لَقِينَاهُمْ حَمَلْنَا عَلَيْهِمْ ، فَانْهَزَمُوا ، فَأَقْبَلَ المسْلِمُونَ عَلَى الْغَنَائِمِ ، وَاسْتَقْبَلُونَا بِالسِّهَامِ . فَأَمَّا رَسُولُ الله ﷺ ؛ فَلَمْ يَفِرَّ . فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ ، وَإِنَّهُ لَعَلَى بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ ، وَإِنَّ أَبَا سُفْيَانَ آخِذٌ بِلِجَامِهَا ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ : ﴿**أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ المطَّلِبْ**﴾ . رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والترمذي وأحمد وابن أبي شيبة والبيهقي والطبراني وأبو عوانة وأبو يعلى وابن حبان والطيالسي .

٢- رواه أحمد وابن حبان والطيالسي والطبراني والبيهقي والهيثمي في موارد الظمآن .

طِينَتِهِ . وَسَأُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِ ذَلِكَ : دَعْوَةِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ ، وَبِشَارَةِ عِيسَى قَوْمَهُ ، وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ : أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ . وَكَذَلِكَ تَرَى أُمَّهَاتُ النَّبِيِّينَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ﴾ (١) . فموضع الشاهد في هذا الحديث الصحيح هو أنه ﷺ أخبر أن أمه ترى كباقي أمهات النبيين عليهم السلام ، أي أنها مساوية لهن في المنزلة والفضيلة – إن لم تفضلهن ، لفضيلة ابنها ﷺ على سائر الخلق – وقد قال تعالى في أم عيسى عليه السلام : ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ﴾ {المائدة : ٧٥} . وقال الله تعالى في قصة سيدنا موسى عليه السلام : ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ﴾ {طه : (٣٧ – ٤٠)} . وجعل الله تعالى الوحي لأم موسى عليه السلام ، مِنْ مَنِّهِ على موسى ، ثم رد موسى عليه السلام على

١– رواه أحمد والحاكم وصححه والطبراني في الكبير وفي مسند الشاميين والبيهقي في الدلائل وابن حبان في صحيحه وابن جرير وابن بشران في أماليه والتبريزي في المشكاة والبخاري في التاريخ والقاضي عياض في الشفا وابن سعد في الطبقات وابن عساكر في تاريخه والذهبي في تاريخ الإسلام (وقال إسناده حسن إن شاء الله) .

أمه ، كي تقر عينها به ولا تحزن .

كل ذلك مما مَنَّ به الله تعالى على موسى عليه السلام بنص الآيات . فهل يُعقل أن يكون هذا فعل الحق - تبارك وتعالى - بأمهات الأنبياء ، ويكون فعله مع أم خير الخلق ؛ هو إلقاؤها كافرة في النار ؟ .

المسلك الثالث :

قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ {الأنفال : ٣٣} . فما تحقق كونه ﷺ في أَحَدٍ ؛ ككونه في صلب أبيه ورحم أمه . فما انطبقت هذه الآية على أحد من الخلق ، انطباقا جسديا حسيا ومعنويا ، انطباقها على أبوي الرسول ﷺ . وأما باقي الخلق فانطباقها عليهم معنويا فقط . وهذا يقوي الحديث الضعيف الذي ورد عن الإمام علي كرم الله وجهه مرفوعا ، أن النبي ﷺ قال : ﴿**هَبَطَ جِبْرِيلُ عَلَيَّ فَقَالَ : إِنَّ اللهَ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ ، وَيَقُولُ : إِنِّي حَرَّمْتُ النَّارَ عَلَى صُلْبٍ أَنْزَلَكَ ، وَبَطْنٍ حَمَلَكَ ، وَحِجْرٍ كَفَلَكَ**﴾ (١) .

ومعلوم أنه من الخصائص النبوية للمصطفى ﷺ : أنه لا يلج النار ، جوفا فيه قطرة ، من بوله أو دمه ﷺ .

- فعَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ ، قَالَ : حَدَّثَتْنِي حُكَيْمَةُ بنتُ أُمَيْمَةَ بنتُ رُقَيْقَةَ ، عَنْ أُمِّهَا ، أَنَّهَا قَالَتْ : كَان النَّبِيُّ ﷺ يَبُولُ فِي قَدَحِ عِيدَانٍ ، ثُمَّ يَرْفَعُ تَحْتَ سَرِيرِهِ ، فَبَالَ فِيهِ ، ثُمَّ جاءَ ، فَأَرَادَهُ ، فَإِذَا الْقَدَحُ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ ، فَقَالَ لامْرَأَةٍ يُقَالُ لَهَا بَرَكَةُ ، كَانَتْ تَخْدُمُ أُمَّ حَبِيبَةَ ، جاءَتْ بِهَا مِنْ أَرْضِ الْحَبَشَةِ :

١- أورده ابن حجر في لسان الميزان .

﴿أَيْنَ الْبَوْلُ الَّذِي كَانَ فِي الْقَدَحِ﴾ ؟ . قَالَتْ : شَرِبْتُهُ ، فَقَالَ : **﴿لَقَدِ احْتَظَرْتِ مِنَ النَّارِ بِحِظَارٍ﴾** (١) . احتظرت : امتنعت واحتميت .

- عَنْ أُمِّ أَيْمَنَ ، قَالَتْ : قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ اللَّيْلِ إِلَى فَخَّارَةٍ فِي جَانِبِ الْبَيْتِ ، فَبَالَ فِيهَا ، فَقُمْتُ مِنَ اللَّيْلِ ، وَأَنَا عَطْشَانَةُ ، فَشَرِبْتُ مَا فِيهَا ، وَأَنَا لا أَشْعُرُ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّبِيُّ ﷺ ، قَالَ : **﴿يَا أُمَّ أَيْمَنَ ، قَوْمِي فَأَهْرِيقِي مَا فِي تِلْكَ الْفَخَّارَةِ﴾** . قُلْتُ : قَدْ وَاللهِ شَرِبْتُ مَا فِيهَا . قَالَتْ : فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ، ثُمَّ قَالَ : **﴿أَمَا إِنَّكِ لا تَتَّجِعِينَ بَطْنَكِ أَبَدًا﴾** (٢) .

- وعن سلمى امرأة أبي رافع رضي الله عنه ، قالت : كان رسول الله ﷺ فوق بيته جالسا ، فقال : **﴿يَا سَلْمَى ائْتِنِي بِغُسْلٍ﴾** فجئته بإناء فيه سدر ، فصفيته له ، ثم جثا على مرفقة حشوها ليف ، وأنا أصب على رأسه ،

١- رواه الطبراني في الكبير (واللفظ له . وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن أحمد بن حنبل وحكيمة وكلاهما ثقة) والبيهقي في السنن وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني وأبو نعيم في المعرفة وابن المقرئ في معجمه وابن حجر في تلخيص الحبير وفي الإصابة وابن عبد البر في الاستيعاب وابن عساكر في تاريخه .

٢- رواه الطبراني (واللفظ له) وابن حجر في المطالب العالية وفي تلخيص الحبير وأبو نعيم في الدلائل وفي الحلية وابن كثير في سيرته والصالحي في سبل الهدى والرشاد وابن عساكر في تاريخه .

فغسلها ، وإني أنظر إلى كل قطرة تقطر من رأسه في الإناء ، كأنه الدر يلمع ، ثم جئته بماء ، فغسله ، فلما فرغ عن غسله ، قال : ﴿**يَا سَلْمَى أَهْرِيقِي مَا فِي الإِنَاءِ ، فِي مَوْضِعٍ لَا يَتَخَطَّاهُ أَحَدٌ**﴾ فأخذت الإناء ، فشربت بعضه ، ثم أهرقت الباقي على الأرض . فقال لي : ﴿**مَاذَا صَنَعْتِ بِمَا فِي الإِنَاءِ**﴾ ؟ . قلت : يارسول الله حسدت الأرض عليه ، فشربت بعضه ، ثم أهرقت الباقي على الأرض . فقال : ﴿**حَرَّمَ اللهُ بَدَنَكِ عَلَى النَّارِ**﴾ (١) .

- وعن أبي سعيد الخدري ؛ أن أباه مالك بن سنان ، ﷺ ، لما أصيب رسول الله ﷺ في وجهه يوم أحد ، مص دم رسول الله ﷺ وازدرده – أي مَصَّه ثم ابْتَلَعَه – فقيل له : أتشرب الدم ؟ فقال : نعم ، أشرب دم رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : ﴿**خَالَطَ دَمِي دَمَهُ . لَا تَمَسَّهُ النَّارُ**﴾ (٢) .

فمن كان هكذا ، فكيف تُعَذَّبُ أصلاب دفقته ، وأرحام احتوته ، وأم احتملته ، وتكوَّن جسمه من جسمها ، وعظامه من عظامها ، ودمه من دمها ؟ .

١- رواه الطبراني في الأوسط وابن حجر في تلخيص الحبير .

٢- رواه الطبراني في الأوسط . قال الهيثمي : لم أر في اسناده من أجمع على ضعفه.

ولله در من قال :

لِوَالِدَي طَهَ مَقَامٌ عَلِيٌّ   في جَنَّةِ الخُلْدِ وَدَارِ الثَّوَابِ
فَقَطْرَةٌ مِنْ فَضَـلاتٍ لَهُ   في الجَوْفِ تُنْجِي مِنْ أَلِيمِ العِقَابِ
فَكَيفَ أَرْحَامٌ لَهُ قَدْ غَدَتْ   حَامِلَةً تُصْلَى بِنَارِ العَذَابِ ؟

المسلك الرابع :

قال رسول الله ﷺ : ﴿ أَنَا خِيَارٌ مِنْ خِيَارٍ ﴾ (١) .

انظر إلى عظيم أدب رسول الله ﷺ ، حيث ساوى بين نفسه وبين آبائه في الخيرية . وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على وجوب احترام سلسلة آباء رسول الله ﷺ كلهم أجمعين . ولا يحل لأحد أن يذكرهم إلا بالسيادة والتعظيم ، وبكل احترام وتبجيل .

فرسول الله ﷺ في الظاهر هو فرع هذه الأصول الطاهرة .

وفي الباطن هو ﷺ أصلٌ ، والكل له فروع ظاهرة !

١- عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿ إِنَّ اللهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ سَبْعًا ، وثُمَّ خَلَقَ الخلْقَ ، فَاخْتَارَ مِنَ الخلْقِ بَنِي آدَمَ ، ثُمَّ اخْتَارَ مِنْ بَنِي آدَمَ الْعَرَبَ ثُمَّ اخْتَارَ مِنَ الْعَرَبِ مُضَرَ ، ثُمَّ اخْتَارَ مِنْ مُضَرَ قُرَيْشًا ، ثُمَّ اخْتَارَ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ ، ثُمَّ اخْتَارَنِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ ، فَأَنَا خِيَارٌ مِنْ خِيَارٍ ﴾ هذا نص رواية الحافظ ابن حجر العسقلاني في الأمالي المطلقة وقال عنه : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ . وبنفس هذا اللفظ أخرجه السيوطي في جمع الجوامع . وبلفظ فيه : ﴿ أَنَا مِنْ خِيَارٍ إِلَى خِيَارٍ ﴾ رواه الحاكم في المستدرك وفي المعرفة والطبراني والبيهقي في الدلائل والشعب وأبو نعيم في الدلائل . وهناك رواية بنفس هذا المعنى عن وَاثِلَةَ بْنَ الْأَسْقَعِ ﷺ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : ﴿ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَعِيلَ ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ ﴾ رواه مسلم في صحيحه والترمذي وصححه وأحمد وابن أبي شيبة والبيهقي وابن أبي عاصم والطبراني وأبو يعلى وابن حبان في صحيحه والبخاري في تاريخه .

المسلك الخامس :

قال رسول الله ﷺ : ﴿ أَنَا ابْنُ الذَّبِيحَيْنِ ﴾ (١) .

ويقصد رسول الله ﷺ بهما والده سيدنا عبد الله بن عبد المطلب ﷺ وجده سيدنا إسماعيل عليه السلام .

عجيب أمر سيدنا عبد الله حين أخذه والده السيد عبد المطلب ليذبحه وهو مستسلم له غاية الاستسلام إرضاء لله تعالى .

١- بهذا اللفظ أورده كل من الرازي والبيضاوي والزمخشري والثعالبي في تفاسيرهم وذكره كل من الحاكم في المستدرك وابن عساكر في تاريخه بدون إسناد . وقال عنه ابن حجر العسقلاني في الفتح : رويناه في " الخلعيات " من حديث معاوية ، ونقله عبد الله بن أحمد عن أبيه وابن أبي حاتم عن أبيه وأطنب ابن القيم في الهدي في الاستدلال لتقويته . اهـ . وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَعِيدٍ الصُّنَابِحِيِّ ، قَالَ : حَضَرْنَا مَجْلِسَ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ فَتَذَاكَرَ الْقَوْمُ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ بَعْضُهُمُ : الذَّبِيحُ إِسْمَاعِيلُ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : بَلْ إِسْحَاقُ الذَّبِيحُ ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : سَقَطْتُمْ عَلَى الْخَبِيرِ . كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَأَتَاهُ الأَعْرَابِيُّ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، خَلَّفْتُ الْبِلاَدَ يَابِسَةً وَالْمَاءَ يَابِسًا هَلَكَ الْمَالُ وَضَاعَ الْعِيَالُ ، فَعُدْ عَلَيَّ بِمَا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ الذَّبِيحَيْنِ ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ . فَقُلْنَا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمَا الذَّبِيحَانِ ؟ قَالَ : إِنَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ لَمَّا أَمَرَ بِحَفْرِ زَمْزَمَ ؛ نَذَرَ لِلهِ إِنْ سَهَّلَ اللهُ أَمْرَهَا أَنْ يَنْحَرَ بَعْضَ وَلَدِهِ ، فَأَخْرَجَهُمْ ، فَأَسْهَمَ بَيْنَهُمْ ، فَخَرَجَ السَّهْمُ لِعَبْدِ اللهِ ، فَأَرَادَ ذَبْحَهُ ، فَمَنَعَهُ أَخْوَالُهُ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ ، وَقَالُوا : أَرْضِ رَبَّكَ ، وَافْدِ ابْنَكَ . قَالَ : فَفَدَاهُ بِمِائَةِ نَاقَةٍ ، قَالَ : فَهُوَ الذَّبِيحُ ، وَإِسْمَاعِيلُ الثَّانِي . رواه الحاكم في المستدرك وأبو نعيم في المعرفة وكل من الطبري وابن عساكر في تاريخيهما .

هب سيدنا إسماعيل عليه السلام قد استسلم لأمر الله عن نبوة ، فعن أي شيء استسلم سيدنا عبد الله رضي الله عنه ؟

لابد عن شيء عظيم بداخله ، وهل غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونوره فيه ؟

ونحن نعلم أنه لما استجاب سيدنا إبراهيم عليه السلام برضى نفسٍ لأمر الله تعالى بالدخول في النار ؛ نال عليه السلام درجة الخلة ، قال تعالى : ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ {النساء : ١٢٥} .

ولما استجاب سيدنا إسماعيل عليه السلام لأمر الله تعالى في الامتثال للذبح ، نال عليه السلام درجة الصديقية والنبوة والرسالة ، قال تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾ {مريم : ٥٤} .

وكان ما خص أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم من حادثة سيدنا إسماعيل عليه السلام هو تشريع الأضحية في عيد الأضحى .

أما استجابة سيدنا عبد الله رضي الله عنه ، لأبيه سيدنا عبد المطلب رضي الله عنه ، فكانت نتيجتها أن خرج من صلبه سيد الوجود ؛ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وشرعت الدية ، وهي مائة من الإبل ، والتي فدى بها السيد عبد المطلب ابنه السيد عبد الله ، وهذه الدية كم أصلحت بين قبائل بأسرها ، ومنعت عنهم شبح الفناء والقتال .

فما أعظمها من نتائج غيرت وجه العالم ، بل وجه التاريخ كله .

المسلك السادس :

أن الله تعالى أحيا له ﷺ أبويه ، حتى آمنا به .

قال السيوطي : وهذا المسلك مال إليه طائفة كثيرة من حفاظ المحدثين وغيرهم ، منهم ابن شاهين ، والحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي ، والسهيلي ، والقرطبي ، والمحب الطبري ، والعلامة ناصر الدين ابن المنير ، وغيرهم .

عَنْ أُمِّ الْمُؤمِنين السيدة عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ : حَجَّ بِنَا رَسُولُ الله ﷺ حَجَّةَ الْوَدَاعِ ، فَمَرَّ بِي عَلَى عَقَبَةِ الْحَجُونِ ، وَهُوَ بَاكٍ حَزِينٌ مُغْتَمٌّ ، فَبَكَيْت لِبُكَاءِ رَسُولِ الله ﷺ ، ثُمَّ إِنَّهُ طَعَنَ فَنَزَلَ ، فَقَالَ : **﴿ يَا حُمَيْرَاءُ اسْتَمْسِكِي ﴾** . فَاسْتَنَدْت إِلَى جَنْبِ الْبَعِيرِ ، فَمَكَثَ عَنِّي طَوِيلًا مَلِيًّا ، ثُمَّ إِنَّهُ عَادَ إِلَيَّ وَهُوَ فَرِحٌ مُبْتَسِمٌ ، فَقُلْت لَهُ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ الله نَزَلْت مِنْ عِنْدِي ، وَأَنْتَ بَاكٍ حَزِينٌ مُغْتَمٌّ ، فَبَكَيْتُ لِبُكَائِك يَا رَسُولَ الله ، ثُمَّ إِنَّك عُدْتَ إِلَيَّ ، وَأَنْتَ فَرِحٌ تَبْتَسِمُ ، فَعَمَّ ذَا يَا رَسُولَ الله ؟ . فَقَالَ : **﴿ ذَهَبْتُ لِقَبْرِ أُمِّي آمِنَةَ ، فَسَأَلْت اللهَ رَبِّي أَنْ يُحْيِيَهَا ، فَأَحْيَاهَا ، فَآمَنَتْ بِي ﴾** . أَوْ قَالَ : **﴿ فَآمَنَتْ ﴾** . **﴿ وَرَدَّهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴾** (١) .

١- أخرجه القرطبي في التذكرة وأبو بكر الخطيب في كتاب السابق واللاحق ، وابن شاهين في كتاب الناسخ والمنسوخ له بإسناديهما والمحب الطبري في سيرته والدار قطني وابن عساكر كلاهما في غرائب مالك وأورده الرملي في فتاويه والصالحي في سبل الهدى والرشاد .

قَالَ السُّهَيْلِيُّ فِي الرَّوْضِ الْأُنُفِ : ﴿ إِنَّ اللهَ تَعَالَى أَحْيَا لَهُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ ، وَآمَنَا بِهِ ﴾ .

وقال السهيلي بعد إيراده : والله قادر على كل شيء ، وليس تعجز رحمته وقدرته عن شيء ، ونبيه ﷺ أهل أن يُخْتَصَّ بما شاء من فضله ، وينعم عليه بما شاء من كرامته .

وقال العلامة ابن المنير المالكي في المقتفى في شرف المصطفى ﷺ : قد وقع لنبينا ﷺ إحياء الموتى نظير ما وقع لعيسى بن مريم عليه السلام . إلى أن قال : وجاء في حديث أن النبي ﷺ لما مُنع من الاستغفار للكفار ؛ دعا الله أن يحيي له أبويه ، فأحياهما له فآمنا به وصدقاه ، وماتا مؤمنين .

وقال القرطبي : فضائل النبي ﷺ لم تزل تتوالى ، وليس إحياؤهما ، وإيمانهما به ، ممتنعين عقلاً ولا شرعاً ، فقد ورد في القرآن إحياء قتيل بني إسرائيل (١) ، وإخباره بقاتله ، وكان عيسى عليه السلام يحيي الموتى ، وكذلك نبينا ﷺ أحيا الله على يديه جماعة من الموتى ، وإذا ثبت هذا ؛ فما يمنع من إيمانهما بعد إحيائهما ، زيادة في كرامته وفضيلته ﷺ .

وقال ابن عيد – بعد ذكر قصة الإحياء – والأحاديث الواردة في التعذيب :

١- إشارة إلى قوله تعالى في قصة بقرة بني إسرائيل : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ۖ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ {البقرة : (٧٢ – ٧٣)} .

ذكر بعض أهل العلم – في الجمع بين هذه الروايات – ما حاصله أن النبي ﷺ لم يزل راقيا في المقامات السنية ، صاعدا في الدرجات العلية ، إلى أن قبض الله روحه الطاهرة إليه ، وأزلفه إلى ما خصه لديه من الكرامة حين القدوم عليه ، فمن الجائز أن تكون هذه درجة حصلت له ﷺ بعد أن لم تكن ، وأن يكون الإحياء والإيمان متأخرين عن تلك الأحاديث ، فلا تعارض .

واحتجاج الناس على أن أبوي الرسول ﷺ ، سيدخلان النار ، بالحديثين المرويين في الصحيح وهما :

- عَنْ أَنَسٍ ﷺ : أَنَّ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ الله أَيْنَ أَبِي ؟ . فَقَالَ ﷺ : ﴿ **فِي النَّارِ** ﴾ . فَلَمَّا وَلَّى ؛ دَعَاهُ ، قَالَ : ﴿ **إِنَّ أَبِي ، وَأَبَاكَ فِي النَّارِ** ﴾ (١) .
- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : زَارَ النَّبِيُّ ﷺ قَبْرَ أُمِّهِ ، فَبَكَى ، وَأَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ ، فَقَالَ : ﴿ **اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا ، فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي . وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا ، فَأُذِنَ لِي** ﴾ (٢) .

هذا الاحتجاج هو في غير محله ، لأن :

١- رواه مسلم وأبو داود وأحمد والبيهقي والطبراني .

٢- رواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة وأحمد وابن أبي شيبة والبيهقي .

- هذان الحديثان – رغم ورودهما في الصحيح – إلا أن للمحدثين على أولهما تضعيف ، ولولا أننا أخذنا منهجا أن لا نضعف حديثا ورد في الصحيح ؛ لأظهرنا أوجه الضعف فيه .
- وبفرض صحتهما ؛ فلهما وجوه كثيرة للتأويل تخرج أصحابهما من الكفر .
- وبفرض أنه لا معنى لهما غير كفر أصحابهما ؛ فقد ذهب المنصفون من العلماء ، إلى أن حديث الإحياء والإيمان ، يعتبر ناسخاً لهما .
- وبفرض عدم صحة حديث الإحياء ؛ فلا حجر على رحمة الله بأبوي رسوله ﷺ ، كما أوردنا في المسالك على مدار هذا الباب كله .

وقال القرطبي : لا تعارض بين حديث الإحياء وحديث النهي عن الاستغفار ، فإن إحياءهما متأخر عن الاستغفار لهما ، بدليل حديث أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها ، أن ذلك كان في حجة الوداع ، ولذلك جعله ابن شاهين ناسخا ، لما ذكر من الأخبار .

قال العجلوني في كشف الخفاء : [ويمكن الجواب بأن ما في الصحيح كان أولا ، ثم أحياهما الله تعالى ، حتى آمنا به ﷺ ، معجزة له ، وخصوصية لهما ، في نفع إيمانهما به بعد الموت . على أن الصحيح عند الشافعية من الأقوال ؛ أن أهل الفترة ناجون . وقد ألف كثير من العلماء – شكر الله

سعيهم – في إسلام أبوي الرسول ﷺ منهم الحافظ السخاوي ، فإنه قال في المقاصد : وقد كتبت فيه جزءا ، والذي أراه الكف عن هذا إثباتا ونفيا] اهـ .

وما أحسن قول حافظ الشام ابن ناصر الدين :

حَبَا اللهُ النَّبِيَّ مَزِيدَ فَضْلٍ عَلَى فَضْلٍ وَكَانَ بِهِ رَؤُوفَا
فَأَحْيَا امَّهُ وَكَذَا أَبَاهُ لِإِيمَانٍ بِهِ فَضْلاً لَطِيفَا
فَسَلِّمْ فَالقَدِيمُ بِذَا قَدِيرٌ وِإِنْ كَانَ الحَدِيثُ بِهِ ضَعِيفَا

خاتمة :

للحافظ السيوطي نظم جميل في تلخيص تلك المسألة :

إِنَّ الَّذِي بَعَثَ النَّبِيَّ مُحَمَّدا … نَجَّى بِهِ الثَّقَلَينِ مِمَّا يُجْحِفُ
وَلِأُمِّهِ وَأَبِيهِ حُكْمٌ شَائِعٌ … أَبْدَاهُ أَهْلُ العِلْمِ فِيمَا صَنَّفُوا
فَجَمَاعَةٌ أَجْرَوهُمَا مَجْرَى الَّذِي … لَمْ يَأْتِهِ خَبَرُ الدُّعَاةِ المسْعِفُ
وَالحُكْمُ فِيمَنْ لَمْ تَجِئْهُ دَعْوَةٌ … أَنْ لَا عَذَابَ عَلَيْهِ حُكْمٌ يُؤْلَفُ
فَبِذَاكَ قَالَ الشَّافِعِيَّةُ كُلُّهُمْ … وَالأَشْعَرِيَّةُ مَا بِهِمْ مُتَوَقِّفُ
وَبِسُورَةِ الإِسْرَاءِ فِيهَا حُجَّةٌ … وَبِنَحْوِ ذَا فِي الذِّكْرِ آيٌ تُعْرَفُ
وَلِبَعْضِ أَهْلِ الفِقْهِ فِي تَعْلِيلِهِ … مَعْنَى أَرَقُّ مِنَ النَّسِيمِ وَأَلْطَفُ
إِذْ هُمْ عَلَى الفِطْرِ الَّتِي وُلِدُوا وَلَمْ … يَظْهَرْ عِنَادٌ مِنْهُمُ وتخلف
وَنَحَا الإِمَامُ الفَخْرُ رَازِيُّ الوَرَى … مَنْحىً بِهِ لِلسَّامِعِينَ تَشَنُّفُ
قَالَ الأُولَى وَلَدُوا النَّبِيَّ المصْطَفَى … كُلٌّ عَلَى التَّوْحِيدِ إِذْ يَتَحَنَّفُ
مِنْ آدَمٍ لِأَبِيهِ عَبْدِ اللهِ مَا … فِيهِمْ أَخُو شِرْكٍ وَلَا مُسْتَنْكِفُ
فَالمشْرِكُونَ كَمَا بِسُورَةِ تَوْبَةٍ … نَجَسٌ وَكُلُّهُمُ بِطُهْرٍ يُوصَفُ
وَبِسُورَةِ الشُّعَرَاءِ فِيهِ تَقَلُّبٌ … فِي السَّاجِدِينَ فَكُلُّهُمْ مُتَحَنِّفُ

هَذَا كَلَامُ الشَّيْخِ فَخْرُ الدِّينِ فِي ... أَسْرَارِهِ هَطَلَتْ عَلَيهِ الذُّرَّفُ
فَجَزَاهُ رَبُّ العَرْشِ خَيْرَ جَزَائِهِ ... وَحَبَاهُ جَنَّاتِ النَّعِيمِ تُزَخْرَفُ
وَلَقَدْ تَدَيَّنَ فِي زَمَانِ الجَاهِلِـ ... ـيَّـةِ فِرْقَةٌ دِينَ الهُدَى وَتَحَنَّفُوا
زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو وَابْنُ نَوْفَلَ هَكَذَا ... الصِّدِّيقُ مَا شِرْكٌ عَلَيهِ يُعَنَّفُ
قَدْ قَرَرَ السُّبْكِيُّ بِذَاكَ مَقَالَةً ... لِلأَشْعَرِيِّ وَمَا سِواهُ مُزَيَّفُ
إِذْ لَمْ تَزَلْ عَيْنُ الرِّضَا مِنْهُ عَلَى الـ ... ـصِّدِّيقِ وَهْوَ بِطُولِ عُمْرٍ أَحْنَفُ
عَادَتْ عَلَيْهِ صُحْبَةُ الهَادِي فَمَا ... فِي الجَاهِلِيَّةِ لِلضَّلَالَةِ يَعْرِفُ
فَلأُمُّهُ وَأَبُوهُ أَحْرَى سِيَّمَا ... وَرَأَتْ مِنَ الآيَاتِ مَا لَا يُوصَفُ
وَجَمَاعَةٌ ذَهَبُوا إِلَى إِحْيَاءِهِ ... أَبَوَيْهِ حَتَّى آمَنَا لَا خُوَّفُ
وَرَوَى ابْنُ شَاهِينٍ حَدِيثًا مُسْنَدًا ... فِي ذَاكَ لَكِنَّ الحَدِيثَ مُضَعَّفُ
هَذِي مَسَالِكُ لَوْ تَفَرَّدَ بَعْضُهَا ... لَكَفَى فَكَيْفَ بِهَا إِذْ تَتَأَلَّفُ
وَبِحَسْبِ مَنْ لَا يَرْتَضِيهَا صَمْتُهُ ... أَدَبًا وَلَكِنْ أَيْنَ مَنْ هُوَ مُنْصِفُ
صَلَّى الإِلَهُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ... مَا جَدَّدَ الدِّينَ الحَنِيفَ مُحَنَّفُ

كما رأينا ؛ فحكم الشرع فيهما أنهما من الناجين في الآخرة ، لأنهما من أهل الفترة ، ولم يدركا البعثة ، ولا يلزمهم الإيمان برسالات الأنبياء والرسل السابقين ، لأنه كانت رسالاتهم خاصة بأقوامهم ، وليست عامة فلا

يلزمهم الإيمان بها ، وقد قال تعالى : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ {الإسراء : ١٥} .

وأقل واجب شرعي فيهما ، لمن لا يؤمن بنجاتهما ، أن يدع أمرهما لله ، وأن لا يؤذي فيهما رسول الله ﷺ . فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال : ﴿ لا تُؤذُوا الأَحْيَاءَ بِسَبِّ الأَمْوَاتِ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴾ {الأحزاب : ٥٧} .

أما عندنا – على الحقيقة – فأبويه – رضي الله عنهما – من مفاتيح كنوز الجنة . كيف لا ؟ . وبهما فُتحت أقفال الأعطية الإلهية ، بظهور خير البرية ﷺ في هذه الدورة الخلقية . وقد ورد عن رسول الله ﷺ ، أنه قال : ﴿ مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ ؛ فَادْعُوا لَهُ ، حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ﴾ (٢) .

١- رواه ابن عساكر في تاريخه وهناد في الزهد والفاكهي في أخبار مكة وابن سعد والخرائطي .

٢- رواه أبو داود والنسائي وأحمد في مسنده والبيهقي والطبراني وابن حبان وعبد بن حميد والشهاب القضاعي والطيالسي والهيثمي في موارد الظمآن وأبو الشيخ في طبقات المحدثين والتبريزي في مشكاة المصابيح عن ابن عمر ﷺ . وقال الحافظ النووي : إسناده صحيح .

أمر النبي ﷺ بمكافأة من صنع إليك معروفا ، والمكافأة : هي مقابلته بمثل ما أتى به إليك ؛ لأن المكافأة هي المساواة ، ومن أتى إليك من الناس بمعروف ، فاصطنع إليه صنيعة ؛ فإن قابلته بمثله ؛ فقد ساويته ، فحق الله فيه الشكر له على هذه الشريطة ، ومن المصطنع مكافأته بمثله ، فإن عجزت عن مكافأته ، فالإحالة على الله ، وهو الدعاء له ، فكأنك تقول : أنا عاجز عن مكافأته ، وأنت – يا رب – على ذلك أقدر القادرين ، فكافئه عني ، وجازه به ، وهو معنى قول النبي ﷺ : ﴿**مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ ؛ فَقَالَ لِفَاعِلِهِ : جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا ، فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ**﴾ (١) .

ولا يغتر متكبر فيقول : هم كفرة ونحن مسلمون ، فهذا خداع ، فهذا وأمثاله أقول له : انظر إلى فقه من هو أفضل مني ومنك ؛ حبر هذه الأمة : ابن عباس رضي الله عنهما حيث قال : ﴿**لَوْ قَالَ لِي فِرْعَوْنُ : بَارَكَ اللهُ فِيكَ ، قُلْتُ : وَفِيكَ ، وَفِرْعَوْنُ قَدْ مَاتَ**﴾ (٢) .

١- رواه الترمذي (وحسنه) والنسائي والطبراني في الصغير والبيهقي في شعب الإيمان وابن حبان في صحيحه والسني في عمل اليوم والليلة وأبو نعيم في أخبار أصبهان والبزار والتبريزي عن أسامة بن زيد رضي الله عنه . وابن أبي شيبة وابن أبي أسامة وعبد الرزاق والطبراني في الصغير وفي الدعاء والحميدي وعبد بن حميد والبيهقي وتمام والخرائطي والخطيب في تاريخه عن أبي هريرة رضي الله عنه . وابن عساكر في تاريخه عن ابن عمر رضي الله عنهما .

٢- رواه الطبراني في الكبير (وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح) وابن أبي شيبة والبخاري في الأدب وأبو نعيم في الحلية .

فصلى الله وسلم على رسوله ﷺ وعلى آبائه وأصوله الأطهار . آمين .

ومن الأدب علينا نحوهما أن :

- نعتقد أنهما في أعلى درجات الجنان .
- لا نذكرهم إلا بألفاظ السيادة ونصلي عليهما : كقولنا : سيدنا عبد الله وسيدتنا آمنة عليهما الصلاة والسلام .
- محبتهما أكثر من محبة آبائنا وأمهاتنا .
- وأقل ما يجب في حق أبوي رسول الله ﷺ اللذين أهديا للخليقة كلها : الرحمة المهداة (١) : رسول الله ﷺ ، أن ندعوا لهما قائلين : اللهم اجزهم عنا خير الجزاء .

آمين .

١- حديث : «**بُعِثْتُ رَحْمَةً مُهْدَاةً**» أو بلفظ : «**إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ**» رواه الطبراني والحاكم (وصححه) والبيهقي وابن أبي شيبة والدارمي والشهاب القضاعي والرامهرمزي والآجري وابن الأعرابي عن أبي هريرة ﷺ . وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح .

سيدنا إبراهيم عليه السلام ابن رسول الله ﷺ :

هو سيدنا إبراهيم عليه السلام ابن النبي ﷺ من السيدة مارية القبطية رضي الله عنها . وقد كانت السيدة مارية رضي الله عنها ، جارية عظيمة الشأن عند القبط ، أهداها للنبي ﷺ المقوقس ، عظيم القبط بمصر .

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿ **إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ ، وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقِيرَاطُ ، فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا ؛ فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا ، فَإِنَّ لهمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا** ﴾ . أَوْ قَالَ : ﴿ **ذِمَّةً وَصِهْرًا** ﴾ (١) . وعن كَعْبِ بن مَالِكٍ رضي الله عنه ، أَنّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : ﴿ **إِذَا فَتَحْتُمْ مِصْرَ، فَاسْتَوْصُوا بِالْقِبْطِ خَيْرًا ، فَإِنَّ لهمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا** ﴾ (٢) .

علله بقوله (فإن لهم ذمة) : أي حرمة وأمانا من جهة إبراهيم بن المصطفى ﷺ ، فإن أمه السيدة مارية منهم . (ورحما) بفتح فكسر : قرابة ، لأن السيدة هاجر أم سيدنا إسماعيل عليه السلام منهم ، وفي رواية قرابة وصهرا ، فالذمة باعتبار إبراهيم عليه السلام ، والرحم باعتبار هاجر .

١- رواه مسلم في صحيحه وأحمد والبيهقي في السنن والدلائل وابن حبان في صحيحه والطبراني في الأوسط .

٢- رواه الطبراني في الكبير (وقال الهيثمي : رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح) والحاكم وصححه وعبد الرزاق والبيهقي والأصبهاني في الدلائل والطبري في ذخائر العقبى وابن عبد البر في الاستيعاب وابن سعد في طبقاته .

وكانت أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها تقول : [ما غرتُ على امرأة غيرتي على مارية ، وذلك لأنها كانت جميلة ، جعدة الشعر ، وكان رسول الله ﷺ معجباً بها ، ورُزق منها الولد ، وحرمناه] (١) .

ولم تقتصر الغيرة فقط على أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها ، وإنما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : [قلت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : من المرأتان ؟ . قال : عائشة ، وحفصة . وكان بدء الحديث في شأن أمِّ إبراهيم القبطية ، أصابها النبيّ ﷺ في بيت حفصة ، في يومها ، فوجدته حفصة ، فقالت : يا نبيّ الله لقد جئت إليّ شيئًا ما جئتَ إلى أحد من أزواجك بمثله ، في يومي ، وفي دوري ، وعلى فراشي ، قال : ﴿ **أَلا تَرْضينَ أَنْ أُحَرّمهَا ، فَلا أَقْرَبَهَا** ﴾ ؟ . قالت : بلى ، فحرّمها ، وقال : ﴿ **لا تَذْكُرِي ذَلِكَ لِأَحَدٍ** ﴾ ، فذكرته لعائشة ، فأظهره الله عزّ وجلّ عليه ، فأنزل الله : ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ** ﴾ {سورة التحريم} . الآيات كلها ، فبلغنا أن نبيّ الله ﷺ كفر يمينه ، وأصاب جاريته] (٢) .

١- أورده البلاذري في أنساب الأشراف .

٢- رواه ابن جرير وابن المنذر والطبراني وابن مردويه والدارقطني والضياء المقدسي في المختارة عن ابن عباس رضي الله عنهما . والنسائي والحاكم وابن مردويه عن أنس رضي الله عنه . والطبراني وابن مردويه عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وأعطى رسول الله ﷺ أم بردة – مرضعة سيدنا إبراهيم عليه السلام – قطعة من نخل . وقد وضع معاوية رضي الله عنه الجزية عن أهل قرية السيدة مارية في مصر ، إكراماً لإبراهيم ابن رسول الله ﷺ ، واحتراما لرغبة رسول الله ﷺ ، حيث قال : ﴿ **لَوْ عَاشَ إِبْرَاهِيمُ ؛ لَوَضَعْتُ الْجِزْيَةَ عَنْ كُلِّ قِبْطِيٍّ** ﴾ (١) . ورُوي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ : لما مَاتَ إِبْرَاهِيمُ ابْنُ رَسُولِ الله ﷺ ، صَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ ، وَقَالَ : ﴿ **إِنَّ لَهُ مُرْضِعًا فِي الجَنَّةِ ، وَلَوْ عَاشَ لَكَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ، وَلَوْ عَاشَ لَعَتَقْتُ أَخْوَالَهُ الْقِبْطَ ، وَمَا اسْتُرِقَّ قِبْطِيٌّ** ﴾ (٢) .

وكان مولد سيدنا إبراهيم عليه السلام في ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة .

وورد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ : لَمَا وَلَدَتْ أُمُّ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿ **أُمُّ إِبْرَاهِيمَ أَعْتَقَهَا وَلَدُهَا** ﴾ (٣) .

قال رسول الله ﷺ : ﴿ **إِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي ، فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ قَدْ بَرَّأَهَا وَقَرِيبَهَا مِمَّا وَقَعَ فِي نَفْسِي ، وَبَشَّرَنِي أَنَّ فِي بَطْنِهَا مِنِّي غُلَامًا ، وَأَنَّهُ أَشْبَهُ الخَلْقِ**

١- رواه أبو نعيم في المعرفة عن جعفر بن محمد عن أبيه رضي الله عنهما . وابن سعد عن الزهري رضي الله عنه مرسلا . ورواه أيضا الزمخشري في ربيع الأبرار وابن عبد البر في الاستيعاب .

٢- رواه ابن ماجة والبيهقي في الدلائل وأبو نعيم في المعرفة والطبري في ذخائر العقبى والصالحي في سبل الهدى والرشاد وابن عساكر في تاريخه .

٣- رواه ابن ماجة والبيهقي في السنن وفي المعرفة وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني والدارقطني وابن سعد في الطبقات وابن عساكر في تاريخه .

بي ، وَأَمَرَنِي أَنْ أُسَمِّيَ ابْنِي إِبْرَاهِيمَ ، وَكَنَّانِي بِأَبِي إِبْرَاهِيمَ ، وَلَوْلَا أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُحَوِّلَ كُنْيَتِي الَّتِي عُرِفْتُ بِهَا ، لَاكْتَنَيْتُ بِأَبِي إِبْرَاهِيمَ كَمَا كَنَّانِي جِبْرِيلُ﴾ (١) .

وقد كان رسول الله ﷺ يجد في نفسه ، من دخول رجل من أقاربها عليها – كان أتى معها من مصر – وعلم النبي ﷺ بعد تبرأة جبريل عليه السلام لهما ؛ أن هذا الرجل كان مجبوبا (أي مقطوع الذَّكَرِ والخصيتين) . شهد على ذلك علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وفي رواية عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

ولما وُلد سيدنا إبراهيم عليه السلام ، هبط جبريل عليه السلام إلى رسول الله ﷺ ، فقال : ﴿السَّلامُ عَلَيكَ يَا أَبَا إِبْرَاهِيم﴾ (٢) .

وتنافست فيه نساء الأنصار ؛ أيهن ترضعه ، فدفعه رسول الله ﷺ إلى أم بردة ، بنت المنذر بن زيد من بني النجار ، وعق رسول الله ﷺ بكبش . وكانت قابلته سلمى ، مولاة رسول الله ﷺ ، امرأة أبي رافع ، فجاء أبو رافع إلى رسول الله ﷺ فأخبره ، فوهب له عبدا . وأعتق جماعة من المسلمين عبيداً وإماءً لهم ، فرحا بابن رسول الله ﷺ .

وورد عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها ، قالت : دخل علي

١– رواه الطبراني وابن عساكر (وقال الهندي : سنده حسن) والخرائطي عن ابن عمرو رضي الله عنهما .

٢– رواه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني والحاكم في المستدرك والطبراني في الأوسط وأبو نعيم في المعرفة وأبو بكر الشافعي في الغيلانيات والدولابي في الكني وابن السني في عمل اليوم والليلة وابن سعد في الطبقات عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

رسول الله ﷺ ، ومعه ابنه إبراهيم ، يحمله ، فقال : ﴿**انْظُرِي إِلى شَبَهِهِ بِي**﴾ . قالت السيدة عائشة : ما أرى شبهاً . قال : ﴿**أَلا تَرَينَ إِلى بَيَاضِهِ وَلَحمِهِ**﴾ ؟ . قالت : من قصر عليه اللقاح ابيض وسمن (١) . وكان لرسول الله ﷺ قطعة غنم ، تروح عليه ، ولبن لقاح له . فكان جسمه ، وجسم أمه مارية حسناً .

وَكَسَفَتْ الشَّمْسُ ، يَوْمَ مَاتَ إِبْرَاهِيمُ ، فَقَالَ النَّاسُ : كَسَفَتْ الشَّمْسُ لِمَوْتِ إِبْرَاهِيمَ . فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿**إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ ، وَلَا لِحَيَاتِهِ . فَإِذَا رَأَيْتُمْ ؛ فَصَلُّوا ، وَادْعُوا اللهَ**﴾ (٢) .

وورد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ ، قَالَ : دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ عَلَى أَبِي سَيْفٍ الْقَيْنِ -وَكَانَ ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام - الظئر : المرضعة لغير ولدها ، ويطلق على زوجها أيضا . فَأَخَذَ رَسُولُ الله ﷺ إِبْرَاهِيمَ ، فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ . ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ الله ﷺ تَذْرِفَانِ ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ

١- رواه ابن سعد في طبقاته وابن الجوزي في المنتظم واليعقوبي في تاريخه عن عروة عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها .

٢- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وأحمد وابن أبي شيبة والبيهقي في السنن والنسائي عن المغيرة بن شعبة ﷺ . ومسلم عن جابر ﷺ . ومسلم والبيهقي في السنن عن أبي مسعود الأنصاري ﷺ . وأحمد عن محمود بن لبيد ﷺ . والبيهقي في السنن عن ابن مسعود ﷺ . والحاكم وصححه عن ابن عمر ﷺ . وغيرهم كثير .

بْنُ عَوْفٍ ﷺ : وَأَنْتَ يَا رَسُولَ الله ؟ . فَقَالَ : ﴿ **يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ** ﴾ . ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى ، فَقَالَ ﷺ : ﴿ **إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا . وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ** ﴾ (١) .

وتوفي سيدنا إبراهيم عليه السلام في سنة عشرة ، وورد عن السدي عن أنس ﷺ قال : توفي إبراهيم ابن رسول الله ﷺ وهو ابن ستة عشر شهرا . ولما تُوُفِّيَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿ **إِنَّ لَهُ مُرْضِعًا فِي الجَنَّةِ** ﴾ (٢) . وأمر رسول الله ﷺ بدفنه بالبقيع .

عن إِسْمَاعِيل بْنُ أَبِي خَالِدٍ قَالَ : قُلْتُ لِعَبْدِ الله بْنِ أَبِي أَوْفَى ﷺ : رَأَيْتَ إِبْرَاهِيمَ ابْنَ رَسُولِ الله ﷺ ؟ . قَالَ : مَاتَ وَهُوَ صَغِيرٌ ، وَلَوْ قُضِيَ أَنْ يَكُونَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيٌّ ؛ لَعَاشَ ابْنُهُ . وَلَكِنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ (٣) .

١- رواه البخاري والبيهقي في الشعب عن أنس بن مالك ﷺ . والحاكم وابن حبان وأبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة ﷺ .

٢- رواه البخاري في صحيحه وأحمد وابن أبي شيبة وعبد الرزاق وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني والبيهقي في الدلائل وأبو يعلى وابن حبان وأبو نعيم في المعرفة والطيالسي عن البراء بن عازب ﷺ . وابن ماجة والبيهقي في الدلائل وأبو نعيم في المعرفة عن ابن عباس ﷺ . والبيهقي في الشعب وأبو يعلى وابن حبان وأبو نعيم في المعرفة عن أنس بن مالك ﷺ .

٣- رواه البخاري في صحيحه وابن ماجة في سننه وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني .

وعَن ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ : لما مَاتَ إِبْرَاهِيمُ ابْنُ رَسُولِ الله ﷺ ، صَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ ، وَقَالَ : ﴿ **إِنَّ لَهُ مُرْضِعًا فِي الجَنَّةِ ، وَلَوْ عَاشَ لَكَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ، وَلَوْ عَاشَ لَعُتِقَتْ أَخْوَالُهُ الْقِبْطُ ، وَمَا اسْتُرِقَّ قِبْطِيٌّ** ﴾ (١) .

وَرَوَى أَحْمَد وَابْن مِنْدَهْ مِنْ طَرِيق السُّدِّيِّ : سَأَلْت أَنَسًا : كَمْ بَلَغَ إِبْرَاهِيم ؟ . قَالَ : ﴿ كَانَ قَدْ مَلَأَ المهْد ، وَلَوْ بَقِيَ لَكَانَ نَبِيًّا ، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ لِيَبْقَى ؛ لِأَنَّ نَبِيّكُمْ آخِر الْأَنْبِيَاء ﴾ (٢) .

وقال أنس ﷺ : ﴿ لَوْ عَاشَ إِبْرَاهِيمُ ابْنُ النَّبِيِّ ﷺ ، لَكَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ (٣) .

وحديث ابن عباس مرفوع ، وباقي الأحاديث موقوفة .

وقال إمام الحفاظ ابن حجر العسقلاني في الفتح بعدما أورد هذه الروايات : فهذه عدة أحاديث صحيحة ، عن هؤلاء الصحابة ، أنهم أطلقوا ذلك ، فلا أدري ما الذي حمل النووي في ترجمة إبراهيم المذكور – من كتاب تهذيب الأسماء واللغات – على استنكار ذلك ، ومبالغته ، حيث قال : هو باطل ، وجسارة في الكلام على المغيبات ، ومجازفة وهجوم على عظيم من الزلل ! .

١- رواه ابن ماجة والبيهقي في الدلائل وأبو نعيم في المعرفة والطبري في ذخائر العقبى والصالحي في سبل الهدى والرشاد وابن عساكر في تاريخه .

٢- رواه ابن حجر في الفتح .

٣- رواه أحمد (وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح) وأبو نعيم في المعرفة عن أنس ﷺ .

ونحن نقول أن وجود (لو) في الحديث هنا ؛ معناه امتناع حدوث جواب الشرط ، لامتناع حدوث فعل الشرط . أي امتنع بعثه نبيا ، لأنه لم يعش .

ويثور هنا سؤال : ما الحكمة في إخبار النبي ﷺ عن ذلك ؟ .

والجواب عن ذلك هو أن النبي ﷺ أعطاه الله تعالى عِلْمَ مَا لَمْ يَكُنْ ، لَوْ كَانَ ، كَيْفَ كَانَ يَكُونُ .

وذلك كقوله ﷺ في عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فيما رواه عَنْه عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : **«لَوْ كَانَ بَعْدِي نَبِيٌّ لَكَانَ عُمَرَ بْنَ الخطَّابِ»**(١) . وما رواه سَعْدُ بْن أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه قَالَ : خَلَّفَ رَسُولُ الله ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله تُخَلِّفُنِي فِي النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ ؟ . فَقَالَ ﷺ : **«أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»** (٢) .

١- رواه الترمذي و(حسنه) وأحمد والحاكم و(صححه) والطبراني في الكبير والآجري في الشريعة عن عقبة بن عامر رضي الله عنه .

٢- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والترمذي وابن ماجة والنسائي وأحمد وابن أبي شيبة والبيهقي في السنن وعبد الرزاق والحاكم و(صححه) والطبراني في الكبير عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه . والترمذي و(حسنه) وأحمد والطبراني في الكبير عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه . وأحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . وأحمد والنسائي عن أسماء بنت عميس رضي الله عنها . وأحمد والنسائي والحاكم و(صححه) والطبراني في الكبير عن ابن عباس رضي الله عنهما .

أي أن خلفاء النبي ﷺ هم بمنزلة أنبياء بني إسرائيل .

أي أن سيدنا إبراهيم عليه السلام ابن النبي ﷺ حاز صفات النبوة ، ولكن حُجرت عليه المرتبة ، فلم يعش .

فمرتبة النبوّة والرسالة قد ارتفعت في الشاهد في الدنيا ، فلا يكون بعد رسول الله ﷺ في أمّته نبيّ ولا رسول يشرّع الله له خلاف شرع سيدنا محمد ﷺ . وما منع ﷺ المرتبة ، ولا حجرها ، من حيث لا تشريع . ولا سيما وقد قال ﷺ فيمن حفظ القرآن : أن النبوّة أدرجت بين جنبيه (١) .

= والنسائي عن أبي بكر رضي الله عنه . والحاكم و(صححه) عن الإمام علي كرم الله وجهه . والطبراني في الكبير عن حبشي بن جنادة رضي الله عنه . والطبراني في الكبير عن أبي أيوب رضي الله عنه . والطبراني في الكبير عن البراء بن عازب وزيد بن أرقم رضي الله عنهما . وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني عن زيد بن أبي أوفى رضي الله عنه في حديث المؤاخاة .

١- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، عن رسول الله ﷺ قال : ﴿**مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ فَكَأَنَّما استُدْرِجَت النبوَّةُ بَينَ جَنْبَيهِ ، غَيرَ أَنَّهُ لا يُوحَى إِلَيْهِ**﴾ . رواه ابن أبي شيبة والحاكم و(صححه) والبيهقي في الشعب وفي الأسماء والصفات وابن المبارك في الزهد والمنذري في الترغيب والترهيب عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما . وتمام في فوائده عن البراء بن عازب رضي الله عنه . وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن رسول الله ﷺ قال : ﴿**أَكْرِمُوا حَمَلَةَ القُرْآنِ ، فَمَنْ أَكْرَمَهُمْ فَقَدْ أَكْرَمَ اللهَ . أَلا فَلا تَنْقصُوا حَمَلَةَ القُرْآنِ حُقُوقهُم ، فَإِنَّهُم مِنَ اللهِ بِمَكَانٍ . كَادَ حَمَلَةُ القُرْآنِ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ ، إِلا أَنَّهُ لا يُوحَى إِلَيْهِمْ**﴾ . رواه الديلمي في الفردوس عن ابن عمر رضي الله عنهما .

وقال ﷺ في المبشرات : أنها جزء من أجزاء النبوّة (١) . فوصف ﷺ بعض أمّته ، بأنهم قد حصل لهم شيء من مقام النبوة – وإنهم لن يكونوا على شرع يخالف شرعه .

وقد أخبرنا رسول الله ﷺ : إن عيسى عليه السلام ينزل فينا حكماً مقسطاً عدلاً ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير (٢) . ولا نشك قطعاً أنه عليه السلام رسول الله ونبيه ، وهو – عندما ينزل – فله عليه السلام مرتبة النبوّة بلا شك عند الله ، وما له مرتبة التشريع عند نزوله .

فعلمنا بقوله ﷺ : إنه لا نبي بعدي ولا رسول ، وأن النبوّة قد انقطعت والرسالة ، أنه إنما يريد بهما التشريع .

فلما كانت النبوّة أشرف مرتبة وأكملها ، ينتهي إليها من اصطفاه الله من

١- قال رسول الله ﷺ : ﴿ **إِنَّ الرِّسَالَةَ وَالنُّبُوَّةَ قَدْ انْقَطَعَتْ ، فَلَا رَسُولَ بَعْدِي ، وَلَا نَبِيَّ** ﴾ فلما قال النبي ﷺ ذلك : شَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ . فَقَالَ ﷺ : ﴿ **لَكِنِ المبَشِّرَاتُ** ﴾ . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا المبَشِّرَاتُ ؟ . قَالَ : ﴿ **رُؤْيَا المسْلِمِ ، وَهِيَ جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ النُّبُوَّةِ** ﴾ . رواه الترمذي وصححه وأحمد والحاكم وصححه عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿ **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ؛ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا ، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ ، وَيَفِيضَ المالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ** ﴾ . رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والترمذي وابن ماجة وأحمد وابن أبي شيبة والبيهقي في السنن وعبد الرزاق والحاكم وصححه والطبراني وأبو عوانة والحميدي وابن حبان .

عباده ، علمنا أن التشريع في النبوّة أمر عارض ، بكون عيسى عليه السلام ينزل فينا حكماً من غير تشريع ، وهو نبيّ بلا شك ، فخفيت مرتبة النبوّة في الخلق بانقطاع التشريع . فقطعنا أن في هذه الأمّة ، من لحقت درجته ، درجة الأنبياء – في النبوة عند الله ، لا في التشريع – وهم الذين أعطاهم الله الحديث ، فمنهم المحدّثون (١) ، فيحدثهم الله تعالى في قلوبهم ، وهم أنبياء الأولياء (٢) ، وشرع لهم الاجتهاد ، وقرّره حكماً شرعياً ، فأشبهوا الأنبياء في ذلك ، فقلب العارف المحَدَّث ، هو من رحمة الله تعالى ، وهو أوسع منها ، فعن أبي عتبة الخولاني رفعه : ﴿ **إن لله آنية من**

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : ﴿ **إِنَّهُ قَدْ كَانَ فِيمَا مَضَى قَبْلَكُمْ مِنْ الْأُمَمِ مُحَدَّثُونَ ، وَإِنَّهُ إِنْ كَانَ فِي أُمَّتِي هَذِهِ مِنْهُمْ ؛ فَإِنَّهُ عُمَرُ بْنُ الخطَّابِ** ﴾ رواه البخاري في صحيحه وأحمد في فضائل الصحابة والخطيب في تاريخ بغداد وابن عساكر في تاريخ دمشق .

٢- القلب إذا لان ورقَّ وانجلى ، صار كالمرآة الصقيلة ، فإذا أشرقت عليه أنوار الملكوت ، أضاء الصدر ، وامتلأ من شعاعها ، فأبصرت عين الفؤاد باطن أمر الله في خلقه ، فيؤديه ذلك إلى ملاحظة نور الله تعالى ، فإذا لاحظه ؛ فذلك قلب استكمل الزينة والبهاء ، بما رُزق من الصفاء ، فصار محل نظر الله من بين خلقه ، فكلما نظر إلى قلبه ، زاده به فرحا ، وله حبا وعزا ، واكتنفه بالرحمة ، وأراحه من الزحمة ، وملأه من أنوار العلوم . وهذه الأنوار مبذولة بحكم الكرم الرحماني ، غير مضنون بها على أحد ، فلم تحتجب عن القلوب لبخل ومنع من جهة المنعم تعالى ، بل لخبث وكدورة ، وشغل من جهة القلوب ، لما تقرر أن القلب هو الآنية ، والآنية ما دامت مملوءة بالماء ، لا يدخلها الهواء ، والقلوب المشغولة بغير الله ، لا تدخلها المعرفة بجلال الله ! .

أهل الأرض ، وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين﴾ (١) ، وفي الحِكَم : ﴿ما وسعني أرضي ولا سمائي ، ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن﴾ (٢) .

فالحق راحم ، ليس بمرحوم ، فلا حكم للرحمة فيه ، فيكون القلب أوسع .

قال أبو يزيد البسطامي ، رضي الله عنه : [لو أن العرش ومثله ألف ألف مرة ، في زاوية من زوايا قلب العارف ، لما أحس به] .

لأنه بيت الله تعالى ، فقلبٌ وسع القديم ، كيف يحس بالمحْدَثِ ؟

فإن المحْدَثِ إذا قُرن بالقديم ، لم يبق له أثرا .

وفي المنازلات : من جعل قلبه بيتي ، وأخلاه من غيري ، ما يدري أحد ما أعطيه ، فلا تشبهوه بالبيت المعمور ، فإنه بيت ملائكتي ، لا بيتي ، ولذلك لم أسكن فيه خليلي إبراهيم ، بل جلس سانداً ظهره إليه عليه السلام (٣) ، وما دخله .

١- رواه الطبراني في مسند الشاميين (وقال الهيثمي : إسناده حسن) وابن عساكر في تاريخه . ورواه الخرائطي عن ثور بن يزيد مرسلا . وأحمد بن حنبل في الزهد عن خالد بن معدان موقوفا .

٢- هذا الحديث مما يرويه السادة الصوفية كشفا . وقريب منه ما رواه أحمد في الزهد عن وهب بن منبه قال : إن الله فتح السماوات لحزقيل ، حتى نظر إلى العرش ، فقال حزقيل : سبحانك ما أعظمك يا رب ، فقال الله تعالى : إن السماوات والعرش ضعفن عن أن يسعنني ، ووسعني قلب المؤمن الوادع اللين .

٣- ورد في حديث المعراج عنه ﷺ أنه قال : ﴿...ثُمَّ عَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ =

فالعارفون : كما هم اليوم ، يكونون غدا .

أجسامهم في الجنان ، وقلوبهم في حضرة الرحمن .

وبهذا القلب ، كانت أمة رسول الله ﷺ خير الأمم .

لأن ما كان في قبلها من الأمم شهادة ، فهو فيها غيبا .

= **فَقِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ . قَالَ : جِبْرِيلُ . قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ . قَالَ : مُحَمَّدٌ ﷺ . قِيلَ : وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ . فَفُتِحَ لَنَا ، فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ ﷺ ، مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ المعْمُورِ . وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ ، لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ﴾** . رواه مسلم في صحيحه والنسائي في السنن الكبرى والبيهقي في الدلائل وأبو يعلى وابن منده في الإيمان والآجري في الشريعة والتبريزي في المشكاة .

الإسراء والمعراج

ألم تر أن الله أسرى بعبده ... من الحرم الأدنى إلى المسجد الأقصى
إلى أن علا السبع السموات قاصداً ... إلى بيته المعمور بالملأ الأعلى
إلى السدرة العليا وكرسيه الأحمى ... إلى عرشه الأسنى إلى المستوى الأزهى
إلى سبحات الوجه حين تقشعت ... سحاب العمى عن عين مقلته النجلا
وكان تدليه على الأمر إذ دنا ... من الله قربا قاب قوسين أو أدنى
وكانت عيون الكون عنه بمعزل ... تلاحظ ما يسقاه بالمورد الأحلى
فخاطبه بالأنس صوت عتيقه ... توقف فرب العرش سبحانه صلى
فأزعجه ذاك الخطاب وقال : هل ... يصلي إلهي ؟ ما سمعت به يتلى
وزال حجاب العلم عن عين قلبه ... وأوحى إليه في الغيوب الذي أوحى
فعاين ما لا يقدر الخلق قدره ... وأيده الرحمن بالعروة الوثقى
وألفاه تواقا إلى وجه ربه ... فأكرمه الرحمن بالمنظر الأجلى
ومن قبل ذا قد كان أشهد قلبه ... بغار حراء قبل ذلك في المجلى

ذِكْرُ الإسراء والمعراج في القرآن :

- ورد ذكر الإسراء في قوله تعالى : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ {الإسراء : ١} .

- ووردت الإشارة إلى المعراج في قوله تعالى : ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾ {النجم : (١ – ١٨)} .

ذِكْرُ الإسراء والمعراج في السُّنَّة :

لا توجد رواية واحدة ، تشمل كل أحداث الإسراء والمعراج ، وإنما هذه الأحداث يتم تجميعها من عدة روايات :

- فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ ﷺ : أَنَّ نَبِيَّ الله ﷺ حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِيَ بِهِ ، فقال : ﴿ بَيْنَمَا أَنَا فِي الحطِيمِ – وَرُبَّمَا قَالَ فِي الْحِجْرِ – مُضْطَجِعًا ، إِذْ أَتَانِي آتٍ فَقَدَّ – قَالَ : وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : فَشَقَّ – مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ ﴾ . فَقُلْتُ لِلْجَارُودِ وَهُوَ إِلَى جَنْبِي : مَا يَعْنِي بِهِ ؟ . قَالَ : مِنْ ثُغْرَةِ نَحْرِهِ إِلَى شِعْرَتِهِ . وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : مِنْ قَصِّهِ إِلَى شِعْرَتِهِ . ﴿ فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي ، ثُمَّ أُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ ، مَمْلُوءَةٍ إِيمَانًا ، فَغُسِلَ قَلْبِي ، ثُمَّ حُشِيَ ، ثُمَّ أُعِيدَ ، ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ ، دُونَ الْبَغْلِ ، وَفَوْقَ الْحِمَارِ ، أَبْيَضَ ﴾ فَقَالَ لَهُ الْجَارُودُ : هُوَ الْبُرَاقُ يَا أَبَا حَمْزَةَ ؟ . قَالَ أَنَسٌ : نَعَمْ . ﴿ يَضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ ، فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ ، فَانْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ :

- حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا ، فَاسْتَفْتَحَ ، فَقِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ . قَالَ : جِبْرِيلُ . قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ . قَالَ : مُحَمَّدٌ . قِيلَ : وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ . قَالَ : نَعَمْ . قِيلَ : مَرْحَبًا بِهِ ، فَنِعْمَ المجِيءُ جَاءَ ، فَفَتَحَ . فَلَمَّا خَلَصْتُ ، فَإِذَا

فِيهَا آدَمُ ، فَقَالَ : هَذَا أَبُوكَ آدَمُ ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ . فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَرَدَّ السَّلَامَ ، ثُمَّ قَالَ : مَرْحَبًا بِالِابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ .

- ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ ، فَاسْتَفْتَحَ ، قِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ . قَالَ : جِبْرِيلُ . قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ . قَالَ : مُحَمَّدٌ . قِيلَ : وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ . قَالَ : نَعَمْ . قِيلَ : مَرْحَبًا بِهِ ، فَنِعْمَ المجِيءُ جَاءَ ، فَفَتَحَ . فَلَمَّا خَلَصْتُ ، إِذَا يَحْيَى وَعِيسَى ، وَهُمَا ابْنَا الخَالَةِ . قَالَ : هَذَا يَحْيَى وَعِيسَى ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا . فَسَلَّمْتُ ، فَرَدَّا ، ثُمَّ قَالَا : مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ .

- ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ ، قِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ . قَالَ : جِبْرِيلُ . قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ . قَالَ : مُحَمَّدٌ . قِيلَ : وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ . قَالَ : نَعَمْ . قِيلَ : مَرْحَبًا بِهِ ، فَنِعْمَ المجِيءُ جَاءَ ، فَفُتِحَ . فَلَمَّا خَلَصْتُ ، إِذَا يُوسُفُ ، قَالَ : هَذَا يُوسُفُ ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ . فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَرَدَّ ، ثُمَّ قَالَ : مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ .

- ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ ، فَاسْتَفْتَحَ ، قِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ . قَالَ : جِبْرِيلُ . قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ . قَالَ : مُحَمَّدٌ . قِيلَ : أَوَقَدْ أُرْسِلَ

إِلَيْهِ ؟ . قَالَ : نَعَمْ . قِيلَ : مَرْحَبًا بِهِ ، فَنِعْمَ المجِيءُ جَاءَ ، فَفُتِحَ . فَلَمَّا خَلَصْتُ إِلَى إِدْرِيسَ ، قَالَ : هَذَا إِدْرِيسُ ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ . فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَرَدَّ ، ثُمَّ قَالَ : مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ .

- ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الخامِسَةَ ، فَاسْتَفْتَحَ ، قِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ . قَالَ : جِبْرِيلُ . قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ . قَالَ : مُحَمَّدٌ . قِيلَ : وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ . قَالَ : نَعَمْ . قِيلَ : مَرْحَبًا بِهِ ، فَنِعْمَ المجِيءُ جَاءَ . فَلَمَّا خَلَصْتُ ، فَإِذَا هَارُونُ ، قَالَ : هَذَا هَارُونُ ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ . فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَرَدَّ ، ثُمَّ قَالَ : مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ .

- ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّادِسَةَ ، فَاسْتَفْتَحَ ، قِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ . قَالَ : جِبْرِيلُ . قِيلَ : مَنْ مَعَكَ ؟ . قَالَ : مُحَمَّدٌ . قِيلَ : وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : مَرْحَبًا بِهِ ، فَنِعْمَ المجِيءُ جَاءَ . فَلَمَّا خَلَصْتُ ، فَإِذَا مُوسَى ، قَالَ : هَذَا مُوسَى ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ . فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَرَدَّ ، ثُمَّ قَالَ : مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ ، فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ بَكَى ، قِيلَ لَهُ : مَا يُبْكِيكَ ؟ . قَالَ : أَبْكِي لِأَنَّ غُلَامًا بُعِثَ بَعْدِي ، يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ ، أَكْثَرُ مِمَّنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي ! .

- ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ، قِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ .

- قَالَ : جِبْرِيلُ . قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ . قَالَ : مُحَمَّدٌ . قِيلَ : وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : مَرْحَبًا بِهِ ، فَنِعْمَ المجِيءُ جَاءَ . فَلَمَّا خَلَصْتُ ، فَإِذَا إِبْرَاهِيمُ . قَالَ : هَذَا أَبُوكَ ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ . قَالَ : فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَرَدَّ السَّلَامَ . قَالَ : مَرْحَبًا بِالِابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ .

- ثُمَّ رُفِعَتْ إِلَيَّ سِدْرَةُ المنْتَهَى ، فَإِذَا نَبْقُهَا مِثْلُ قِلَالِ هَجَرَ ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفِيلَةِ . قَالَ : هَذِهِ سِدْرَةُ المنْتَهَى ، وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ : نَهْرَانِ بَاطِنَانِ ، وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ . فَقُلْتُ : مَا هَذَانِ يَا جِبْرِيلُ ؟ . قَالَ : أَمَّا الْبَاطِنَانِ ؛ فَنَهْرَانِ فِي الجنَّةِ . وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ ؛ فَالنِّيلُ وَالْفُرَاتُ .

- ثُمَّ رُفِعَ لِي الْبَيْتُ المعْمُورُ .

- ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ ، وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ . فَقَالَ : هِيَ الْفِطْرَةُ الَّتِي أَنْتَ عَلَيْهَا وَأُمَّتُكَ .

- ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ الصَّلَوَاتُ ، خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ ، فَرَجَعْتُ ، فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى ، فَقَالَ : بِمَا أُمِرْتَ ؟ . قَالَ : أُمِرْتُ بِخَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ . قَالَ : إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ ،

وَإِنِّي وَاللهِ قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ المعَالَجَةِ ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ . فَرَجَعْتُ ، فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى ، فَقَالَ مِثْلَهُ ، فَرَجَعْتُ ، فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى ، فَقَالَ مِثْلَهُ ، فَرَجَعْتُ ، فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى ، فَقَالَ مِثْلَهُ ، فَرَجَعْتُ ، فَأُمِرْتُ بِعَشْرِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ ، فَرَجَعْتُ ، فَقَالَ مِثْلَهُ ، فَرَجَعْتُ ، فَأُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى ، فَقَالَ : بِمَ أُمِرْتَ ؟ . قُلْتُ : أُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ . قَالَ : إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ . وَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ المعَالَجَةِ ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ . قَالَ : سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ ، وَلَكِنِّي أَرْضَى وَأُسَلِّمُ . قَالَ : فَلَمَّا جَاوَزْتُ ، نَادَى مُنَادٍ : أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي ، وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي﴾ (١) .

١- أخرجه البخاري (واللفظ له) ومسلم وأحمد والنسائي وابن جرير وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وأبو عوانة وابن حبان وابن خزيمة وأبو نعيم في المعرفة وابن منده في الإيمان والتبريزي في مشكاة المصابيح من طريق قتادة ، عن أنس بن مالك أن مالك بن صعصعة رضي الله عنه حدثه به .

- وعن يَزِيدِ بْنِ أَبِي مَالِكٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : ﴿ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ ، خَطْوُهَا عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهَا ، فَرَكِبْتُ وَمَعِي جِبْرِيلُ عليه السلام ، فَسِرْتُ :

- فَقَالَ : انْزِلْ ، فَصَلِّ . فَفَعَلْتُ . فقَالَ : أَتَدْرِي أَيْنَ صَلَّيْتَ ؟ . صَلَّيْتَ بِطَيْبَةَ ، وَإِلَيْهَا المهَاجَرُ .
- ثُمَّ قَالَ : انْزِلْ ، فَصَلِّ . فَصَلَّيْتُ . فَقَالَ : أَتَدْرِي أَيْنَ صَلَّيْتَ ؟ . صَلَّيْتَ بِطُورِ سَيْنَاءَ ، حَيْثُ كَلَّمَ اللهُ – عَزَّ وَجَلَّ – مُوسَى عليه السلام .
- ثُمَّ قَالَ : انْزِلْ ، فَصَلِّ . فَنَزَلْتُ ، فَصَلَّيْتُ . فَقَالَ : أَتَدْرِي أَيْنَ صَلَّيْتَ ؟ . صَلَّيْتَ بِبَيْتِ لَحمٍ ، حَيْثُ وُلِدَ عِيسَى عليه السلام .
- ثُمَّ دَخَلْتُ بَيْتَ المَقْدِسِ ، فَجُمِعَ لِي الْأَنْبِيَاءُ – عَلَيْهِمْ السَّلَام – فَقَدَّمَنِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَمَمْتُهُمْ ، ثُمَّ صُعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، .....﴾ (٢) . فهذه الرواية ذكرت صلاته ﷺ بطيبة وبطور سيناء وببيت لحم ، كذا صلاته ﷺ إماماً بالأنبياء ببيت المقدس .

١– أخرجه النسائي (واللفظ له) وابن مردويه والطبري في تهذيب الآثار والبيهقي في الدلائل وابن عساكر في تاريخه من طريق يزيد بن أبي مالك ، عن أنس ﷺ .

• عن أنس ﷺ قال : ﴿ لما جاء جبريل ﷺ إلى رسول الله ﷺ بالبراق ، فكأنها هزت أذنيها ، فقال جبريل ﷺ : يا براق ، فوالله ما ركبك مثله .

وسار رسول الله ﷺ :

- فإذا هو بعجوز على جانب الطريق ، فقال : ما هذه يا جبريل؟ .
  قال : سر يا محمد .
- فسار ما شاء الله أن يسير ، فإذا شيء يدعوه متنحياً عن الطريق ، يقول : هلم يا محمد ، فقال له جبريل ﷺ : سر يا محمد .
- فسار ما شاء الله أن يسير ، فلقيه خلق من خلق الله ، فقالوا : السلام عليك يا أول . . . السلام عليك يا آخر . . . السلام عليك يا حاشر . فقال له جبريل ﷺ : اردد السلام . فرد السلام . ثم لقيه الثانية ، فقال له مثل ذلك . ثم الثالثة كذلك . حتى انتهى إلى بيت المقدس .
- ثم بُعث له آدم ﷺ فمن دونه من الأنبياء ، فأمّهم رسول الله ﷺ تلك الليلة .
- ثم قال جبريل :

▪ أما العجوز التي رأيت على جانب الطريق ، فلم يبق من الدنيا إلا ما بقي من عمر تلك العجوز .

- وأما الذي أراد أن تميل إليه ، فذاك عدو الله إبليس أراد أن تميل إليه .
- وأما الذين سلموا عليك فإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام﴾(١).

• عن أبي سعيد الخدري ﷺ ، قال : حدثنا النبيّ ﷺ عن ليلة أُسري به ، فقال نبيّ الله ﷺ : ﴿ أُتِيتُ بِدَابَّة هي أَشْبَهُ الدَّوَاب بالبَغْلِ ، لَهُ أذُنانِ مُضّطَرِبَتان ، وَهُوَ البُرَاقُ ، وَهُوَ الَّذِي كانَ تَرْكَبُهُ الأَنْبِياءُ قَبْلي ، فَرَكِبْتُهُ ، فانْطَلَقَ بِي ، يَضَعُ يَدَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى بَصَرِه :

- فَسَمِعْتُ نِدَاءً عَنْ يَمِينِي : يا مُحَمَّد عَلى رِسْلِك أسأَلْكَ ، فَمَضَيْتُ ولَمْ أُعَرِّجْ عَلَيْهِ ؛ ثُمَّ سَمِعْتُ نِدَاءً عَنْ شِمالِي : يا مُحَمَّد عَلى رِسْلِك أسألْكَ ، فَمَضَيْتُ ولَمْ أُعَرِّجْ عَلَيْهِ .
- ثُمَّ اسْتَقْبَلَتْ امْرَأَةٌ فِي الطَّرِيقِ ، فَرَأَيْتُ عَلَيْها مِنْ كُلّ زِينَةٍ مِنْ زِينَةِ الدُّنْيَا ، رَافعَةً يَدَها ، تَقُولُ : يا مُحَمَّدُ على رِسْلِكَ أسأَلْكَ ، فَمَضَيْتُ ولَمْ أُعَرِّجْ عَلَيْهَا .
- ثُمَّ أَتَيْتُ بَيْتَ المَقْدِسِ ، أوْ قالَ : المَسْجِدَ الأقْصَى ، فَنزلْتُ عَنِ الدَّابَّةِ ، فَأَوْثقْتُها بالحَلْقَة التي كانَت الأنْبِياءُ تُوثِقُ بِها ، ثُمَّ دَخَلْتُ المَسْجِدَ ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ .

١- أخرجه ابن جرير وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وابن عساكر في تاريخه من طريق عبد الرحمن بن هاشم بن عتبة عن أنس ﷺ .

- فقالَ لي جبْرَئيل : ماذَا رأيْتَ فِي وَجْهِكَ ؟ .

- فَقُلْتُ : سَمِعْتُ نِدَاءً عَنْ يَمِينِي أنْ يا مُحَمَّدُ عَلى رِسْلِكَ أسألْكَ ، فَمَضَيْتُ ولَمْ أُعَرِّجْ عَلَيْهِ . قالَ : ذاكَ دَاعِيَ اليَهُود ، أما لَو أنَّك وَقَفْتَ عليه لتهودت أُمَّتُكَ .

- قال : ثُمَّ سَمِعْتُ نداءً عَنْ يَسارِي أنْ يا مُحَمَّدُ عَلى رِسْلِكَ أسألْكَ ، فَمَضَيْتُ وَلَمْ أُعَرِّجْ عَلَيْهِ ، قالَ : ذَاكَ داعي النَّصارَى ، أمَا إِنَّكَ لَوْ وَقَفْتَ عَلَيْهِ لَتَنَصَّرَتْ أُمَّتُكَ .

- قُلْتُ : ثُمَّ اسْتَقْبَلَتْنِي امْرأةٌ عَلَيْها مِنْ كُلِّ زِينَةٍ مِنْ زِينَةِ الدُّنْيَا ، رَافِعَةً يَدَها تَقُولُ عَلى رِسْلِكَ أسألْكَ ، فَمَضَيْتُ ولَمْ أُعَرِّجْ عَلَيْهَا ، قال : تِلْكَ الدُّنْيا تَزَيَّنَتْ لَكَ ، أمَا إنَّكَ لَوْ وَقَفْتَ عَلَيْها لاخْتارَتْ أُمَّتُكَ الدُّنْيا على الآخِرَةِ .

- ثُمَّ أُتِيتُ بإناءَيْنِ ، أحَدُهُما فِيهِ لبَنٌ ، والآخرُ فيه خَمْرٌ ، فَقِيلَ لي : اشْرَبْ أيَّهُما شِئْتَ ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ فَشَرِبْتُهُ ، قال : أَصَبْتَ الفِطْرَةَ ، أوْ قالَ : أخَذْتَ الفِطْرَةَ .

- ثُمَّ جِيءَ بالمِعْرَاجِ الَّذِي تَعْرُجُ فِيهِ أرْوَاحُ بَنِي آدَمَ ، فإِذَا هُوَ أحْسَنُ ما رأيْتُ ، ألَمْ تَرَ إلى المَيّتِ كَيْفَ يُحِدُّ بَصَرَهُ إلَيْهِ ، فعُرِجَ بنا فِيهِ .

- حتى انْتَهَيْنا إلى بابِ السَّماءِ الدُّنْيا ، فاسْتَفْتَحَ جبْرائِيلُ ، فَقِيلَ مَنْ هَذَا ؟ . قالَ : جَبْرَائِيلُ . قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ . قال : مُحَمَّدٌ . قِيلَ : أوَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ . قال : نَعَمْ ، فَفَتَحُوا وَسَلَّمُوا عَليَّ ، وَإِذَا مَلَكٌ مُوَكَّلٌ يَحْرُسُ السَّماءَ يُقَال لَهُ إِسْماعِيلُ ، مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ ، مَعَ كُلِّ مَلَكٍ مِنْهُمْ مِئَةُ أَلْفٍ ، ثم قرأ : ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ﴾ {المدثر : ٣١} . وَإِذَا أنا بِرَجُلٍ كَهَيْئَتِهِ يَوْم خَلَقَهُ الله ، لَمْ يَتَغَيَّرْ مِنْهُ شَيءٌ ، فإِذَا هُوَ تُعْرَض عَلَيْهِ أَرْوَاحُ ذُرِّيَّتِهِ ، فإذَا كانَتْ رُوح مُؤْمِنٍ ، قالَ : رُوحٌ طَيِّبَةٌ ، وَرِيحٌ طَيِّبَةٌ ، اجْعَلُوا كِتابَهُ فِي عِلِّيينَ ؛ وَإِذَا كانَ رُوحُ كافِرٍ ، قالَ : رُوحٌ خَبِيثَةٌ ، وَرِيحٌ خَبِيثَةٌ ، اجْعَلُوا كِتابَهُ فِي سِجِّيلٍ ، فَقُلْتُ : يا جَبْرَئِيلُ مَنْ هَذَا ؟ . قال : أَبُوك آدَمُ ، فَسَلَّمَ عَليَّ وَرَحَّبَ بِي وَدَعا لي بِخَيْرٍ ، وقَال : مَرْحَبا بالنَّبيِّ الصَّالِحِ والوَلَدِ الصَّالِحِ .

- ثُمَّ نَظَرْتُ فإِذَا أنا بقَوْمٍ لَهُمْ مشَافِرُ كمشَافِرِ الإبِلِ ، وَقَدْ وُكِّلَ بِهِمْ مَنْ يَأْخُذُ بِمَشافِرِهِمْ ، ثُمَّ يُجْعَلُ فِي أَفْوَاهِهِمْ صَخْرًا مِنْ نارٍ يَخْرُجُ مِنْ أسافِلِهِمْ ، قُلْتُ : يَا جَبْرَئِيلُ مَنْ هَؤُلاءِ ؟ . قال : هَؤُلاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ اليَتامَى ظُلْما .

- ثُمَّ نَظَرْتُ فإِذَا أنا بِقَوْمٍ يُحْذَى مِنْ جُلُودِهِمْ ويُرَدُّ فِي أفْوَاهِهِمْ ، ثُمَّ يُقال : كُلُوا كما أكَلْتُمْ ، فإذَا أكْرَه ما خَلَقَ الله لهمْ ذلكَ ، قُلْتُ : مَنْ هَؤُلاءِ يا جبْرَئِيلُ؟ . قال : هَؤُلاءِ الهمَّازُونَ اللَّمازُون ، الذِينَ يأكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ ، ويَقَعُونَ فِي أعْرَاضِهِمْ بالسَّبّ .

- ثُمَّ نَظَرْتُ فإذَا أنا بِقَوْمٍ عَلى مائِدَة ، عَلَيْها لَحْمٌ مَشْويّ ، كأَحْسَنِ ما رأيْتُ مِنَ اللحْمِ ، وَإذَا حَوْلَهُمْ جِيَفٌ ، فَجَعَلُوا يَمِيلُونَ عَلى الجِيَفِ يَأكُلُونَ مِنْها ، وَيَدَعُونَ ذلكَ اللحْمَ ، قُلْتُ : مَنْ هَؤُلاءِ يا جَبْرَئِيلُ؟ قالَ : هَؤُلاء الزُّناةُ ، عَمَدُوا إلى مَا حَرَّمَ الله عَلَيْهِمْ ، وَتَرَكُوا ما أحَلَّ الله لَهُمْ .

- ثُمَّ نَظَرْتُ فإذَا أنا بقَوْمٍ لَهُمْ بُطُونٌ كأَنَّها الْبُيوتُ ، وَهيَ على سابِلَة آل فِرْعَوْنَ ، فإذَا مَرَّ بِهِمْ آلُ فِرْعَوْنَ ثارُوا ، فَيمِيلُ بأحَدِهِمْ بَطْنُهُ فَيَقَعُ ، فَيَتَوَطئُوهُمْ آلُ فِرْعَوْنَ بأرْجُلِهِمْ ، وَهُمْ يُعْرَضُونَ عَلى النارِ غُدُوًّا وَعَشِيًّا ؛ قُلْتُ : مَنْ هَؤُلاء يا جَبْرَئِيلُ ؟ . قال : هَؤُلاء أكَلَةُ الرّبا ، رَبا فِي بُطُونِهِم ، فَمَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطانُ من المَسّ .

- ثُمَّ نَظَرْتُ ، فإذَا أنا بنِساءٍ مُعَلَّقاتٍ بِثُدُيِّهِنَّ ، وَنِساءٌ مُنَكَّساتٌ بأَرْجُلِهِنَّ ، قُلْتُ : مَنْ هَؤُلاءِ يا جَبْرَئِيلُ؟ . قال : هنّ اللاتي يَزْنِينَ ، وَيَقْتُلْنَ أولادَهُنَّ .

- قالَ : ثُمَّ صَعَدْنا إلى السَّماء الثَّانيَةِ ، فإذَا أنا بيُوسُف وحَوْلهُ تَبَعٌ مِنْ أُمَّتِهِ ، وَوَجْهُهُ كالقَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ وَرَحَّبَ بِي .

- ثُمَّ مَضَيْنَا إلى السَّماءِ الثَّالِثَةِ ، فإذا أنا بابْنَي الخَالَةِ يَحيَى وَعِيسَى ، يُشْبِهُ أَحَدُهُما صَاحِبَهُ ، ثِيابُهما وَشَعْرُهُما ، فَسَلَّما عَلَيَّ ، وَرَحَّبا بِي .

- ثُمَّ مَضَيْنَا إلى السَّماء الرّابعَةِ ، فإذا أنا بإدْرِيسَ ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ وَرَحَّب ، وَقَدْ قالَ الله : ﴿ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ {مريم : ٥٧} .

- ثُمَّ مَضَيْنا إلى السَّماءِ الخَامِسَةِ ، فإذا أنا بِهارُون المُحَبَّبِ فِي قَوْمِهِ ، حَوْلَهُ تَبَعٌ كَثِيرٌ مِنْ أُمَّتِهِ ، فَوَصَفَهُ النَّبِيُّ ﷺ : طَوِيلُ اللِّحْيَة تكادُ لِحْيَتُهُ تَمَسُّ سُرَّتَهُ ، فَسلَّمَ عَلَيَّ وَرَحَّبَ .

- ثُمَّ مَضَيْنا إلى السَّماء السَّادسَة ، فإذَا أنا بِمُوسَى بْنِ عِمْرَانَ ، فَوَصَفَهُ النَّبِيُّ ﷺ ، فقال : كَثِيرُ الشَّعْرِ ، لَوْ كانَ عَلَيْهِ قَمِيصَانِ خَرَجَ شَعْرُهُ مِنْهُما ؛ قالَ مُوسَى : تَزْعَمُ النَّاسُ أنّي أكْرَمُ الخَلْقِ عَلى الله ، فَهَذَا

أَكْرَمُ على الله مِنِّي ، وَلَوْ كانَ وَحْدَهُ لَمْ أَكُنْ أُبالي ، وَلكِنْ كُلُّ نَبِيّ وَمَنْ تَبِعَهُ مِنْ أُمَّتِهِ ! .

- ثُمَّ مَضَيْنَا إلى السَّماءِ السَّابِعَةِ ، فإِذَا أنا بإبْرَاهِيمَ ، وَهُوَ جالِس مُسْنِدٌ ظَهْرَهُ إلى البَيْتِ المَعْمُورِ ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ ، وقَال : مَرْحَبا بالنَّبِيّ الصَّالِحِ وَالوَلَدِ الصَّالِحِ ، فَقِيلَ : هَذَا مَكانُكَ وَمَكانُ أُمَّتِك ، ثُمَّ تَلا : ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ {آل عمران : ٦٨} .

- ثُمَّ دَخَلْتُ البَيْتَ المَعْمُورَ ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ ، لا يَعُودُونَ إِلَى يَوْمِ القِيامَة .

- ثُمَّ نَظَرْتُ ، فإِذَا أنا بِشَجَرَةٍ ؛ إِنْ كانَتْ الوَرَقَةُ مِنْها لَمُغطِّيَةٌ هذهِ الأمَّةَ ، فإِذَا فِي أَصْلِها عَيْنٌ تَجْرِي ، قَدْ تَشَعَّبَتْ شُعْبَتَيْنِ . فَقُلْتُ : ما هَذا يا جَبْرَئِيلُ ؟ . قال : أَمَّا هذَا : فَهُوَ نَهْرُ الرَّحمَةِ ، وأمَّا هذَا : فَهُوَ الكَوْثَرُ الذِي أَعْطاكَهُ الله . فاغْتَسَلْتُ فِي نَهْرِ الرَّحمَةِ ، فَغُفِرَ لِي ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِي ومَا تَأَخَّرَ .

- ثُمَّ أخذتُ عَلى الكَوْثَرِ حتى دَخَلْتُ الجَنَّة ، فإذَا فِيها ، ما لا عَيْنٌ رأتْ ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، وَإِذَا فِيها رُمَّانٌ

كأَنَّهُ جُلُودُ الإبِلِ المُقَتَّبَةُ ، وإِذَا فِيها طَيْرٌ كأنَّها البُخْتُ ، فقالَ أبُو بَكْرٍ : إنَّ تِلكَ الطَّيْرَ لناعِمَةٌ ، قالَ ﷺ : أكَلَتُها أنْعَمُ مِنْها يا أبا بَكْرٍ ، وإنّي لأرْجو أنْ تَأكُلَ مِنْها . ورأيْتُ فِيها جارِيَةً ، فَسألْتُها : لِمَنْ أنْتِ ؟ . فَقالَتْ : لِزَيْد بْنِ حارِثَة . فَبَشَّرَ بها رَسُولُ الله ﷺ زَيْدًا .

- قالَ : ثُمَّ إِنَّ اللهَ أمَرَنِي بأمْرِهِ :

- وفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلاةً ، فَمَرَرْتُ عَلى مُوسَى ، فقالَ : بِمَ أمَرَكَ رَبُّكَ ؟ . قُلْتُ : فَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلاةً . قالَ : ارْجِعْ إلى رَبِّكَ فاسأَلْهُ التَّخْفِيفَ ، فإنَّ أُمَّتَكَ لَنْ يَقُومُوا بِهذَا ، فَرَجَعْتُ إلى رَبِّي ، فَسألْتُهُ ، فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا .

- ثُمَّ رَجَعْتُ إلى مُوسَى ، فَلَمْ أزَلْ أرْجِعُ إلى رَبِّي ، إذَا مَرَرْتُ بِمُوسَى ، حتى فَرَضَ عَلَيَّ خَمْسَ صَلَوَاتٍ ، فَقالَ مُوسَى : ارْجِعْ إلى رَبِّكَ فاسألْهُ التَّخْفِيفَ ، فَقُلْتُ : قَدْ رَجَعْتُ إلى رَبِّي حتى اسْتَحْيَيْتُ ؛ أو قالَ : قُلْتُ : ما أنا بِرَاجِعٍ .

- فَقِيلَ لي : إنَّ لَكَ بِهذِه الخَمْسِ صَلَوَاتِ خَمْسِينَ صَلاةً ، الحَسَنَةُ بِعَشْرِ أمْثالِهَا ، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ ، وَمَنْ

عَمِلَها كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئةٍ فَلَم يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئا ، فإنْ عَمِلَها كُتِبَتْ وَاحدَةً﴾ (١) .

هذه الرواية تتميز عن الروايات الأخرى للإسراء والمعراج ؛ بأنها تخبر أن رسول الله ﷺ رأى حقائق الأشياء ، كما وصفها الله تعالى .

واستكمال هذه الحقائق ورد أيضا في الرواية التالية :

- فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : ﴿أتي بفرس فحمل عليه ، قال : كل خطوة منتهى أقصى بصره ، فسار وسار معه جبريل عليه السلام :
  - فأتى قوما يزرعون في يوم ، ويحصدون في يوم ، كلما حصدوا عاد كما كان ، فقال : يا جبريل ، من هؤلاء ؟ . قال : هؤلاء المهاجرون في سبيل الله ، يضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف : ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ {سبأ : ٣٩} .
  - ثم أتى على قوم ترضخ (أي : تضرب وتدق) رءوسهم بالصخر ، كلما رضخت عادت كما كانت ، لا يفتر عنهم من ذلك شيء ، فقال : يا جبريل ، من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الذين تتثاقل رءوسهم عن الصلاة .

١- أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وابن عساكر والآجري في الشريعة والحارث في مسنده .

- قال : ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاع ، وعلى أدبارهم رقاع ، يسرحون كما تسرح الأنعام ، عن الضريع (الضريع : نبات الشبرق لا تقربه دابة لخبثه) والزقوم ورضف جهنم وحجارتها . قال : ما هؤلاء يا جبريل ؟ . قال : هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم . وما ظلمهم الله وما الله بظلام للعبيد .

- ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم في قدر ، نضج طيب ، ولحم آخر خبيث ، فجعلوا يأكلون من الخبيث ، ويدعون النضج الطيب ، فقال : يا جبريل من هؤلاء ؟ . قال : هذا الذي يقوم وعنده امرأة حلال طيب ، فيأتي المرأة الخبيثة ، فتبيت معه حتى يصبح .

- ثم أتى على خشبة على الطريق ، لا يمر بها شيء إلا قصعته (أي ضربته وقمعته) ، يقول الله عز وجل : ﴿ وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ ﴾ {الأعراف : ٨٦} .

- ثم مر على رجل قد جمع حزمة عظيمة ، لا يستطيع حملها ، وهو يريد أن يزيد عليها . قال : يا جبريل ما هذا ؟ . قال : هذا رجل من أمتك ، عليه أمانة لا يستطيع أداءها ، وهو يزيد عليها .

- ثم أتى على قوم تُقرض (تُقطع) ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد ، كلما قُرضت ؛ عادت كما كانت ، ولا يفتر عنهم من ذلك شيء . قال : يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء خطب الفتنة .

- ثم أتى على حجر صغير ، يخرج منه ثور عظيم ، فجعل الثور يريد أن يدخل من حيث خرج ، ولا يستطيع . قال : ما هذا يا جبريل ؟ . قال : هذا الرجل يتكلم بالكلمة ، فيندم عليها ، فيريد أن يردها ، ولا يستطيع .

- ثم أتى على واد ، فوجد ريحا باردة طيبة ، ووجد ريح المسك ، وسمع صوتا ، فقال : يا جبريل ما هذه الريح الباردة الطيبة ، وريح المسك ؟ . وما هذا الصوت ؟ . قال : هذا صوت الجنة تقول : يا رب ائتني بأهلي وبما وعدتني ، فقد كثر عرفي (العرف : الريح الطيبة) وحريري ، وسندسي ، وإستبرقي ، وعبقريي ، ولؤلؤي ، ومرجاني وفضتي ، وذهبي ، وأباريقي ، وفواكهي ، وعسلي ، وخمري ، ولبني فائتني بما وعدتني ، فقال : لَكِ كل مسلم ومسلمة ، ومؤمن ومؤمنة ، ومن آمن بي وبرسلي ، وعمل صالحا ، ولم يشرك بي شيئا ، ولم يتخذ من دوني أندادا ، ومن خشيني آمنته ، ومن سألني أعطيته

ومن أقرضني جزيته ، ومن توكل علي كفيته ، وأنا الله لا إله إلا أنا ، لا أخلف الميعاد : ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ۝١٤﴾ {المؤمنون : (١-١٤)} . قالت : قد رضيت .

- ثم أتى على واد ، فسمع صوتا منكرا ، قال : يا جبريل ما هذا الصوت ؟ . قال : هذا صوت جهنم ، يقول : ائتني بأهلي وما وعدتني ، فقد كثر سلاسلي ، وأغلالي ، وسعيري ، وزقومي ،

وحميمي ، وحجارتي ، وغساقي (هو ما يسيل من صديد أهل النار) ، وغسليني ، وقد بعد قعري ، واشتد حري ، فأتني بما وعدتني ، فقال : لك كل مشرك ومشركة ، وكافر وكافرة ، وكل خبيث وخبيثة ، وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب ، قالت : قد رضيت .

- قال : ثم سار حتى أتى بيت المقدس ، فنزل ، فربط فرسه إلى صخرة ، ثم دخل فصلى مع الملائكة ، فلما قضيت ، قالوا : يا جبريل من هذا معك ؟ . قال : محمد رسول الله وخاتم النبيين ، قالوا : وقد أرسل إليه ؟ . قال : نعم ، قالوا : حياه الله من أخ وخليفة ، فنعم الأخ ، ونعم الخليفة ، ونعم المجيء جاء .

- قال : ثم أتى أرواح الأنبياء فأثنوا على ربهم :

- قال : فقال إبراهيم عليه السلام : الحمد لله الذي اتخذ إبراهيم خليلا ، وأعطاني ملكا عظيما ، وجعلني أمة قانتا لله ، يُؤتم بي ، وأنقذني من النار ، وجعلها علي بردا وسلاما .
- قال : ثم إن موسى أثنى على ربه ، فقال : الحمد لله الذي كلمني تكليما ، واصطفاني برسالته وكلماته ، وقربني إليه نجيا ، وأنزل

علي التوراة ، وجعل هلاك آل فرعون على يدي ، ونجى بني إسرائيل على يدي .

- قال : ثم إن داود أثنى على ربه ، فقال : الحمد لله الذي خولني ملكا ، وأنزل علي الزبور ، وألان لي الحديد ، وسخر لي الطير والجبال ، وآتاني الحكمة وفصل الخطاب .
- ثم إن سليمان أثنى على ربه ، فقال : الحمد لله الذي سخر لي الرياح والجن والإنس ، وسخر لي الشياطين يعملون ما شئت : ﴿ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًاۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ {سبأ : ١٣} . وعلمني منطق الطير وكل شيء ، وأسال لي عين القطر ، وأعطاني ملكا عظيما لا ينبغي لأحد من بعدي .
- ثم إن عيسى عليه السلام أثنى على ربه ، فقال : الحمد لله الذي علمني التوراة ، والإنجيل ، وجعلني أبرئ الأكمه والأبرص ، وأحيي الموتى بإذنه ، ورفعني ، وطهرني من الذين كفروا ، وأعاذني وأمي من الشيطان الرجيم ، فلم يكن للشيطان عليها سبيل .

- ثم إن محمداً أثنى على ربه فقال : كلكم قد أثنى على ربه ، وإني مثن على ربي ، فقال : الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين ، وكافة للناس بشيرا ونذيرا ، وأنزل علي الفرقان فيه تبيان كل شيء ، وجعل أمتي خير أمة أخرجت للناس ، وجعل أمتي أمة وسطا ، وجعل أمتي هم الأولون وهم الآخرون وشرح صدري ، ووضع عني وزري ، ورفع لي ذكري ، وجعلني فاتحا وخاتما .
- فقال إبراهيم : بهذا فضلكم محمد .

- قال : ثم أتي بآنية ثلاثة ، مغطاة أفواهها ، فأتي بإناء منها فيه ماء ، فقيل له : اشرب فشرب منه يسيرا ، ثم رفع إليه إناء آخر فيه لبن ، فشرب منه حتى روي ، ثم رفع إليه إناء آخر فيه خمر ، فقال : قد رويت ، لا أريده . فقيل له : قد أصبت ؛ أما إنها ستحرم على أمتك ، ولو شربت منها لم يتبعك من أمتك إلا قليلا .
- قال : ثم صعد به إلى السماء . فذكر الحديث بنحو مما رويناه في الأحاديث السابقة .
- إلى أن قال : ثم صعد إلى السماء السابعة ، فاستفتح جبريل ، فقيل : من هذا ؟ قال : محمد ، قالوا : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قالوا : حياه

الله من أخ وخليفة ، فنعم الأخ ، ونعم الخليفة ، ونعم المجيء جاء .

- فدخل ، فإذا برجل أشمط (الشَّمَط : الشيبُ ، والشَّمَطاَت : الشَّعَرات البيض التي كانت في شَعْر رأسِه) جالس على كرسي عند باب الجنة ، وعنده قوم بيض الوجوه ، وقوم سود الوجوه ، وفي ألوانهم شيء ، فأتوا نهرا ، فاغتسلوا فيه ، فخرجوا منه وقد خلص من ألوانهم شيء ، ثم إنهم أتوا نهرا آخر فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شيء ، ثم دخلوا النهر الثالث فخرجوا وقد خلصت من ألوانهم مثل ألوان أصحابهم ، فجلسوا إلى أصحابهم . فقال : يا جبريل من هؤلاء بيض الوجه ، وهؤلاء الذين في ألوانهم شيء ، فدخلوا النهر ، فخرجوا وقد خلصت ألوانهم ؟ . فقال : هذا أبوك إبراهيم هو أول رجل شمط على وجه الأرض ، وهؤلاء بيض الوجوه قوم لم يلبسوا إيمانهم بظلم قال : وأما هؤلاء الذين في ألوانهم شيء خلطوا عملا صالحا ، وآخر سيئا ، فتابوا فتاب الله عليهم . فأما النهر الأول فرحمة الله ، وأما النهر الثاني فنعمة الله ، وأما النهر الثالث فسقاهم ربهم شرابا طهورا .

- ثم انتهى إلى السدرة المنتهى ، فقيل لي : هذه السدرة إليها منتهى كل أحد من أمتك ، ويخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن (الآسن : ما تغيرت رائحته) وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى . قال : وهي شجرة يسير الراكب في أصلها عاما لا يقطعها ، وإن الورقة منها مغطية الخلق .
- قال : فغشيها نور الخالق ، وغشيها الملائكة .
- فكلمه ربه عند ذلك قال له : سل .
- قال : إنك اتخذت إبراهيم خليلا ، وأعطيته ملكا عظيما ، وكلمت موسى تكليما ، وأعطيت داود ملكا عظيما ، وألنت له الحديد وسخرت له الجبال ، وأعطيت سليمان ملكا عظيما ، وسخرت له الجبال والجن والإنس ، وسخرت له الشياطين والرياح ، وأعطيته ملكا لا ينبغي لأحد من بعده ، وعلمت عيسى التوراة والإنجيل ، وجعلته يبرئ الأكمه والأبرص ، ويحيي الموتى بإذنك ، وأعذته وأمه من الشياطين ، فلم يكن له عليهما سبيل .
- فقال له ربه :
  - قد اتخذتك خليلا . قال : وهو مكتوب في التوراة خليل الرحمن .

- وأرسلتك إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا .
- وشرحت لك صدرك ، ووضعت عنك وزرك ، ورفعت لك ذكرك ، فلا أُذكر إلا ذكرت معي ، يعني بذلك الأذان .
- وجعلت أمتك خير أمة أخرجت للناس ، وجعلت أمتك أمة وسطا ، وجعلت أمتك هم الأولون وهم الآخرون ، وجعلت من أمتك أقواما قلوبهم أناجيلهم ، وجعلت أمتك لا تجوز عليهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدي ورسولي .
- وجعلتك أول النبيين خلقا وآخرهم مبعثا .
- وآتيتك سبعا من المثاني لم أعطها نبيا قبلك ، وأعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش ، لم أعطها نبيا قبلك .
- وجعلتك فاتحا وخاتما﴾ (١) .

- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي ؛ لما انْتَهَيْنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ، فَنَظَرْتُ فَوْقِي ، فَإِذَا أَنَا بِرَعْدٍ وَبَرْقٍ وَصَوَاعِقَ ، قَالَ :

١- أخرجه البزار وأبو يعلى وابن جرير ومحمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة وابن أبي حاتم وابن عدي وابن مردويه والبيهقي في الدلائل .

- فَأَتَيْتُ عَلَى قَوْمٍ بُطُونُهُمْ كَالْبُيُوتِ ، فِيهَا الْحَيَّاتُ تُرَى مِنْ خَارِجِ بُطُونِهِمْ . قُلْتُ : مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ ؟ . قَالَ : هَؤُلَاءِ أَكَلَةُ الرِّبَا .

- فَلَمَّا نَزَلْتُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، نَظَرْتُ أَسْفَلَ مِنِّي ، فَإِذَا أَنَا بِرَهْجٍ وَدُخَانٍ وَأَصْوَاتٍ . فَقُلْتُ : مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ ؟ . قَالَ : هَذِهِ الشَّيَاطِينُ يَحُومُونَ عَلَى أَعْيُنِ بَنِي آدَمَ ؛ أَنْ لَا يَتَفَكَّرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَرَأَوْا الْعَجَائِبَ ﴾ (١) .

- وعن ابْنِ عَبَّاسٍ وَأَبِي حَبَّةَ الْأَنْصَارِي رضي الله عنهم كَانَا يَقُولَانِ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ﴿ ..... ثُمَّ عُرِجَ بِي ، حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الْأَقْلَامِ ﴾(٢) . صريف الأقلام : صوتها .

ووردت الروايات التي توضح ارتداد بعض من كان قد أسلم ، وتوضح أيضا عناد المشركين وتكذيبهم لهذه القصة ، رغم ما قدمه النبي ﷺ من أدلة دامغة ، على صدق ما يقوله :

١- رواه أحمد في مسنده والحارث بن أبي أسامة . ورواه باختصار ابن ماجة والتبريزي في مشكاة المصابيح .

٢- أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما وأحمد وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني والحاكم والطبراني في الكبير والبيهقي في الدلائل وأبو عوانة وأبو يعلى وابن حبان وأبو نعيم في المعرفة وابن منده في الإيمان وابن قانع في معجم الصحابة والتبريزي في مشكاة المصابيح .

- فعن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها ، قالت : لما أسري بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى ، أصبح يتحدث الناس بذلك ، فارتد ناس ممن كانوا آمنوا به وصدقوه ، وسعوا بذلك إلى أبي بكر رضي الله عنه :

– فقالوا : هل لك في صاحبك ؟ يزعم أنه أسري به في الليل إلى بيت المقدس .

– قال : أوقال ذلك ؟ .

– قالوا : نعم .

– قال : لئن كان قال ذلك ؛ لقد صدق .

– قالوا : وتصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس ، وجاء قبل أن يصبح ؟ .

– قال : نعم ، إني لأصدقه بما هو أبعد من ذلك ؛ أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة .

– فلذلك سمي أبو بكر الصديق (١) .

- وعن شَدَّادِ بن أَوْسٍ رضي الله عنه ، قَالَ : قَالَ رَسُولَ الله ﷺ : ﴿... فَأَتَانِي جِبْرِيلُ عليه السلام ، بِدَابَّةٍ بَيْضَاءَ فَوْقَ الْحِمَارِ ، وَدُونَ الْبَغْلِ ، ... ثُمَّ انْصَرَفَ بِي ،

١– رواه الحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وأبو نعيم في المعرفة والآجري في الشريعة واللالكائي وابن عساكر في تاريخه وابن الأثير في أسد الغابة والطبري في تهذيب الآثار وعبد الرزاق .

فَمَرَرْنَا بِعِيرٍ لِقُرَيْشٍ بِمَكَانِ كَذَا وَكَذَا ، قَدْ أَخْلَوْا بَعِيرًا لَهُمْ ، قَدْ جَمَعَهُمْ فُلانٌ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : هَذَا صَوْتُ مُحَمَّدٍ ﷺ ، ثُمَّ أَتَيْتُ أَصْحَابِيَ قَبْلَ الصُّبْحِ بِمَكَّةَ ، فَأَتَانِي أَبُو بَكْرٍ ﷺ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَيْنَ كُنْتَ اللَّيْلَةَ؟ . فَقَدِ الْتَمَسْتُكَ فِي مَكَانِكَ ؟ . فَقَالَ : أَعَلِمْتَ أَنِّي أَتَيْتُ مَسْجِدَ بَيْتِ المَقْدِسِ اللَّيْلَةَ ؟ . فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّهُ مَسِيرَةُ شَهْرٍ ، فَصِفْهُ لِي . فَفُتِحَ لِي مَرْآهُ ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ ، لا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلا أَنْبَأْتُهُمْ عَنْهُ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ : أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ .

وَقَالَ المشْرِكُونَ : انْظُرُوا إِلَى ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ (يقصدون سيدنا محمد ﷺ) يَزْعُمُ أَنَّهُ أَتَى بَيْتَ المقْدِسِ اللَّيْلَةَ . فَقَالَ : إِنَّ مِنْ آيَةِ مَا أَقُولُ لَكُمْ ؛ أَنِّي مَرَرْتُ بِعِيرٍ لَكُمْ بِمَكَانِ كَذَا وَكَذَا ، يَقْدُمُهُمْ جَمَلٌ آدَمُ ، عَلَيْهِ مِسْحٌ أَسْوَدُ ، وَغَرَارَتَانِ سَوْدَاوَانِ .

فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ ؛ أَشْرَفَ الْقَوْمُ يَنْظُرُونَ ، حَتَّى كَانَ قَرِيبٌ مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ ، حَتَّى أَقْبَلَ الْقَوْمُ ، يَقْدُمُهُمْ ذَلِكَ الجمَلُ الَّذِي وَصَفَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ﴾ (١) .

١- أخرجه الطبراني في الكبير وفي مسند الشاميين والطبري في تهذيب الآثار والبيهقي والأصبهاني كلاهما في الدلائل (وصححه البيهقي) والبزار وابن أبي حاتم .

• عَنْ أُمِّ هَانِئٍ بِنْت أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا – وَاسْمُهَا هِنْدٌ – فِي مَسْرَى رَسُولِ الله ﷺ ، قالت : مَا أُسْرِيَ بِرَسُولِ الله ﷺ إلّا وَهُوَ فِي بَيْتِي ، نَامَ عِنْدِي تِلْكَ اللّيْلَةَ فِي بَيْتِي ، فَصَلّى الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ ، ثُمّ نَامَ وَنِمْنَا ، فَلَـمَّا كَانَ قُبَيْلَ الْفَجْرِ ، أَهَبّنَا رَسُولُ الله ﷺ ، فَلَمّا صَلّى الصّبْحَ ، وَصَلّيْنَا مَعَهُ قَالَ : ﴿يَا أُمّ هَانِئٍ لَقَدْ صَلّيْتُ مَعَكُمْ الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ كَمَا رَأَيْتِ بِهَذَا الْوَادِي ، ثُمّ جِئْتُ بَيْتَ المقْدِسِ ، فَصَلّيْت فِيهِ ، ثُمّ قَدْ صَلّيْت صَلَاةَ الْغَدَاةِ مَعَكُمْ الْآنَ كَمَا تَرَيْنَ﴾ . ثُمّ قَامَ لِيَخْرُجَ ، فَأَخَذْتُ بِطَرَفِ رِدَائِهِ ، فَتَكَشّفَ عَنْ بَطْنِهِ كَأَنّهُ قُبْطِيّةٌ مَطْوِيّةٌ ، فَقُلْت لَهُ : يَا نَبِيّ الله لَا تُحَدّثْ بِهَذَا النّاسَ ، فَيُكَذّبُوك وَيُؤْذُوك . قَالَ : ﴿وَالله لأحدثنهموه﴾ . قَالَتْ : فَقُلْت لِجَارِيَةٍ لِي حَبَشِيّةٍ : وَيْحَك اتْبَعِي رَسُولَ الله ﷺ ، حَتّى تَسْمَعِي مَا يَقُولُ لِلنّاسِ ، وَمَا يَقُولُونَ لَهُ . فَلَمّا خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ إلَى النّاسِ ، أَخْبَرَهُمْ ، فَعَجِبُوا وَقَالُوا : مَا آيَةُ ذَلِكَ يَا مُحَمّدُ ؟ فَإِنّا لَمْ نَسْمَعْ بِمِثْلِ هَذَا قَطّ ؛ قَالَ : ﴿آيَةُ ذَلِكَ أَنّي مَرَرْت بِعِيرِ بَنِي فُلَانٍ ، بِوَادِي كَذَا وَكَذَا . فَأَنْفَرَهُمْ حِسّ الدّابّةِ ، فَنَدّ لَهُمْ بَعِيرٌ ، فَدَلَلْتُهُمْ عَلَيْهِ ، وَأَنَا مُوَجّهٌ إلَى الشّامِ . ثُمّ أَقْبَلْتُ حَتّى إذَا كُنْتُ بِضَجَنَانَ ؛ مَرَرْتُ بِعِيرِ بَنِي فُلَانٍ ، فَوَجَدْتُ الْقَوْمَ نِيَامًا ، وَلَهُمْ إنَاءٌ فِيهِ مَاءٌ ، قَدْ غَطّوْا عَلَيْهِ بِشَيْءٍ ، فَكَشَفْتُ

غِطَاءَهُ وَشَرِبْتُ مَا فِيهِ كَانَ . وَآيَةُ ذَلِكَ أَنّ عِيرَهُمْ الْآنَ يَصُوبُ مِنْ الْبَيْضَاءِ ثَنِيّةِ التّنْعِيمِ ، يَقْدُمُهَا جَمَلٌ أَوْرَقُ عَلَيْهِ غِرَارَتَانِ إحْدَاهُمَا سَوْدَاءُ وَالْأُخْرَى بَرْقَاءُ﴾ . قَالَتْ : فَابْتَدَرَ الْقَوْمُ الثّنِيّةَ ، فَلَمْ يَلْقَهُمْ إلا الجمل الأورق كَمَا وَصَفَ لَهُمْ ، وَسَأَلُوهُمْ عَنْ الْإِنَاءِ ، فَأَخْبَرُوهُمْ أَنّهُمْ وَضَعُوهُ مَمْلُوءًا مَاءً ، ثُمّ غَطّوْهُ ، وَأَنّهُمْ هَبّوا فَوَجَدُوهُ مُغَطّى كَمَا غَطّوْهُ ، وَلَمْ يَجِدُوا فِيهِ مَاءً . وَسَأَلُوا الْآخَرِينَ وَهُمْ بِمَكّةَ ، فَقَالُوا : صَدَقَ وَاَللهِ ، لَقَدْ أُنْفِرْنَا فِي الْوَادِي الّذِي ذَكَرَ ، وَنَدّ لَنَا بَعِيرٌ ، فَسَمِعْنَا صَوْتَ رَجُلٍ يَدْعُونَا إلَيْهِ ، حَتّى أَخَذْنَاهُ (١) .

- وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿ لَمَّا كَانَ لَيْلَةُ أُسْرِيَ بِي ، وَأَصْبَحْتُ بِمَكَّةَ ، فَظِعْتُ بِأَمْرِي ، وَعَرَفْتُ أَنَّ النَّاسَ مُكَذِّبِيَّ﴾ . فَقَعَدَ مُعْتَزِلًا حَزِينًا . قَالَ : فَمَرَّ عَدُوُّ الله ، أَبُو جَهْلٍ ، فَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ كَالْمُسْتَهْزِئِ : هَلْ كَانَ مِنْ شَيْءٍ ؟ . فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿ نَعَمْ﴾ . قَالَ : مَا هُوَ ؟ قَالَ : ﴿ إِنَّهُ أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ﴾ . قَالَ : إِلَى أَيْنَ ؟ . قَالَ : ﴿ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ﴾ . قَالَ : ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْنَا ؟ . قَالَ : ﴿ نَعَمْ﴾ . قَالَ : فَلَمْ يُرِ أَنَّهُ يُكَذِّبُهُ مَخَافَةَ أَنْ يَجْحَدَهُ الْحَدِيثَ إِذَا دَعَا قَوْمَهُ إِلَيْهِ

١- بهذا اللفظ رواه محمد بن إسحاق في سيرته المعروفة بسيرة ابن هشام ، وابن الأثير في أسد الغابة وابن كثير في سيرته . وأورده كل من البغوي والخازن في تفسيريهما . ورواه مختصرا كل من الطبراني في الكبير وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني وأبو نعيم في المعرفة .

قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ دَعَوْتُ قَوْمَكَ تُحَدِّثُهُمْ مَا حَدَّثْتَنِي ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿ نَعَمْ ﴾ فَقَالَ : هَيَّا مَعْشَرَ بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ . قَالَ : فَانْتَفَضَتْ إِلَيْهِ الْمَجَالِسُ ، وَجَاءُوا حَتَّى جَلَسُوا إِلَيْهِمَا . قَالَ : حَدِّثْ قَوْمَكَ بِمَا حَدَّثْتَنِي . فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿ إِنِّي أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ ﴾ قَالُوا : إِلَى أَيْنَ ؟ ﴿ قُلْتُ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ﴾ قَالُوا : ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْنَا ؟ قَالَ : ﴿ نَعَمْ ﴾ قَالَ : فَمِنْ بَيْنِ مُصَفِّقٍ ، وَمِنْ بَيْنِ وَاضِعٍ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ مُتَعَجِّبًا لِلْكَذِبِ زَعَمَ . قَالُوا : وَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَنْعَتَ لَنَا الْمَسْجِدَ ؟ وَفِي الْقَوْمِ مَنْ قَدْ سَافَرَ إِلَى ذَلِكَ الْبَلَدِ ، وَرَأَى المسجِدَ . فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿ فَذَهَبْتُ أَنْعَتُ ، فَمَا زِلْتُ أَنْعَتُ حَتَّى الْتَبَسَ عَلَيَّ بَعْضُ النَّعْتِ ، قَالَ : فَجِيءَ بِالْمَسْجِدِ ، وَأَنَا أَنْظُرُ ، حَتَّى وُضِعَ دُونَ دَارِ عِقَالٍ أَوْ عُقَيْلٍ ، فَنَعَتُّهُ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ ﴾ قَالَ وَكَانَ مَعَ هَذَا نَعْتٌ لَمْ أَحْفَظْهُ . قَالَ : فَقَالَ الْقَوْمُ : أَمَّا النَّعْتُ فَوَالله لَقَدْ أَصَابَ (١) .

- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : ﴿ لَمَّا كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ قُمْتُ فِي الْحِجْرِ فَجَلَا اللهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ ﴾ (٢) .

١- رواه أحمد في مسنده وابن أبي شيبة والحارث ابن أبي أسامة والطبراني في الأوسط والبيهقي في الدلائل وابن منده في التوحيد والآجري في الشريعة وابن عساكر .

٢- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والترمذي وأحمد والبيهقي في الدلائل وأبو عوانة وأبو يعلى وابن بشران في أماليه وابن منده .

هل رأى سيدنا محمد ﷺ ربه ؟

قال تعالى في المعراج : ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ ﴾ {النجم : (١١ – ١٢)} . الخلوة الكبرى في المعراج : حيث زُج برسول الله ﷺ ، حيث لا أحد إلا الله تعالى . فقال ﷺ : ﴿ رَأَيتُ رَبِّي ﴾ (١) .

عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ، في قوله تعالى : ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ ﴾ {النجم : (١١ – ١٤)} ، قَالَ : ﴿ رَآهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ ﴾ (٢) .

وفي رواية قَالَ : ﴿ رَأَى مُحَمَّدٌ ﷺ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِقَلْبِهِ مَرَّتَيْنِ ﴾ (٣) .

وفي رواية قَالَ : ﴿ رَأَى مُحَمَّدٌ ﷺ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَرَّتَيْنِ : مَرَّةً بِبَصَرِهِ ، وَمَرَّةً

١- بهذا اللفظ أخرجه أحمد في مسنده (وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح) وعبد الله بن أحمد في السنة والدارقطني في الرؤية وابن أبي عاصم في السنة والآجري في الشريعة واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد وابن الأعرابي في معجمه عن ابن عباس رضي الله عنهما .

٢- أخرجه مسلم في صحيحه (واللفظ له) وأبو عوانة والبيهقي في الأسماء والصفات وابن منده في الإيمان وابن خزيمة في التوحيد والدارقطني في الرؤية واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد والتبريزي في مشكاة المصابيح والخطيب البغدادي في تاريخه .

٣- رواه أحمد في مسنده والنسائي وابن منده في الإيمان والدارقطني في الرؤية والمزي في تهذيب الكمال .

بِفُؤَادِهِ﴾ (١) .

وعَنِ ابْنِ عَبَّاس ﷺ ، قَالَ : **﴿أَتَعْجَبُونَ أَنْ تَكُونَ الْخُلَّة لِإِبْرَاهِيم ، وَالْكَلَام لِمُوسَى ، وَالرُّؤْيَة لِمُحَمَّدٍ﴾** ؟ (٢) .

وعَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ : **﴿نَظَرَ مُحَمَّد رَسُولُ الله ﷺ إِلَى رَبّه تَبَارَكَ وتَعالَى﴾** . قال عكرمة : فقلت لابن عباس : نظر محمد إلى ربه ؟ . قال : **﴿نَعَمْ ؛ جَعَلَ الْكَلَام لِمُوسَى ، وَالْخُلَّة لِإِبْرَاهِيم ، وَالنَّظَر لِمُحَمَّدٍ﴾** (٣) .

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ شَقِيقٍ ﷺ قَالَ : قُلْتُ لِأَبِي ذَرٍّ ﷺ : لَوْ أَدْرَكْتُ رَسُولَ الله ﷺ سَأَلْتُهُ ، قَالَ : عَنْ أَيِّ شَيْءٍ ؟ . قُلْتُ : هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ ؟ . فَقَالَ : قَدْ سَأَلْتُهُ ، فَقَالَ ﷺ : **﴿نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ﴾** يَعْنِي عَلَى طَرِيقِ الْإِيجَابِ (٤) .

١- بهذا اللفظ أخرجه ابن مردويه والطبراني في الكبير والأوسط . وقال الهيثمي : (رجاله رجال الصحيح خلا جهور بن منصور الكوفي ، وجهور بن منصور ذكره ابن حبان في الثقات) .

٢- رواه النسائي في السنن الكبرى (وقال ابن حجر : بإسناد صحيح) والحاكم في المستدرك (وصححه وأقره الذهبي) وابن عساكر في تاريخه واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد وعبد الله بن أحمد في السنة وابن أبي عاصم في السنة والدارقطني في الرؤية وابن خزيمة في التوحيد وابن منده في الإيمان .

٣- رواه الطبراني في الأوسط .

٤- رواه مسلم وأحمد (واللفظ له) والطبراني في الأوسط وأبو عوانة والطيالسي وابن منده والبزار وابن خزيمة في التوحيد .

وفي رواية : ﴿ رأيت نورا ﴾ (١) .

عَنْ الشَّعْبِيِّ قَالَ : لَقِيَ ابْنُ عَبَّاسٍ كَعْبًا ﷺ بِعَرَفَةَ : فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ ، فَكَبَّرَ كَعْبٌ ، حَتَّى جَاوَبَتْهُ الْجِبَالُ ، فَقَالَ : ابْنُ عَبَّاسٍ : إِنَّا بَنُو هَاشِمٍ [نَزْعُمُ أَنْ نَقُولَ : إِنَّ مُحَمَّداً قَدْ رَأَى رَبَّهُ مَرَّتَينِ] ، فَقَالَ كَعْبٌ : إِنَّ اللهَ قَسَمَ رُؤْيَتَهُ وَكَلَامَهُ ، بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَمُوسَى ، فَكَلَّمَ مُوسَى مَرَّتَيْنِ ، وَرَآهُ مُحَمَّدٌ مَرَّتَيْنِ . قَالَ مَسْرُوقٌ : فَدَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ ، فَقُلْتُ : يَا أُمَّتَاهْ هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ ؟ . فَقَالَتْ : لَقَدْ تَكَلَّمْتَ بِشَيْءٍ قَفَّ لَهُ شَعْرِي ! قُلْتُ : رُوَيْدًا ، ثُمَّ قَرَأْتُ : ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ {النجم : ١٨} . فَقَالَتْ أَيْنَ يُذْهَبُ بِكَ ؟ . إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ . مَنْ أَخْبَرَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ ، أَوْ كَتَمَ شَيْئًا مِمَّا أُمِرَ بِهِ ، أَوْ يَعْلَمُ الْخَمْسَ الَّتِي قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾ {لقمان : ٣٤} . فَقَدْ أَعْظَمَ الْفِرْيَةَ . وَلَكِنَّهُ رَأَى جِبْرِيلَ . لَمْ يَرَهُ فِي صُورَتِهِ إِلَّا مَرَّتَيْنِ : مَرَّةً عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ،

١- رواه مسلم في صحيحه وابن حبان وابن منده في الإيمان وابن خزيمة في التوحيد وابن أبي عاصم في السنة وابن الأعرابي في معجمه .

وَمَرَّةً فِي جِيَادٍ ، لَهُ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ قَدْ سَدَّ الْأُفُقَ (١) .

(كَعب) المقصود هنا : هُوَ كَعْبُ بْنُ مَانِعٍ الْحِمْيَرِيُّ ، أَبُو إِسْحَاقَ ، المعْرُوفُ بِكَعْبِ الْأَحْبَارِ ، ثِقَةٌ مِنْ الثَّانِيَةِ ، مُخَضْرَمٌ ، كَانَ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ ، فَسَكَنَ الشَّامَ ، مَاتَ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ ، وَقَدْ زَادَ عَلَى الْمِائَةِ .

(فَسَأَلَهُ) أي : سأل ابن عباس كَعْبًا .

(فَكَبَّرَ) أَيْ كَعْبٌ ؛ تَكْبِيرَةً مُرْتَفِعًا بِهَا صَوْتُهُ . كَأَنَّهُ فرح بسؤال ابن عباس له ، لأن كَعْبَ كَانَ من القائلين برؤية المصطفى ﷺ ربه ، فلما سُئل عن ذلك من حبر هذه الأمة ، اطمأن قلبه .

(حَتَّى جَاوَبَتْهُ الْجِبَالُ) أَيْ كَبَّرَ حَتَّى جَاوَبَتْهُ الْجِبَالُ بِالصَّدَى .

(قَالَ مَسْرُوقٌ : فَدَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ) ظَاهِرُهُ أَنَّهُ كَانَ حَاضِرًا فِي مَجْلِسِ كَعْبٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ ﵄ ، وَسَمِعَ مَا جَرَى بَيْنَهُمَا .

(قَفَّ لَهُ شَعْرِي) أَيْ قَامَ شَعْرِي مِنْ الْفَزَعِ ، لِمَا حَصَلَ عِنْدَهَا مِنْ عَظَمَةِ الله وَهَيْبَتِهِ ، وَلما اعْتَقَدَتْهُ مِنْ تَنْزِيهِهِ ، وَاسْتِحَالَةِ وُقُوعِ ذَلِكَ . قَالَ النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ :

١- رواه كاملا كل من الترمذي والتبريزي في مشكاة المصابيح . ورواه مقتصرا على الجزء الأول بدون سؤال مسروق لأم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها كل من : ابن خزيمة في التوحيد والدارقطني في الرؤية .

الْقَفُّ بِفَتْحِ الْقَافِ وَتَشْدِيدِ الْفَاءِ . لِأَنَّ الجِلْدَ يَنْقَبِضُ عِنْدَ الْفَزَعِ فَيَقُومُ الشَّعْرُ كَذَلِكَ .

(قُلْت رُوَيْدًا) أَيْ أَمْهِلِي وَلَا تَعْجَلِي .

(أَيْنَ يُذْهَبُ بِك) قَالَ الطِّيبِيُّ : أَيْ أَخْطَأْت فِيمَا فَهِمْتَ مِنْ مَعْنَى الْآيَةِ ، وَذَهَبْتَ إِلَيْهِ ، فَإِسْنَادُ الْإِذْهَابِ إِلَى الْآيَةِ مَجَازٌ .

(فَقَدْ أَعْظَمَ الْفِرْيَةَ) بِكَسْرِ الْفَاءِ ؛ أَيْ الْكَذِبَ .

(فِي جِيَادٍ) وَوَقَعَ فِي الْمِشْكَاةِ فِي أَجْيَادٍ ؛ بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَسُكُونِ الْجِيمِ . هو مَوْضِعٌ بِأَسْفَلِ مَكَّةَ ، مَعْرُوفٌ مِنْ شِعَابِهَا .

(قَدْ سَدَّ الْأُفُقَ) أَيْ مَلَأَ أَطْرَافَ السَّمَاءِ .

وَعَنْ مَسْرُوقٍ ﷺ قَالَ : كُنْتُ مُتَّكِئًا عِنْدَ أُمِّ المؤْمِنِينَ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ، فَقَالَتْ : يَا أَبَا عَائِشَةَ ثَلَاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ . قُلْتُ : مَا هُنَّ ؟ .

- قَالَتْ : مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ .

- قَالَ مَسْرُوق : وَكُنْتُ مُتَّكِئًا ، فَجَلَسْتُ ، فَقُلْتُ : يَا أُمَّ المؤْمِنِينَ ، أَنْظِرِينِي

وَلَا تَعْجَلِينِي ، أَلَمْ يَقُل اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴾ {التكوير : ٢٣} . ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ {النجم : ١٣} .

- فَقَالَتْ : أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ : « **إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ . لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ . رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنْ السَّمَاءِ ، سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ** » .

- فَقَالَتْ :

- أَوَ لَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهَ يَقُولُ : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ {الأنعام : ١٠٣} .

- أَوَ لَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهَ يَقُولُ : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ {الشورى : ٥١} .

- قَالَتْ : وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَتَمَ شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللهِ ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ ، وَاللهُ يَقُولُ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ ﴾ {المائدة : ٦٧} .

- قَالَتْ : وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُخْبِرُ بِمَا يَكُونُ فِي غَدٍ ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ ، وَاللهُ يَقُولُ : ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ ﴾ {النمل : ٦٥} .

وَزَادَ مُسْلِمُ في روايته : قَالَتْ : وَلَوْ كَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ كَاتِمًا شَيْئًا مِمَّا أُنْزِلَ عَلَيْهِ ، لَكَتَمَ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُۖ ﴾ {الأحزاب : ٣٧} (١) .

- وفي رواية أخرى عَنْ مَسْرُوقٍ رضي الله عنه قَالَ : قُلْتُ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا : يَا أُمَّتَاهْ هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ ﷺ رَبَّهُ ؟ . فَقَالَتْ : لَقَدْ قَفَّ شَعَرِي مِمَّا قُلْتَ . أَيْنَ أَنْتَ مِنْ ثَلَاثٍ ؛ مَنْ حَدَّثَكَهُنَّ فَقَدْ كَذَبَ :

- مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ ، فَقَدْ كَذَبَ ، ثُمَّ قَرَأَتْ : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ {الأنعام : ١٠٣} .

١- رواه مسلم في صحيحه والترمذي وصححه والنسائي في السنن وأبو عوانة والبيهقي في الأسماء والصفات وابن منده في الإيمان وابن خزيمة في التوحيد .

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ {الشورى : ٥١} .

- وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ ، فَقَدْ كَذَبَ ، ثُمَّ قَرَأَتْ : ﴿ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٌ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدًاۖ ﴾ {لقمان : ٣٤} .

- وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ كَتَمَ ، فَقَدْ كَذَبَ ، ثُمَّ قَرَأَتْ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ ﴾ {المائدة : ٦٧} .

- وَلَكِنَّهُ رَأَى جِبْرِيلَ عليه السلام فِي صُورَتِهِ مَرَّتَيْنِ (١) .

- احتجاج أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها ، على كذب من ادعى رؤية سيدنا محمد ﷺ لربه ، بقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ {الشورى : ٥١} . ليس في محله .

فقد أُمِرَ ﷺ أن يقول أنه بشر ، وهو قوله تعالى : ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ ﴾ {الكهف : ١١٠ ، فصلت : ٦} . فجعله تعالى بشراً . ثم ميَّز الله تعالى بشريته ﷺ

١- رواه البخاري في صحيحه وأحمد في مسنده .

بقوله عنه : ﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ فأصبح ﷺ بشرا لا كالبشر ، أو بشرا ليس على هيئة البشر . وهذا ما يفسره قوله ﷺ : ﴿لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ﴾(١) . وقوله ﷺ : ﴿لَسْتُ كَأَحَدِكُمْ﴾ (٢) . وقوله ﷺ : ﴿لَسْتُ كَأَحَدٍ مِنْكُمْ﴾ (٣) . وقوله ﷺ : ﴿لَسْتُ كَمِثْلِكُمْ﴾ (٤) .

١- أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما والنسائي عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ الْوِصَالِ رَحْمَةً لَهُمْ . فَقَالُوا : إِنَّكَ تُوَاصِلُ ! . قَالَ : ﴿إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ إِنِّي يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِ﴾ . وفي الباب ما رواه مسلم في صحيحه ومالك في الموطأ وأبو داود وأحمد والبيهقي في السنن عن ابن عمر ﷺ . ومالك عن أبي هريرة ﷺ والبخاري في صحيحه عن ابن مسعود ﷺ والبخاري في صحيحه وأحمد وأبو داود عن أبي سعيد ﷺ .

٢- روى الترمذي وصححه وأحمد والدارمي وأبو يعلى وابن حبان وابن منده في التوحيد عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ﴿لا تُوَاصِلُوا﴾ . قَالُوا : فَإِنَّكَ تُوَاصِلُ يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ : ﴿إِنِّي لَسْتُ كَأَحَدِكُمْ . إِنَّ رَبِّي يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي﴾ . وفي الباب ما رواه الترمذي وصححه عن أم أيوب رضي الله عنها وما رواه أحمد عن ابن عمر ﷺ وما رواه أحمد والحميدي وابن حبان وابن خزيمة عن أبي هريرة ﷺ وأحمد وأبو يعلى عن أبي سعيد الخدري ﷺ والنسائي وابن راهويه عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها .

٣- رواه البخاري في صحيحه وأحمد عن أنس ﷺ . ومسلم في صحيحه وأبو داود والنسائي وأحمد والدارمي وابن خزيمة والبزار وعبد الرزاق والبيهقي في السنن عن عبد الله بن عمرو ﷺ . وأحمد عن عبد الله بن عمر ﷺ . وأحمد عن أبي هريرة ﷺ . وأحمد عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها .

٤- رواه أحمد عن أبي أيوب الأنصاري ﷺ . وعبد الرزاق عن أبي هريرة ﷺ .

- قولُ أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها بأن من ادعى أن رسول الله ﷺ يَعْلَمُ الْخَمْسَ الَّتِي قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾ {لقمان : ٣٤} فَقَدْ أَعْظَمَ الْفِرْيَةَ . أو أن مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُخْبِرُ بِمَا يَكُونُ فِي غَدٍ ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ ، وَاللهُ يَقُولُ : ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ ﴾ {النمل : ٦٥} .

هذا القول صحيح في حق الكل ، إلا في حق رسول الله ﷺ . لأنه كما أوضحنا بشر لا كالبشر ، فالله تعالى هو الذي استثناه من ذلك ، فقال : ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ {الجن : (٢٦ – ٢٧)} . فطالما أن الله تعالى ارتضاه رسولا ، فقد أطلعه على غيبه .

- فرسول الله ﷺ عنده من علم الساعة ، كيف لا ؟ . وهو يقول في الحديث الصحيح : ﴿**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَذِهِ مِنْ هَذِهِ ، أَوْ كَهَاتَيْنِ . وَقَرَنَ بَيْنَ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى**﴾ (١) .

١- رواه البخاري والطبراني عن سهل بن سعد ﷺ . والبخاري ومسلم في صحيحيهما والترمذي وأحمد والطبراني والدارمي عن أنس ﷺ . والبخاري وابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ . ومسلم والنسائي وابن ماجة وأحمد والبيهقي في السنن وأبو يعلى عن جابر بن عبد الله ﷺ . وأحمد والطبراني عن جابر بن سمرة ﷺ .

- بل قال تعالى على لسان يوسف في حديثه في السجن : ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ ﴾ {يوسف : ٣٧} . هنا استخدم يوسف عليه السلام أسلوب القصر (لا .. إلا) لينفي أن يرزقا أي طعام إلا بعلمه ! . فأخبر الله تعالى على لسان يوسف عليه السلام أن هناك من يعلمه الله تعالى برزق الغد .
- بل أن هناك رواية صحيحة عَنْ أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها بأن أباها أبا بكر الصديق رضي الله عنه يعلم ما في الأرحام ، فأخبر أن في رحم جاريته بنتاً . فعن عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ : إِنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ كَانَ نَحَلَهَا جَادَّ عِشْرِينَ وَسْقًا مِنْ مَالِهِ بِالْغَابَةِ ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ : وَاللهِ يَا بُنَيَّةُ مَا مِنْ النَّاسِ أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيَّ غِنًى بَعْدِي مِنْكِ ، وَلَا أَعَزُّ عَلَيَّ فَقْرًا بَعْدِي مِنْكِ ، وَإِنِّي كُنْتُ نَحَلْتُكِ جَادَّ عِشْرِينَ وَسْقًا ، فَلَوْ كُنْتِ جَدَدْتِيهِ وَاحْتَزْتِيهِ كَانَ لَكِ ، وَإِنَّمَا هُوَ الْيَوْمَ مَالُ وَارِثٍ ، وَإِنَّمَا هُمَا أَخَوَاكِ وَأُخْتَاكِ ، فَاقْتَسِمُوهُ عَلَى كِتَابِ اللهِ . قَالَتْ عَائِشَةُ : فَقُلْتُ يَا أَبَتِ : وَاللهِ لَوْ كَانَ كَذَا وَكَذَا لَتَرَكْتُهُ ، إِنَّمَا هِيَ أَسْمَاءُ ، فَمَنْ الْأُخْرَى ؟ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : ذُو بَطْنِ بِنْتِ خَارِجَةَ ، أُرَاهَا جَارِيَةً (أي أنثى) (١) .

١- رواه مالك في الموطأ والبيهقي في السنن وعبد الرزاق واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد وابن سعد في طبقاته وابن عساكر في تاريخه .

كانت زوجة أبي بكر ، وهي حبيبة بنت خارجة بن زيد من بني زهير من بني الحارث بن الخزرج ، وكانت حاملا حين توفي أبو بكر ﵁ ، فولدت بعده أم كلثوم ، فتزوجها طلحة بن عبيد الله ﵁ ، فصدق الله ظن أبي بكر الصديق ﵁ بما قاله ، وجعل ذلك كرامة له ، فيما أخبر به قبل ولادتها ، وأنها أنثى ، وليست بذكر .

- قال تعالى : ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ {لقمان : ٣٤} . ولكن أخبر رسول الله ﷺ بعضا من أصحابه عن كيفية موتهم ، وذلك منّة وإعجازا وتكريما من الله تعالى لرسوله ﷺ :

  - فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁ أَنَّهُ قَالَ : كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَدْخُلُ عَلَى أُمِّ حَرَامٍ بِنْتِ مِلْحَانَ ، فَتُطْعِمُهُ ، وَكَانَتْ أُمُّ حَرَامٍ تَحْتَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﵁ فَدَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ الله ﷺ فَأَطْعَمَتْهُ ، وَجَعَلَتْ تَفْلِي رَأْسَهُ ، فَنَامَ رَسُولُ الله ﷺ ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ ، قَالَتْ : فَقُلْتُ : وَمَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ الله ؟ . قَالَ : **﴿نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ ، غُزَاةً فِي سَبِيلِ الله ، يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هَذَا الْبَحْرِ ، مُلُوكًا عَلَى الْأَسِرَّةِ ، أَوْ مِثْلَ الْمُلُوكِ عَلَى الْأَسِرَّةِ﴾** (شَكَّ إِسْحَاقُ) . قَالَتْ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ الله ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهِمْ . فَدَعَا لَهَا رَسُولُ الله ﷺ ، ثُمَّ

وَضَعَ رَأْسَهُ ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ . فَقُلْتُ : وَمَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ الله ؟ قَالَ : ﴿ **نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ الله** ﴾ . كَمَا قَالَ فِي الْأَوَّلِ . قَالَتْ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ الله ادْعُ الله أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ . قَالَ : ﴿ **أَنْتِ مِنْ الأَوَّلِينَ** ﴾ . فَرَكِبَتْ الْبَحْرَ فِي زَمَانِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ ﷺ ، فَصُرِعَتْ عَنْ دَابَّتِهَا حِينَ خَرَجَتْ مِنْ الْبَحْرِ ، فَهَلَكَتْ (١) . وقد استشهدت رضي الله عنها سنة سبع وعشرين هجرية . في إمارة معاوية على الشام في خلافة عثمان ﷺ ، أي أن رسول الله ﷺ أخبرها بكيفية استشهادها ، التي حدثت بعد وفاته ﷺ بحوالي سبع عشرة سنة .

- عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ ﷺ قَالَ : كُنْتُ أَنَا وَعَلِيٌّ رَفِيقَيْنِ فِي غَزْوَةِ ذَاتِ الْعُشَيْرَةِ . قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿ **أَلَا أُحَدِّثُكُمَا بِأَشْقَى النَّاسِ : رَجُلَيْنِ** ﴾ قُلْنَا بَلَى يَا رَسُولَ الله قَالَ : ﴿ **أُحَيْمِرُ ثَمُودَ الَّذِي عَقَرَ النَّاقَةَ ، وَالَّذِي يَضْرِبُكَ يَا عَلِيُّ عَلَى هَذِهِ - يَعْنِي قَرْنَهُ - حَتَّى تُبَلَّ مِنْهُ هَذِهِ - يَعْنِي لِحْيَتَهُ** ﴾ (٢) .

١- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما ومالك في الموطأ والترمذي والنسائي وأحمد والبيهقي في السنن والدلائل وعبد الرزاق وابن حبان في صحيحه والأصبهاني في الدلائل .

٢- رواه أحمد والحاكم وصححه والنسائي في السنن وفي خصائص علي والبيهقي في الدلائل وأبو نعيم في معرفة الصحابة وفي الدلائل وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني وابن عساكر في تاريخه وابن أبي حاتم في تفسيره وابن مردويه والبغوي وابن هشام في السيرة .

وكان ذلك ، فضربه ابن ملجم ، فقتله ، بنفس الصفة التي ذكرها رسول الله ﷺ .

- وعن عَلِيٍّ كرم الله وجهه قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ وَعَيْنَاهُ تَفِيضَانِ قُلْتُ : يَا نَبِيَّ الله : أَغْضَبَكَ أَحَدٌ ؟ . مَا شَأْنُ عَيْنَيْكَ تَفِيضَانِ ؟ . قَالَ : ﴿ **بَلْ قَامَ مِنْ عِنْدِي جِبْرِيلُ قَبْلُ ، فَحَدَّثَنِي أَنَّ الْحُسَيْنَ يُقْتَلُ بِشَطِّ الْفُرَاتِ ، قَالَ : فَقَالَ : هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ أُشِمَّكَ مِنْ تُرْبَتِهِ ؟ .قَالَ : قُلْتُ : نَعَمْ . فَمَدَّ يَدَهُ ، فَقَبَضَ قَبْضَةً مِنْ تُرَابٍ ، فَأَعْطَانِيهَا ، فَلَمْ أَمْلِكْ عَيْنَيَّ أَنْ فَاضَتَا** ﴾ (١) . فهنا أخبر النبي ﷺ أن سيدنا الحسين عليه السلام سيقتل بشط الفرات ، وشم تربته .

وهذا كله من بركة الآية : ﴿ **عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ** ﴾ {الجن : (٢٦ – ٢٧)} . وهل ارتضى – تعالى – غير سيدنا محمد ﷺ رسولا ؟؟ .

- قول أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها بأن مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ كَتَمَ ، فَقَدْ كَذَبَ ، ثُمَّ قَرَأَتْ : ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ** ﴾ {المائدة : ٦٧} .

١- رواه أحمد في مسنده وابن أبي شيبة وأبو يعلى والبزار والطبراني (وقال الهيثمي : رجاله ثقات) .

الاستدلال بهذه الآية على أن رسول الله ﷺ لم ير ربه ، ليس في محله . فرسول الله ﷺ لم يكتم شيئا من القرآن . وليست الرؤية من الموضوعات التي يجب إشاعتها بين الكل . وهذا من قبيل الرحمة بالناس ، وتحديثهم على قدر عقولهم . فليس كل ما يعلمه رسول الله ﷺ ، من الله ، مفروض عليه إذاعته .

- قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ {التحريم : ٣} . فهنا أخبر الله تعالى النبي ﷺ بما دار بين أزواجه ، فأظهر النبي ﷺ بعض ذلك ، وأخفى بعضه ، فلا يقال في ذلك أن النبي ﷺ كتم ما أنزله الله عليه .

- قال تعالى في أوائل السور : ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ . وقال : ﴿ الٓمٓ ﴾ وقال : ﴿ الٓر ﴾ . وغيرها . فهذه الأحرف النورانية لها معان كموج البحر . ومن قال أن في القرآن حرفا ليس له معنى ، فقد قال الجمهور بكفره . ذكره النووي في الآداب . فهي رموز على تلك المعاني ، لا يكشفها الله تعالى إلا لأهل الخاصة والمشاهدة . ولكن لم يرد إلينا نص مرفوع في تفسيرها ، ومن قال أن رسول الله ﷺ لم يبينها للصحابة فقد أخطأ ،

لأن الله تعالى قال : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ {النحل : ٤٤} . فهو بيَّنها لمن هو أهل لها ، وحجبها عمن هو ليس من أهلها . وما نُقل عن رسول الله ﷺ في تفسير القرآن ، إلا قليل القليل ، من تفسير بعض الكلمات في بعض الآيات ، فهل يُسمى رسول الله ﷺ كاتماً لما أنزل الله ، لأنه أعرض عن ذكر معاني أو تفسيرات للآيات لكل الناس ؟ .

- قال رسول الله ﷺ : ﴿ **إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللهِ أَنَا** ﴾ (١) . هنا أعلن النبي ﷺ أنه أعلم الخلق بالله ، أي أنه يعلم من الله ما لا يعلمه الخلق ، وهنا وقع التفاضل ، ولو أخبر بكل ما علمه من الله ، لم يكن هناك تفاضل في العلم .

والقاعدة التي لا خلاف فيها هي أنه :

*** ليس كل ما يُعرف ، يُقال ***

*** وليس كل ما يقال ، قد حضر أهله ***

*** وليس كل ما حضر أهله ، حان وقته ***

١- رواه البخاري في صحيحه وأحمد وعبد بن حميد عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها . والحاكم عن جابر بن عبد الله ﷺ .

ويمكن القول بأن علم رسول الله ﷺ ينقسم ثلاثة أقسام :

- **قسم أُمر ﷺ بتبليغه** : وهو ما وصلنا عنه . وهو ما نص عليه رب العزة في قوله تعالى : ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ** ﴾ {المائدة : ٦٧} . كالفرائض والسنن والفقه والمعاملات وغيرها .

- **وقسم بينه ﷺ وبين ربه لم يؤمر بإبلاغه أصلا** : وإنما أعلمنا عنه بقوله ﷺ : ﴿**لو تعلمون ....**﴾ فهو ما أوضح لنا ما الذي لا نعلمه . كما ورد عَنْ أم المؤمنين السيدة عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ : قال رسول الله ﷺ : ﴿ **وَاللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ ؛ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا ، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا**﴾ (١) . و(لو) هنا تفيد امتناع جواب الشرط ، لامتناع فعل الشرط ، فنحن لا نعلم ما يعلمه ﷺ . وهو ﷺ ما أخطأ بعدم إبلاغه لنا .

١- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والنسائي وأحمد عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها . والبخاري ومسلم في صحيحيهما وابن ماجة وأحمد وابن أبي شيبة عن أنس رضي الله عنه . والبخاري والترمذي وأحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه . والترمذي وابن ماجة وابن أبي شيبة عن أبي ذر رضي الله عنه . وابن أبي شيبة عن أبي الدرداء رضي الله عنه .

- **وقسم أُذن له ﷺ في الإبلاغ به** : فهو مخير فيه ، إن شاء حجبه ، وإن شاء أبلغه ، وهذا الإبلاغ على أنواع :

  - **منها ما أبلغ به الكل** : ومثال ذلك ما ورد عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : **﴿أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ الله ، مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ : إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ﴾** (١) وقَالَ ﷺ : **﴿إِنَّ اللهَ - جَلَّ ذِكْرُهُ - أَذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ دِيكٍ ؛ قَدْ مَرَقَتْ رِجْلاهُ الأَرْضَ ، وعُنُقُهُ مُنْثَنِي تَحْتَ الْعَرْشِ ، وَهُوَ يَقُولُ : سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَكَ رَبَّنَا ! . فَرَدَّ عَلَيْهِ : مَا يَعْلَمُ ذَلِكَ مَنْ حَلَفَ بِي كَاذِبًا﴾**(٢) .

  - **ومنها ما اختص ﷺ به من الصحابة ، من وجد فيه الاستعداد لذلك ، وهذا القسم منه :**

- **ما كان الصحابي ملزما بكتمه** : فعن أَنَس بْن مَالِكٍ قَالَ : **﴿أَسَرَّ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ سِرًّا ، فَمَا أَخْبَرْتُ بِهِ أَحَدًا بَعْدَهُ ، وَلَقَدْ سَأَلَتْنِي**

١- أخرجه أبو داود والطبراني في الأوسط وابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات والضياء في المختارة بسند صحيح وابن عساكر عن جابر ﷺ . وصححه المناوي .

٢- أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط والحاكم وصححه وأبو الشيخ في العظمة عن أبي هريرة ﷺ .

أُمُّ سُلَيْمٍ فَمَا أَخْبَرْتُهَا بِهِ﴾(١) . والسيدة أم سليم هي أمه رضي الله عنهم . وقد كان رسول الله ﷺ قد أوصاه قائلا : ﴿ **احْفَظْ سِرِّي ، تَكُنْ مُؤْمِنًا** ﴾ (٢) .

- **ومنه ما كان الصحابي مخيرا في أن يكتمه ، أو يحدث به أهله :**

وكانوا يحذرون من أن يحدثوا الناس بما لم تبلغه عقولهم ، خشية أن يُكَذِّبوا بما لم يحيطوا بعلمه ، فيقعوا في الإنكار ، فكان نشر هذا العلم خاضعا لتقدير الصحابي ، وحكمه على من يُلقي إليه بالحديث : فعن عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ : ﴿ مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا ، حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ ، إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً ﴾ (٣) . وعن أبي قلابة ﷺ قال : ﴿ لا تحدث بحديث من لا يعرفه ، فإن من لا يعرفه يضره ولا ينفعه ﴾ (٤) . وَقَالَ الإمام

١- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وأحمد في مسنده .

٢- رواه الطبراني في الصغير والخرائطي في اعتلال القلوب وأورده ابن حجر في المطالب العالية وابن عساكر في تاريخه .

٣- رواه مسلم في صحيحه والرامهرمزي في المحدث والبيهقي في المدخل إلى السنة وابن عبد البر في فضيلة العلم عن عبد الله بن مسعود ﷺ موقوفا . ورواه عبد الجبار الخولاني في تاريخ داريا عن ابن عباس ﷺ مرفوعا .

٤- رواه أحمد في الزهد وابن أبي شيبة والخطيب في الجامع لأخلاق الراوي والرامهرمزي في المحدث وابن عبد البر في العلم عن أبي قلابة موقوفا .

عَلِيٌّ كرم اللهُ وجهه : ﴿ حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ ؛ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ ﴾ (١) . وفي رواية : ﴿ وَدَعُوا مَا يُنْكِرُونَ ﴾ (٢) . قال ابن حجر في الفتح في التعليق على هذا الحديث : [وَفِيهِ دَلِيل عَلَى أَنَّ المتَشَابِه لَا يَنْبَغِي أَنْ يُذْكَر عِنْد الْعَامَّة] اهـ . وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : ﴿ حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ وِعَاءَيْنِ ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَثَثْتُهُ ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَلَوْ بَثَثْتُهُ قُطِعَ هَذَا الْبُلْعُومُ ﴾ (٣) .

نذكر هنا واقعتين ، وقعتا لاثنين من كبار الصحابة ، عندما صرحا ببعض من هذه العلوم :

الواقعة الأولى : وقعت مع حذيفة بن اليمان ﷺ المختص بعلوم الفتن : قالوا لحذيفة ابن اليمان ﷺ : حدثنا يا أبا عبد الله ؛ ما سمعت من رسول

١- رواه البخاري في صحيحه عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه موقوفا . وابن عبد البر في فضيلة العلم عن ابن عباس ﷺ موقوفا .

٢- هذه الزيادة رواها الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي والبيهقي في المدخل إلى السنن .

٣- بهذا اللفظ رواه البخاري في صحيحه وابن راهويه وابن عبد البر في جامع بيان العلم والتبريزي في مشكاة المصابيح وابن سعد في الطبقات وابن عساكر في تاريخه . وفي الحلية لأبي نعيم عن أبي هريرة ﷺ قال : حفظت من رسول الله ﷺ خمسة جرب ، فأخرجت منها جرابين ، ولو أخرجت الثالث لرجمتموني بالحجارة . وعند أبي نعيم وأحمد من طريق يزيد عن أبي هريرة ﷺ ، وقيل له : أكثرت . فقال : لو حدثتكم بما سمعت لرميتموني بالقشع (أي الجلود) .

الله ﷺ ؟ . قال : ﴿لو فعلت لرجمتموني﴾ . قال : قلنا : سبحان الله ، أنحن نفعل ذلك ؟ . قال : ﴿أرأيتكم لو حدثتكم ؛ أن بعض أمهاتكم تأتيكم في كتيبة ، كثير عددها ، شديد بأسها ، صدقتم به﴾ ؟ . قالوا : سبحان الله ، ومن يصدق بهذا ؟ . ثم قال حذيفة : ﴿أتتكم الحميراء في كتيبة ، يسوقها أعلاجها ، حيث تسوء وجوهكم﴾ . ثم قام فدخل مخدعا (١) .

قال البيهقي : أخبر بهذا حذيفة ، ومات ، قبل مسير أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها في واقعة الجمل .

الواقعة الثانية : كانت في الحقائق ، ووقعت مع ابن عباس ﷺ ، في تفسير قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾ {الطلاق : ١٢} ، فقد ورد عَنْ اِبْن عَبَّاس ﷺ قولين في تفسيرها :

- **الأول** : ﴿**لَوْ حَدَّثْتُكُمْ بِتَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَة لَكَفَرْتُمْ ، وَكُفْركُمْ : تَكْذِيبكُمْ بِهَا**﴾ (٢) . وفي رواية : ﴿**لَرَجَمْتُمُونِي**﴾ . أو ﴿**لَقُلْتُم أَنِّي كَافِرٌ**﴾ (٣) .

١- رواه الحاكم وصححه وأقره الذهبي والطبراني في الأوسط والبيهقي وأبو نعيم في الحلية .

٢- رواه ابن جرير الطبري ومحمد بن الضريس في فضائل القرآن وأورده ابن حجر العسقلاني في فتح الباري شرح صحيح البخاري رواية عن ابْن أَبِي حَاتِم مِنْ طَرِيق مُجَاهِد عَنْ اِبْن عَبَّاس ﷺ .

٣- أورده بهذا اللفظ الغزالي في الإحياء وأبو طالب في قوت القلوب .

وفي رواية ، قال ابن عباس ﷺ لمن سأله عن تفسيرها : ﴿ **مَا يُؤَمِّنْكَ إِنْ أَخْبَرْتُكَ بِهَا ، فَتَكْفُرْ ؟** ﴾ (١) . وفي رواية : أن الرجل سأله ثلاث مرات ، فلم يرد عليه شيئا ، حتى إذا خف عنه الناس ، قال له الرجل : ما يمنعك أن تجيبني ؟ قال : ﴿ **مَا يُؤَمِّنْكَ إِنْ أَخْبَرْتُكَ أَنْ تَكْفُر ؟** ﴾ . قال : أخبرني ، قال : ﴿ **سماء تحت أرض ، وأرض فوق سماء ، مطويات بعضها فوق بعض ، يدور الأمر بينهن ، كما يدور هذا الجردناب الذي يدور بالغزل عليه** ﴾ (٢) .

- **الثاني** : ﴿ **سَبْعُ أَرْضِينَ فِي كُلِّ أَرْضٍ نَبِيٌّ كَنَبِيِّكُمْ ، وَآدَمُ كَآدَمَ ، وَنُوحٌ كَنُوحٍ ، وَإِبْرَاهِيمُ كَإِبْرَاهِيمَ ، وَعِيسَى كَعِيسَى** ﴾ (٣) . وفي رواية ، قال : ﴿ **في كُلِّ أَرْضٍ نَحْوَ إِبْرَاهِيم** ﴾ (٤) .

فالحديث صحيح ثابت عن ابن عباس ﷺ ، ولكن لأن هذا التفسير لهذه الآية غير مفهوم ، قال ابن كثير فيه : فهو محمول – إن صح نقله عنه ،

١- رواها ابن جرير الطبري في تفسيره وابن المنذر وأوردها ابن كثير في تفسيره رواية عن عبد بن حميد .

٢- رواها أبو الشيخ في العظمة وأبو نعيم في أخبار أصبهان .

٣- رواه الحاكم وصححه (وأقره الذهبي) وابن أبي حاتم في تفسيره .

٤- رواه الحاكم وصححه (وأقره الذهبي على شرط البخاري ومسلم) والبيهقي في الأسماء والصفات وقال إسناده صحيح لابن عباس ﷺ .

أي عن ابن عباس – على أنه أخذه عن الإسرائيليات ، وذلك وأمثاله ، إذا لم يخبر به ، ويصح سنده إلى معصوم ، فهو مردود على قائله .

انظر كيف اتُّهِم ابن عباس ﷺ – حبر هذه الأمة – بأنه يأخذ تفسير هذه الآية من الإسرائيليات . وهذا مصداقا لما تنبأ به ابن عباس حين سئل عن التفسير فقال : ﴿لَرَجَمْتُمُونِي﴾ . أو ﴿لَقُلْتُم أَنِّي كَافِرٌ﴾ .

وهذا مشابه لما حدث مع رسول الله ﷺ ، حين أخبرهم أنه أُسرِيَ به ، في بعض ليلة ، إلى بيت المقدس ، على البراق ، وفي صحبة جبريل عليه السلام ، فارتد بعض من أسلم ، ولم تتحمل عقولهم السقيمة ذلك ، فكيف لو كان أخبرهم بالمعراج ؟ .

ومن صدقه من المسلمين ، فهم على درجات من التصديق .

فكلما زاد تصديقهم ، كلما أباح بعضا من السر ، الذي لم يصلنا منه سوى بضعة أحاديث ، فنحن حتى الآن لم نعرف ما رآه ، ﷺ ، مفصلا ، في هذه الرحلة المباركة ، إذ أنه من الأسرار . ومن هذه العلوم والأسرار ، ما أخبر به الأمة جميعا :

كالصلاة والقرآن . وكإخباره عن الملائكة ، والجنة وما فيها ، والنار وما فيها ، وأهوال يوم القيامة ، وحساب القبر ، وغيرها كثير .

- قول أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها بأن مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ ، فَقَدْ كَذَبَ ، ثُمَّ قَرَأَتْ : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ {الأنعام : ١٠٣} .

قال الإمام النووي ﷺ : [إنما اعْتَمَدَتِ الاستنباط ، على ما ذكرته من ظاهر الآية ، وقد خالفها غيرها من الصحابة ، والصحابي إذا قال قولا ، وخالفه غيره منهم ، لم يكن ذلك القول حجةً ، اتفاقاً ، والمراد بالإدراك في الآية : الإحاطة . وذلك لا ينافي الرؤية] . اهـ .

فاحتجاج أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها ، بالآية المذكورة ، خالفها فيه ابن عباس ﷺ :

فعَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ : ﴿ **رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ** ﴾ . قُلْتُ : أَلَيْسَ اللهُ يَقُولُ : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ ﴾ {الأنعام : ١٠٣} . قَالَ : ﴿ **وَيْحَكَ ذَاكَ إِذَا تَجَلَّى بِنُورِهِ الَّذِي هُوَ نُورُهُ** ﴾ . وَقَالَ : ﴿ **أُرِيَهُ مَرَّتَيْنِ** ﴾ (١) .

وفي رواية ، قال ابن عباس ردًّا على عكرمة : ﴿ **يَا لَا أُمَّ لَكَ ، ذَاكَ نُورُهُ الذي هُوَ نُورُهُ ، إِذَا تَجَلَّى بِنُورِهِ لَا يُدْرِكهُ شَيْءٌ** ﴾ (٢) .

١- رواه الترمذي (وحسنه . واللفظ له) والحاكم في المستدرك (وصححه) والطبراني في الكبير وابن أبي حاتم وابن خزيمة في التوحيد والخطيب في الجامع والمزي في تهذيب الكمال .

٢- رواه البيهقي في الأسماء والصفات وابن خزيمة في التوحيد واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد .

قال الحافظ ابن حجر ﷺ في فتح الباري ، تعليقا على ذلك : [وحاصله أن : المراد بالآية ؛ نفي الإحاطة به عند رؤياه ، لا نفي أصل رؤياه] اهـ .

وقال تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) ﴾ {القيامة : (٢٢ – ٢٣)} .

عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ الله ﷺ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةً – يَعْنِي الْبَدْرَ – فَقَالَ : ﴿ **إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ . فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ، فَافْعَلُوا . ثُمَّ قَرَأَ :** ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴾ {ق : ٣٩} ﴾ (١) .

واستدل القرطبي بذلك ، فقال : [وإذا جازت الرؤية في الآخرة ، جازت في الدنيا ، لتساوي الوقتين بالنسبة إلى المرئي] اهـ .

وعَلَّقَ الحافظ ابن حجر في الفتح على كلام القرطبي قائلا : [وهو استدلال جيد] اهـ .

١- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وأبو داود والترمذي وابن ماجة وأحمد والبيهقي في السنن والشعب والنسائي والطبراني وأبو عوانة والحميدي وابن حبان وابن منده في الإيمان وابن خزيمة في التوحيد والدارقطني في الرؤية عن جرير بن عبد الله البجلي ﷺ . ورواه الترمذي وابن ماجة وابن منده في الإيمان والدارقطني في الرؤية عن أبي هريرة ﷺ . ورواه ابن ماجة والدارقطني في الرؤية عن أبي سعيد الخدري ﷺ .

وإن احتج محتج ، بأن النبي ﷺ لم ير ربه ، لقوله ﷺ : ﴿**لَنْ تَرَوْا رَبَّكُمْ حَتَّى تَمُوتُوا**﴾ (١) . فقد رد عليه ابن حجر في الفتح بقوله : [أن يقول إن المتكلم لا يدخل في عموم كلامه] اهـ .

ومم أثبت رؤية النبي ﷺ ربه :

سيدنا الحسن بن علي عليه السلام : حيث حكى عبد الرزاق عن معمر عن الحسن رضي الله عنه أنه حلف أن سيدنا محمداً ﷺ رأى ربه . وأخرج ابن خزيمة عن عروة بن الزبير رضي الله عنه إثباتها ، وكان يشتد عليه إذا ذُكر له إنكار أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها . وبه قال سائر أصحاب ابن عباس رضي الله عنهما . وجزم به كعب الأحبار والزهري وصاحبه معمر وآخرون . وهو قول الأشعري وغالب أتباعه .

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري ، والمباركفوري في تحفة

١- رواه ابن ماجة وابن أبي عاصم في السنة وفي الآحاد والمثاني والحاكم وصححه وابن خزيمة في التوحيد والدارقطني في الرؤية ونعيم بن حماد وعبد الله بن أحمد في السنة واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد وتمام في فوائده وذكر الحافظ ابن حجر في الفتح والمباركفوري في التحفة أن مسلم خرجه في صحيحه عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه . وأحمد والنسائي ونعيم بن حماد والطبراني في مسند الشاميين والبزار وابن أبي عاصم في السنة والآجري في الشريعة والشاشي والخولاني في تاريخ داريا واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه .

الأحوذي : [رَوَى الْخَلَّالُ فِي كِتَابِ السُّنَّةِ ، عَنْ الْمَرْوَزِيِّ ، قَالَ : قُلتُ لِأَحْمَدَ بن حنبل : إِنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّ أم المؤمنين السيدة عَائِشَةَ رضي الله عنها ، قَالَتْ : مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى الله الْفِرْيَةَ . فَبِأَيِّ شَيْءٍ يُدْفَعُ قَوْلُهَا ؟ . قَالَ : بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : «رَأَيْت رَبِّي» (١) . قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ أَكْبَرُ مِنْ قَوْلِهَا] اهـ .

١- سبق تخريجه .

قصة الإسراء والمعراج :

الصلاة على أول مُبْدَعٍ . كان ؛ ولا موجود ظهر هناك ، ولا نجم . فسمي مثلاً ، وقد أوجده الله تعالى فرداً ، لا يتقسم ، في قوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ {الشورى : ١١} . وهو الفرد العلم ، أقامه ناظراً في مرآة الذات ، فما اتصل بها ، ولا انفصم عنها ، فلما بدت له صورة المثل ؛ آمن بها وسلم . وملّكه مقاليد مملكته واستسلم .

فإذا الخطاب : أنت الموجود الأكرم ، والحرم الأعظم ، والركن والملتزم والمقام ، والحجر المستَلَم ، والسر الذي في زمزم ، وهو لما شرب له (١) ، فافهم . وهو المشار إليه بواسطة التركيب : ﴿المؤمِنُ مِرْآةُ المؤمِنِ﴾ (٢) .

١- حديث : ﴿مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ﴾ . رواه ابن ماجة وأحمد وابن أبي شيبة والبيهقي في السنن والشعب والطبراني في الأوسط والأصبهاني في أخبار أصبهان وابن المقرئ في معجمه والمنذري في الترغيب والترهيب عن جابر بن عبد الله ﷺ . والحاكم في المستدرك والدارقطني والمنذري في الترغيب والترهيب عن ابن عباس ﷺ . والبيهقي في الشعب عن ابن عمرو ﷺ .

٢- رواه الطبراني في الأوسط والضياء في المختارة (وحسنه السيوطي) ورواه البزار والقضاعي في مسند الشهاب وأبو الشيخ في الأمثال وتمام في فوائده والماوردي في أدب الدنيا والدين وابن عدي في الكامل ، عن أنس بن مالك ﷺ . ورواه البخاري في الأدب وأبو داود والبيهقي في سننه وفي الشعب والطبراني في مكارم الأخلاق والديلمي في مسند الفردوس والعسكري وابن جرير وابن وهب عن أبي هريرة ﷺ وقال العراقي : إسناده حسن .

فَلْيُنْظَر ما بدا له فيها ، ولْيُتَكَتَّم ، وعلى آله وصحبه الطاهرين وسلم .

- قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ {الحديد : ٤} . فهو تعالى معنا أينما كُنَّا :

– في حال نزوله إلى السماء الدنيا ، في الثلث الباقي من الليل (١) .

– وفي حال كونه استوى على العرش (٢) .

– وفي حال كونه في العماء (٣) .

١– إشارة إلى الحديث : ﴿ يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ ، يَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي ، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ . مَنْ يَسْأَلُنِي ، فَأُعْطِيَهُ . مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي ، فَأَغْفِرَ لَهُ ﴾ . رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والترمذي وأحمد والبيهقي وعبد الرزاق والنسائي في السنن الكبرى والدارمي والآجري في الشريعة والتبريزي في المشكاة عن أبي هريرة ﷺ .

٢– إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ {الأعراف : ٥٤ ، يونس : ٣ ، الرعد : ٢ ، الفرقان : ٥٩ ، السجدة : ٤ ، الحديد : ٤} . وقوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ {طه : ٥} .

٣– أخرج الطيالسي وابن حبان في صحيحه وأحمد والترمذي (وحسنه) وابن ماجة والطبراني في الكبير وابن جرير وابن أبي عاصم في السنة وابن المنذر وأبو الشيخ في العظمة وابن أبي شيبة في العرش وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات عن أَبِي رَزِينٍ العقيلي ﷺ قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ الله أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقَهُ ؟ . قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿ كَانَ فِي عَمَاءٍ ، مَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ ، وَمَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ ، وَخَلَقَ عَرْشَهُ عَلَى الماءِ ﴾ . روى الترمذي عن يَزِيدِ بْنِ هَارُونَ ، قَالَ : الْعَمَاءُ : أَيْ لَيْسَ مَعَهُ شَيْءٌ .

- وفي حال كونه في الأرض وفي السماء (١) .
- وفي حال كونه أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد منه (٢) .

وهذه نعوت لا يمكن أن يوصف بها إلا هو . فما نقل الله عبداً من مكان إلى مكان ، ليراه ، بل لِيُرِيَهُ من آياته التي غابت عنه ، قال تعالى : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ﴾ {الإسراء : ١} .

وكذلك إذا نَقَّل اللهُ العبدَ في أحواله ، ليريه أيضاً من آياته ، فنقله في أحواله مثل قوله ﷺ : ﴿ **إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا . وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا** ﴾ (٣) .

وكذلك قوله تعالى عن ابراهيم عليه السلام : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ {الأنعام : ٧٥} . وذلك عين اليقين

١- إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ {الزخرف : ٨٤}

٢- إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ {ق : ١٦} .

٣- أخرجه أحمد وعبد بن حميد ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجة والبزار وابن حبان والحاكم وصححه واللفظ له وابن مردويه عن ثوبان رضي الله عنه . وأخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن شداد بن أوس رضي الله عنه .

لأنه عن رؤية وشهود .

وكذلك نقله عبده من مكان إلى مكان ، ليريه ما خص الله به ذلك المكان ، من الآيات الدالة عليه تعالى ، من حيث وصف خاص ، لا يُعلم من الله تعالى إلا بتلك الآية ، فكأنه تعالى يقول : ما أسريت به ؛ إلا لرؤية الآيات ؛ لا إلي ، فإنه لا يحويني مكان ، ونسبة الأمكنة إلي نسبة واحدة ، فأنا الذي وسعني قلب عبدي المؤمن ، فكيف أسري به إلي ، وأنا عنده ، ومعه أينما كان ، فلما أراد الله أن يري النبي عبده محمداً ﷺ من آياته ما شاء ؛ أنزل إليه جبريل عليه السلام ، وهو الروح الأمين ، بدابة يقال لها البراق ، إثباتاً للأسباب ، وتقوية له ، ليريه العلم بالأسباب ذوقاً ، كما جعل الأجنحة للملائكة ، ليعلمنا بثبوت الأسباب التي وضعها في العالم .

والبراق دابة برزخية ، فإنه دون البغل ، الذي تولد من جنسين مختلفين ، وفوق الحمار ، الذي تولد من جنس واحد ، فجمع البراق بين من ظهر من جنسين مختلفين ، وبين من ظهر من جنس واحد ، لحكمة علمها أهل الله ، في صدور عالم الخلق وعالم الأمر .

فركبه ﷺ ، وأخذه جبريل عليه السلام . والبراق للرسل مثل الفرس ، الذي يخرجه الراسل للرسول ، ليركبه ، اهتماماً به في الظاهر ، وفي الباطن أن لا يصل

إليه إلا على ما يكون منه ، لا على ما يكون لغيره ، لينتبه بذلك ، فهو تشريف ، وتنبيه لمن لا يدري مواقع الأمور ، فهو تعريف في نفس الأمر ، كما قررناه بما قلناه .

فجاء ﷺ إلى البيت المقدس ، ونزل عن البراق ، وربطه بالحلقة التي تربطه بها الأنبياء عليهم السلام ، كل ذلك إثباتاً للأسباب ، فإنه ما من رسول إلا وقد أسري به ، راكباً على ذلك البراق .

وإنما ربطه – مع علمه بأنه مأمور – ولو أوقفه دون ربط بحلقة ؛ لوقف . ولكن حكم العادة منعه من ذلك ، إبقاءًا لحكم العادة التي أجراها الله في مسمى الدابة .

ألا تراه ﷺ كيف وصف البراق بأنه قلب بحافره القدح ، الذي كان يتوضأ به صاحبه ، في القافلة الآتية إلى مكة . فوصف البراق بأنه يَعثُر ، والعثور هو الذي أوجب قلب القدح .

فلما صلى ، جاءه جبريل عليه السلام بالبراق ، فركب عليه ، ومعه جبريل ، فطار البراق في الهواء ، فاخترق به الجو ، فعطش ﷺ ، واحتاج إلى الشرب ، فأتاه جبريل بإناءين : إناء لبن ، وإناء خمر (قبل تحريم الخمر) . فعرضهما عليه ، فتناول اللبن ، فقال له جبريل عليه السلام : أصبت الفطرة ، أصاب الله بك أمتك . ولذلك كان ﷺ يتأول اللبن

- إذا رآه في النوم - بالعلم (١) .

فلما وصل إلى السماء الدنيا ، استفتح جبريل ، فقال له الحاجب : من هذا ؟ فقال : جبريل . قال : ومن معك ؟ . قال : محمد ﷺ . قال : وقد بعث إليه ؟ . قال : قد بعث إليه . ففتح ، فدخلا . فإذا بآدم عليه السلام ، وعن يمينه أشخاص بنيه السعداء أهل الجنة . وعن يساره نسم بنيه الأشقياء ، عمرة النار . ورأى النبي ﷺ نفسه في أشخاص السعداء ، الذين على يمين آدم ، فشكر الله تعالى ، وعلم عند ذلك كيف يكون الإنسان في مكانين ، وهو عينه ، لا غيره ، فكان له كالصورة المرئية ، والصور المرئيات في المرآة والمرايا . فقال : مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح .

ثم عرج به البراق ، وهو محمول عليه ، في الفضاء الذي بين السماء الأولى والسماء الثانية ، أو سمك السموات ، فاستفتح جبريل عليه السلام السماء الثانية ، كما فعل الأولى . وقال وقيل له ، فلما دخل إذا بعيسى عليه السلام ، بجسده عينه ، فإنه لم يمت إلى الآن ، بل رفعه الله إلى هذه السماء ، وأسكنه بها ،

١- قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ ؛ أُتِيتُ بِقَدَحِ لَبَنٍ ، فَشَرِبْتُ ، حَتَّى إِنِّي لَأَرَى الرِّيَّ يَخْرُجُ فِي أَظْفَارِي ، ثُمَّ أَعْطَيْتُ فَضْلِي عُمَرَ بْنَ الخطَّابِ﴾ . قَالُوا : فَمَا أَوَّلْتَهُ يَا رَسُولَ الله ؟ . قَالَ : ﴿الْعِلْمَ﴾ . رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والترمذي وأحمد والنسائي والدارمي والبيهقي في السنن وابن حبان والطبراني وابن بشران في أماليه وابن أبي عاصم في السنة والآجري في الشريعة عن ابن عمر رضي الله عنهما .

وحكَّمَه فيها . فرحب به ، وسهَّلَ . ثم جاء السماء الثالثة ، فاستفتح ، وقال وقيل له ، ففتحت ، وإذا بيوسف عليه السلام ، فسلم عليه ورحب وسهل ، وجبريل في هذا كله يسمى له من يراه من هؤلاء الأشخاص .

ثم عُرج به إلى السماء الرابعة ، فاستفتح ، وقال وقيل له ، ففُتحت ، فإذا بإدريس عليه السلام ، بجسمه ، فإنه ما مات إلى الآن ، بل رفعه الله مكاناً عليًّا(١) ، وهو هذه السماء ، قلب السموات وقطبها ، فسلم عليه ورحب وسهل .

ثم عُرج به إلى السماء الخامسة ، فاستفتح ، وقال وقيل له ، ففُتحت ، فإذا بهارون ويحيى عليهما السلام ، فسلما عليه ورحبا به وسهلا .

ثم عُرج به إلى السماء السادسة ، فاستفتح ، وقال وقيل له ، ففتحت ، فإذا بموسى عليه السلام ، فسلم عليه ورحب وسهل .

ثم عُرج به إلى السماء السابعة ، فاستفتح ، وقال وقيل له ، ففتحت ، فإذا بإبراهيم الخليل عليه السلام ، مسنداً ظهره إلى البيت المعمور ، فسلم عليه ورحب وسهل ، وسمى له البيت المعمور : الضراح . فنظر إليه ، وركع فيه ركعتين ، وأعلمنا أنه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك من الباب الواحد ،

١- إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ ﴾ {مريم : (٥٦ – ٥٧)} .

ويخرجون من الباب الآخر ، وأخبره أن أولئك الملائكة يخلقهم الله كل يوم ، من قطرات ماء الحياة ، التي تسقط من جبريل عليه السلام حين ينتفض كما ينتفض الطائر ، عندما يخرج من انغماسه في نهر الحياة ، فإن له كل يوم غمسة فيه .

ثم عرج به إلى سدرة المنتهى ، فإذا نبقها كالقلال ، وورقها كآذان الفيلة ، فرآها وقد غشاها الله من النور ما غشى ، فلا يستطيع أحد أن ينعتها ، لأن البصر لا يدركها لنورها ، ورأى يخرج من أصلها أربعة أنهار : نهران ظاهران ، ونهران باطنان . فأخبره جبريل عليه السلام أن النهرين الظاهرين : النيل والفرات ، والنهرين الباطنين : نهران يمشيان إلى الجنة ، وأن هذين النهرين : النيل والفرات ؛ يرجعان يوم القيامة إلى الجنة ، وهما نهرا العسل واللبن . وفي الجنة أربعة أنواع من الأنهار (١) :

- أنهار من ماء غير آسن : (أَسَنَ الماءُ أُسُونًا ، وَيَأْسِنُ بِالْكَسْرِ أَيْضًا : أَي تَغَيَّرَ فَلَمْ يُشْرَبْ ، فَهُوَ آسِنٌ) .
- وأنهار من لبن لم يتغير طعمه .
- وأنهار من خمر لذة للشاربين .
- وأنهار من عسل مصفى .

١- إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ ﴾ {محمد : ١٥} .

وهذه الأنهار تعطي لأصحابها علوماً – عند شربهم منها – متنوعة ، يعرفها أصحاب الأذواق في الدنيا .

وأخبره أن أعمال بني آدم تنتهي إلى تلك السدرة ، وأنها مقر الأرواح ، فهي نهاية لما ينزل مما هو فوقها ، ونهاية لما يعرج إليها مما هو دونها ، وبها مقام جبريل عليه السلام ، وهناك منصته .

فنزل ﷺ عن البراق بها ، وجيء إليه بالرفرف ، وهو نظير المحفة عندنا ، فقعد عليه ، وتركه جبريل عليه السلام ، فسأله النبي ﷺ الصحبة ، ليأنس به ، فقال : لا أقدر ، لو خطوت خطوة ، لاحترقت : ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ ﴾ {الصافات : ١٦٤} . وما أسرى الله بك يا محمد إلا ليريك من آياته ، فلا تغفل . وودعه .

وانصرف ﷺ على الرفرف ، متفردا في مقام الفردانية ، يعرج به ، إلى أن ظهر لمستوىً ، سمع منه صريف الأقلام في الألواح ، بما يكتب الله بها مما يجريه في خلقه ، وما تنسخه الملائكة من أعمال عباده ، قال تعالى : ﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ {الجاثية : ٢٩} .

لما وصل المعراج الرفرفي بالرسول ﷺ إلى مقامه الذي لا يتعداه الرفرف ، زُجَّ به في النور زَجَّة ، غمره النور من جميع نواحيه ، وأخذه الحال ، فصار

يتمايل فيه تمايل السراج ، إذا هب عليه نسيم رقيق ، يُميله ولا يطفئه ، ولم ير معه أحداً يأنس به ، ولا يركن إليه ، وقد أعطته المعرفة أنه لا يصح الأُنس إلا بالمناسب ، ولا مناسبة بين الله وعبده ، وإذا أضيفت المؤانسة ؛ فإنما ذلك على وجه خاص ، فأعطته ﷺ هذه المعرفة ؛ الوحشة ، لانفراده بنفسه ، وهذا مما يدلك أن الإسراء كان بجسمه ﷺ ، لأن الأرواح لا تتصف بالوحشة ، ولا الاستيحاش . فلما علم الله منه ذلك ، وكيف لا يعلمه ؟ . وهو الذي خلقه في نفسه . وطلب ﷺ الدنو بقوة المقام الذي هو فيه ، فنُودي بصوت يشبه صوت أبي بكر ﷺ تأنيساً له به ، إذ كان أنيسه في المعهود ، فحنَّ لذلك ، وأنس به ، وتعجب من ذلك اللسان في هذا الموطن ، وكيف جاءه من العلو ، وقد تركه بالأرض ! .

وقيل له في ذلك النداء : يا محمد قف ، إن ربك يصلي . فأخذه لهذا الخطاب انزعاج ، وتعجب كيف تُنسب الصلاة إلى الله تعالى ، فتحير في نسبة الصلاة إليه ، وكان سيدنا محمد ﷺ – في ذلك الموقف – في مقام الصورة الإلهية الكاملة ، التي تُستَقْبَل بالصلاة والسجود لها ، فلما دنا ؛ استقبله ربه بالصلاة له : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ {الأحزاب : ٥٦} . ولا علم له ﷺ بذلك ، فناداه الاسم العليم ، المنسوب إليه الكلام ، بصوت أبي بكر ،

ليعرفه بمرتبة أبي بكر ، ويؤنسه به : قف إن ربك يصلي . والوقوف : ثبات ، وهو قبلة للمصلي ، فوقف ، وأفزعه ذلك الخطاب ، لأن حاله في ذلك الوقت التسبيح ، الذي روحه : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ {الشورى : ١١} . فهذا الذي أفزعه . فلما تُلي عليه في ذلك المقام : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ {الأحزاب : ٤٣} . علم عند ذلك ما هو المراد بصلاة الحق .

فلما فرغ من الصلاة ، مثل قوله : ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴾ {الرحمن : ٣١} . أي لا يجمع بين شغلين ، يريد بذلك العناية بسيدنا محمد ﷺ ، حيث يقيمه في مقام التفرغ له ، فهو تنبيه على العناية به ، والله أجل وأعلى في نفوس العارفين به من ذلك ، فإن الذي ينال الإنسان من المتفرغ إليه ، أعظم وأمكن من الذي يناله ممن ليس له حال التفرغ إليه ، لأن تلك الأمور تجذبه عنه ، فهذا في حال النبي ﷺ وتشريفه ، فكان معه – في هذا المقام – بمنزلة مَلِكٍ استدعى أخص عبيده إليه ، ليقربه ويشرفه ، فلما دخل حضرته ، وقعد في منزلته ، طلب أن ينظر إلى الملك ، في الأمر الذي وُجه إليه فيه ، فقيل له تربص قليلاً ، فإن الملك في خلوته ، يغزل لك خلعة تشريف ، يخلعها عليك ، فما كان شغله عنه ؛ إلا به ، ولذلك فسر له صلاة الله

بقوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ ﴾ {الأحزاب : ٤٣} فشُرِّف بأن قيل له : إنما غاب عنك من أجلك ، وفي حقك .

قال تعالى : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ ﴾ {النجم : (٨ – ١١)} . أي : فلما أدناه عنده ، تدلَّى إليه ، فأوحى إلى عبده ما أوحى ، ما كذب الفؤاد ما رأى بالعين ، أي تجلى له في صورة علمه به ، فلذلك أنس بمشاهدة من عَلِمَه ، فكان شهود تأنيس في ذلك المقام .

ثم فُرض عليه – في جملة ما أوحى به إليه – خمسين صلاة ، في كل يوم وليلة ، فنزل حتى وصل إلى موسى عليه السلام ، فسأله موسى عما قيل له ، وما فُرض عليه ؟ فأجابه ، وقال : إن الله فرض على أمتي خمسين صلاة ، في كل يوم وليلة . فقال له : يا محمد ، قد تقدمت إلى هذا الأمر قبلك ، وتعبت مع أمتي فيه ، وإني أنصحك ، فإن أمتك لا تطيق ذلك ، فراجع ربك وسله التخفيف ، فراجع ربه ، وتكرر ذلك الموقف ، حتى قال له ربه : هي خمس ، وهي خمسون : ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ {ق : ٢٩} .

وبيان ذلك ؛ أنه لما وصل ﷺ إلى سماع أصوات الأقلام ، وهي تجري بما يحدث الله في العالم من الأحكام ، وهذه الأقلام رتبتها دون رتبة القلم

الأعلى ، ودون اللوح المحفوظ ، فإن الذي كتبه القلم الأعلى لا يتبدل ، وسُمي اللوح بالمحفوظ ؛ لأنه محفوظ من المحو ، فلا يُمحى ما كُتب فيه ، وهذه الأقلام تكتب في ألواح المحو والإثبات ، وهو قوله تعالى : ﴿ يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ {الرعد : ٣٩} . من هذه الألواح تتنزل الشرائع والصحف والكتب ، على الرسل صلوات الله عليهم وسلامه ، ولهذا يدخل في الشرائع النسخ ، ويدخل في الشرع الواحد النسخ في الحكم ، وإلى هنا كان يتردد ﷺ في شأن الصلوات الخمسين ، بين موسى عليه السلام وبين ربه ، فيمحو الله عن أمة سيدنا محمد ﷺ ما شاء من تلك الصلوات ، التي كتبها في هذه الألواح ، إلى أن أثبت منها هذه الخمسة ، وأثبت لمصليها أجر الخمسين ، وأوحي إليه أنه : لا يبدل القول لديه (١) . فما رجع بعد ذلك من موسى في شأن هذا الأمر .

وانصرف رسول الله ﷺ ، ونزل إلى الأرض قبل طلوع الفجر ، فنزل بالحجر ، فطاف ، ومشى إلى بيته . فلما أصبح ، ذكر ذلك للناس ، فالمؤمن به صدَّقه ، وغير المؤمن به كذبه ، والشاك ارتاب فيه . ثم أخبرهم بحديث القافلة ، وبالشخص الذي كان يتوضأ ، وإذا بالقافلة قد وصلت كما قال ،

١- وهو قوله ﷺ في الحديث : ﴿ ...**فَرَاجَعْتُهُ ، فَقَالَ هِيَ خَمْسٌ وَهِيَ خَمْسُونَ ، لَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ**... ﴾ سبق تخريجه .

فسألوا الشخص ؛ فأخبرهم بقلب القدح كما أخبرهم رسول الله ﷺ .
وسأله من حضر من المكذبين ، ممن رأى بيت المقدس ، أن يصفه لهم – ولم يكن رأى رسول الله ﷺ منه إلا قدر ما مشى فيه ، وحيث صلى ، فرفعه الله له ، حتى نظر إليه ، فأخذ ينعته للحاضرين ، فما أنكروا من نعته شيئاً .

رآه ببصره أم بفؤاده ؟

هذا الاستفسار لا يليق في حق رسول الله ﷺ ، لأنه انعكس بصره في بصيرته ، فكان كله مبصرا . فيستوي فيه أن تقول أنه رأى ببصره أو رأى ببصيرته .

انظر إليه ﷺ في الحديث الصحيح يقول : ﴿ **هَلْ تَرَوْنَ قِبْلَتِي هَا هُنَا ؟ . فَوَاللهِ مَا يَخْفَى عَلَيَّ خُشُوعُكُمْ وَلَا رُكُوعُكُمْ ، إِنِّي لَأَرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي** ﴾ (١) وفي رواية : ﴿ **فَإِنِّي أَرَاكُمْ أَمَامِي ، وَمِنْ خَلْفِي** ﴾ (٢) .

- أقسم النبي ﷺ ليزيل الشك من قلوب المرتابين .
- فيما يخص المرئي : عبر بالخشوع عن رؤيته ﷺ لباطنه ، وعبر بالركوع عن رؤيته ﷺ لظاهره .
- وفيما يخص كيفية الرؤية : أخبر أنه ﷺ يرى من خلفه كما يرى من أمامه ، أي أنه ﷺ كله مبصر .

١- رواه البخاري في صحيحه ومالك في الموطأ وأحمد وأبو عوانة وأبو يعلى وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه .

٢- رواه مسلم في صحيحه والنسائي وأحمد وابن أبي شيبة وعبد الرزاق والطبراني والبيهقي في الدلائل والدارمي وأبو عوانة وأبو يعلى وابن خزيمة عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

ومن هنا قال سيدنا الْحُسَيْنُ ﵇ : ﴿ سَأَلْتُ أَبِي عَنْ دُخُولِ رَسُولِ الله ﷺ ، فَقَالَ : كَانَ دُخُولُهُ لِنَفْسِهِ ، مَأْذُونًا لَهُ فِي ذَلِكَ ﴾ (١) . وهذا لأن الغيب كالشهادة بالنسبة له ﷺ .

١- رواه الطبراني والبيهقي في الدلائل والشعب والترمذي في الشمائل وابن حبان في الثقات وابن سعد وابن عساكر في التاريخ والآجري في الشريعة وأبو نعيم في المعرفة .

عُرج به جسداً وروحاً أم روحاً فقط ؟

هذا الاستفسار لا يليق في حق رسول الله ﷺ ، لأنه كان كله نورا ، ودليل ذلك كما ذكرنا سابقا هو ما ورد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّهُ قَالَ : جَعَلَ رسول الله ﷺ يَقُولُ فِي صَلاتِهِ ، أَوْ فِي سُجُودِهِ : ﴿ **اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا ، وَفِي سَمْعِي نُورًا ، وَفِي بَصَرِي نُورًا ، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا ، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا ، وَأَمَامِي نُورًا ، وَخَلْفِي نُورًا ، وَفَوْقِي نُورًا ، وَتَحْتِي نُورًا ، وَاجْعَلْنِي نُورًا** ﴾ (١) .

ففي هذا الدعاء طلب النبي ﷺ أن يجعل الله جسمه نورا ، وهذا ما يفسر قول ابن عباس رضي الله عنهما : (لم يكن لرسول الله ﷺ ظل . ولم يقم مع شمس قط ، إلا غلب ضوءه ضوء الشمس . ولم يقم مع سراج قط ، إلا غلب ضوءه ضوء السراج) (٢) .

- قال تعالى : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ {الإسراء : ١} .

١- بهذا اللفظ رواه مسلم في صحيحه وأحمد وأبو عوانة والطيالسي ومحمد بن نصر المروزي في قيام الليل عن ابن عباس رضي الله عنهما . وفي رواية أخرى بدون قوله ﷺ : (واجعلني نورا) رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والنسائي وأحمد وابن حبان والحاكم وصححه والطبراني وأبو يعلى وعبد الرزاق والبيهقي في الشعب عن ابن عباس رضي الله عنهما .

٢- رواه عبد الرزاق بسنده عن ابن جريج عن نافع عن ابن عباس رضي الله عنهما .

قوله تعالى : ﴿بِعَبۡدِهِۦ﴾ تعني أنه كان بالروح والجسد معا ، لأن هذه الجمعية (الروح + الجسد) هي التي يطلق عليها لفظ (عبد) .

ومن هنا نفهم ما ورد في بعض الروايات من شربه ﷺ من ماء القوم في الصحراء ، وإعادته الغطاء على الإناء الفارغ كما كان .

وهذا الإسراء بالجسد عدَّه البعض من الخصائص لرسول الله ﷺ . وأما الإسراء بالروح فيقع للأولياء ؛ على قدر تصفية الروح ، وغيبتها عن هذا العالم الحسي ، فتعرج أفكارهم وأرواحهم إلى ما وراء العرش ، وتخوض في بحار الجبروت ، وأنوار الملكوت ، كلٌّ على قدر تخليته وتحليته . إنما قال تعالى : ﴿بِعَبۡدِهِۦ﴾ ، ولم يقل : بنبيه : ولا برسوله ؛ ليدل على أن كل من كملت عبوديته ، كان له نصيب من الإسراء ، وراثة مصطفوية لهذه الأمة المحمدية .

عُرج به يقظة أم مناماً ؟

هذا الاستفسار أيضاً لا يليق في حق رسول الله ﷺ ، لأن يقظته كمنامه في الإدراك . فقد ورد عَنْ أُمِّ الْمُؤمنين السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ رَضْيَ اللهُ عَنْهَا أنها قَالَتْ : يَا رَسُولَ الله أَتَنَامُ قَبْلَ أَنْ تُوتِرَ ؟ . فَقَالَ : ﴿**يَا عَائِشَةُ إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ ، وَلَا يَنَامُ قَلْبِي**﴾ (١) . ولذا فإنه ﷺ كان ينام حتى ينفخ ، ثم يقوم فيصلي ، ولا يتوضأ . فمن كان كهذا ؛ فمنامه كيقظته ! .

وإن اعترض معترض على ذلك قائلا : نام رسول الله ﷺ عن صلاة الفجر حتى طلعت الشمس ، فنرد بأن الله تعالى أراد أن يُعَلِّم الناس ماذا عليهم إذا ناموا عن الصلاة ، فأمسك عينيه ، وأنامها ، ليصير بذلك سنة فيمن فاتته الصلاة عن وقتها ، وأن النوم ليس بتفريط ، فقد قال النبي ﷺ : ﴿**لَيْسَ فِي النَّوْمِ تَفْرِيطٌ ، إِنَّمَا التَّفْرِيطُ فِي الْيَقَظَةِ**﴾ (٢) . وهذا من قبيل ما

١- رواه مالك والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وأحمد والبيهقي وعبد الرزاق والنسائي وأبو عوانة وابن حبان وابن خزيمة عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها . ورواه أحمد وابن حبان وابن خزيمة والهيثمي في موارد الظمآن وابن جارود عن أبي هريرة ﷺ .

٢- عَنْ أَبِي قَتَادَةَ ﷺ ، قَالَ : ذَكَرُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ نَوْمَهُمْ عَنْ الصَّلَاةِ ، فَقَالَ : ﴿**إِنَّهُ لَيْسَ فِي النَّوْمِ تَفْرِيطٌ ، إِنَّمَا التَّفْرِيطُ فِي الْيَقَظَةِ . فَإِذَا نَسِيَ أَحَدُكُمْ صَلَاةً ، أَوْ نَامَ عَنْهَا ، فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا**﴾ . رواه مسلم في صحيحه وأبو داود والترمذي (واللفظ له) والنسائي وابن ماجة والبيهقي وأبو عوانة والدارقطني وابن حبان وابن خزيمة وابن المنذر وابن جارود وابن الجعد .

حدَّث به الإمام مَالِك ﷺ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : ﴿ إِنِّي لَأَنْسَى (أَوْ أُنَسَّى) ، لِأَسُنَّ ﴾ (١) . حيث قال تعالى له : ﴿ فَلَا تَنسَىٰٓ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾ {الأعلى : (٦-٧)} .

اعلم – أيدك الله – أيها الولي الحميم ، والصفي الكريم ، نَوَّرَ الله بصيرتك ؛ أن رسول الله ﷺ لما كان خُلُقُهُ القرآن (٢) وتخلق بالأسماء ، وكان الله سبحانه ذكر في كتابه العزيز أنه تعالى قد استوى على العرش (٣) ، على طريق التمدح والثناء على نفسه ، إذ كان العرش أعظم الأجسام ، فجعل لنبيه ﷺ من هذا الاستواء نسبة ، على طريق التمدح والثناء عليه به ، حيث كان أعلى مقام ينتهي إليه مَن أُسري به من الرسل ، وذلك يدل أنه

١- رواه مالك في الموطأ وهو – فيما أظن – مما لم يُرو عن غير مالك .

٢- حديث : ﴿ كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ ﴾ . رواه البخاري في الأدب المفرد والنسائي وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن يزيد بن بابنوس عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها . وأخرجه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد ومسلم وابن المنذر والحاكم وابن مردويه عن سعد بن هشام عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها . وأخرجه ابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن أبي الدرداء عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها . وأخرجه ابن مردويه عن عبد الله بن شقيق العقيلي عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها . وأخرجه ابن مردويه عن زينب بنت يزيد بن وسق عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها .

٣- إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ { طه : ٥} .

أُسري به ﷺ بجسمه يقظة ، ولو كان الإسراء به رؤيا ؛ لما كان الإسراء ولا الوصول إلى هذا المقام تمدحاً ، ولا وقع من الأعراب في حقه إنكار على ذلك ، لأن الرؤيا يصل الإنسان فيها إلى مرتبة رؤية الله تعالى ، وهي أشرف الحالات ، وفي الرؤيا ما لها ذلك الموقع من النفوس ، إذ كل إنسان – بل الحيوان – له قوة الرؤيا ، فقال ﷺ عن نفسه ، على طريق التمدح ، لكونه جاء بحرف الغاية ، وهو (حتى) . فذكر أنه أسرى به ، حتى ظهر لمستوىً يسمع فيه صريف الأقلام (١) . صريف الأقلام : صوتها . وهو قوله تعالى : ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ {الإسراء : ١} . فالضمير في (إنه هو) : يعود على سيدنا محمد ﷺ . فإنه – تعالى – أسرى به ؛ فرأى الآيات ، وسمع صريف الأقلام ، فكان سميعا بسمع الحق بصيرا ببصر الحق .

١- حديث ﴿ ... ثُمَّ عُرِجَ بِي ، حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الْأَقْلَامِ﴾ . سبق تخريجه .

حقيقة الرؤية والمكالمة والإدراك :

قال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ {الصافات : ٩٦} . فالصور التي تقع عليها الأبصار ، والصور التي تدركها العقول ، والصور التي تُمَثِّلها الأوهام ؛ كلها حجب ، يُرى الحق من ورائها ، ويُنسب ما يكون من هذه الصور من الأعمال إلى الله تعالى .

فلم يزل الحق غيباً فيما ظهر من الصور في الوجود ، على تنوعات أحوالها . قال تعالى : ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ {البقرة : ١١٥} . وقال : ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ ﴾ {الحديد : ٤} . فهو تعالى المتجلي في كل صورة ، والظاهر بكل مظهر ، والباطن في كل غيب ، على ما قال عن نفسه في كتابه : ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾ {الحديد : ٣} . فلا تزال الحجب مُسدلة ، وهي أعيان هذه الصور . فهو تعالى حقيقة الوجود المطلق . وعين هوية المسمى : بالخلق ، والحق . محتد العالم الظاهر على صورة آدم . معنى لفظ الكائنات . روح صور المخترعات . الموجود بكماله – من غير حلول – في كل ذرة . اللائح جمال وجهه ، في كل غُرة . هوية العدم والوجود . إِنِّيَّة عين كل والد ومولود . بصفاته ، جَمُلَ الجمال ، فعمَّ .

وبذاته ، كَمُلَ الكمال ، فتمَّ . لاحت محاسنه ، على صفحات خدود الصفات . واستقامت بقيومية أحديته ، قدود الذات .

فنطقت ألسن الصوامت ، أنه عينها . وشهدت عين المحاسن ، والمساوئ ، أنه ، زينها . مجلى الأعالي والأسافل ، عين الأواخر والأوائل .

تَرَدَّى بالعظمة والكبرياء ، وتَسَربَل بالمجد والبهاء . فتحرك ، في كل متحرك ، بكل حركة . وسكن ، في كل ساكن ، بكل سكون ، بلا حلول ، كما يشاء . ظهر ، في كل ذات ، بكل خلق . اتصف بكل معنى ، في كل خَلْقٍ وحقٍ . جمع بذاته ، شمل الأضداد . وشمل بواحديته ، جمع الأعداد . فتعالى وتقدس في فرديته ، عن الأزواج والأفراد .

لا تحيط بعظمته العلوم . ولا تدرك كنه جلاله الفهوم . اعترف العالم بالعجز عن إدراكه . ورجع العقل في ربقه من رتقه ، خائبا عن فتقه وفكاكه .

لا أول لأوليته ، ولا آخر لآخريته . قيومٌ ، أزليٌ ، باقٍ أبديٌ . لا تتحرك في الوجود ذرة ، إلا بقوته وقدرته وإرادته . يعلم ما كان ، وما هو كائن ، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون ، من أمر بدء الوجود إلى نهايته .

وهو المتعالي عن هذه العبارات ، المتقدس عن أن تُعلَمَ ذاتُهُ بالتصريح والإشارات . هو كما علم نفسه ، حسب ما اقتضاه ، وبذاته حاز الكمال واستوفاه .

فكل إشارة دلت عليه : فقد أضربت عن حقيقتة صفحاً .

وكل عبارة أهدت إليه : فقد ضلت عنه جمحاً .

فلا يُرى إلا من وراء حجاب ، وهو قوله تعالى : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ {الأنعام : ١٠٣} .

كما لا يُكَلِّم إلا من وراء حجاب ، وهو قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾ {الشورى : ٥١} .

ولله در من قال :

رأيت ربي بعين قلبي ... فقلت لا شك أنت أنت
أنت الذي حزت كل أين ... بحيث لا أين ثم أنت
فليس للأين منك أين ... فيعلم الأين أين أنت
وليس للوهم فيك وهم ... فيعلم الوهم كيف أنت
أحطت علماً بكل شيء ... فكل شيء أراه أنت
وفي فنائي فنا فنائي ... وفي فنائي وجدت أنت

قال تعالى في الحديث القدسي : ﴿ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ﴾ (١) . فإذا كان الرائي كذلك ؛ يراه كفاحاً . فما يراه إلا حتى يكون الحق بصره ، فيكون هو الرائي نفسه ببصره في صورة عبده :

- فتشهده في الصور عيناً من الاسم الظاهر ، إذ هو بصرك .
- وتشهده من الاسم الباطن ، علماً ، إذ هو بصر آلتك التي أدركت بها ما أدركت .

قال تعالى : ﴿ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ {الإسراء : ١} . فالسميع البصير هنا هو سيدنا محمد ﷺ بربه .

- سمع ربه ، بربه ، لأنه لا يسمع الحق إلا الحق . فيكون الحق تعالى هو السامع نفسه ، بسمعه ، في صورة عبده : ﴿ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ﴾ .
- وأبصر ربه ، بربه ، لأنه لا يبصر الحق إلا الحق . فيكون الحق تعالى هو الرائي نفسه ، ببصره ، في صورة عبده : ﴿ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ﴾ .

١- رواه البخاري في صحيحه وابن حبان في صحيحه والبيهقي في السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه . ورواه أحمد والحكيم وأبو يعلى والطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الطب والبيهقي في الزهد وابن عساكر عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها . ورواه ابن السني في الطب عن سمويه . ورواه أبو يعلى عن أم المؤمنين السيدة ميمونة رضي الله عنها . والطبراني في الكبير عن أبي أمامة رضي الله عنه .

- فإن قلت أن سيدنا محمداً ﷺ لم يسمع ربه إلا من وراء حجاب ، صدقت . وإن قلت أن الحق في محمد ﷺ سمع نفسه ، صدقت .
- وإن قلت أن سيدنا محمداً ﷺ لم يرى ربه ، صدقت ، وإن قلت أن الحق في محمد ﷺ رأى نفسه ، صدقت .
- ومن هنا كان صحيحاً ، أنه ﷺ لما سُئل عن الرؤية ، قال : ﴿**نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ**﴾ (١) . وهي إجابة حيرت المفسرين والعلماء ، لاحتمالها النفي والإثبات .
- وكان صحيحا ، أنه ﷺ أجاب بالإثبات ، قائلا : ﴿**رَأَيتُ رَبِّي**﴾ (٢) .
- فما سيدنا محمد – حين رأى – هو محمد . وما سيدنا محمد – حين سمع – هو محمد ، وإنما هو ﷺ كما قال الحق فيه : ﴿**هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ**﴾ {الإسراء : ١} .

ومن هنا قال من قال :

إذا تجلى حبيبي	**بأيّ عين أراه**
بعينه لا بعيني	**فما يراه سواه**

١- سبق تخريجه .

٢- سبق تخريجه .

- قال تعالى : ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴿١٠٤﴾ ﴾ {الأنعام : (١٠٣ – ١٠٤)} .

قوله تعالى : ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾ {الأنعام : ١٠٣} . غير مخصوص بدارٍ دون دار ، بل أرسلها آية مطلقة ، ومسئلة معينة محققة .

فلما علم تعالى ، من أحباءه ، شوقهم إليه ، وعدم مقدرتهم على الصبر عنه ، أعطاهم البصائر ، فقال : ﴿ قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ ﴾ ليبصروا بها . ويؤيد ما ذهبنا إليه ، قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ { الحج : ٤٦} .

والبصيرة كالبصر ، أدنى شيء يقع فيها يَضُرُّ بناظرها ، وهي على أقسام :

- منها ما تكون عمياء ، والعياذ بالله ، وهي التي فسد ناظرها بفساد الاعتقاد ، كبصيرة الكفار ومن قاربهم .
- ومنها ما تكون مريضة فقط ، لا تقاوم شعاع شمس التوحيد الخاص ، وهي بصيرة أهل الغفلة .
- ومنها ما يخف مرضها فيكون لها شعاع ، تدرك قرب نور الحق منها ؛ وهي بصيرة المتوجهين من العباد والزهاد ، ونهاية الصالحين .

- ومنها ما تكون قريبة البُرء والصحة ، قد انفتحت ، لكنها حيرى ؛ لما فاجأها من النور ، وهي بصيرة المريدين السائرين من أهل الفناء .
- ومنها ما تكون صحيحة قوية ، قد تمكنت من شهود الأنوار ، ورسخت في بحر الأسرار ، وهي بصيرة العارفين المتمكنين في مقام البقاء .

وقد أشار ابن عطاء الله ﷺ في الحِكَم إلى ذلك بقوله :

- **شُعاعُ البصيرة** : يُشهدك قرب الحق منك .
- **وعين البصيرة** : يشهدك عدمك ، لوجوده .
- **وحق البصيرة** : يشهدك وجود الحق ، لا عدمك ولا وجودك .
- كان اللهُ ولا شيءَ معهُ ، وهو الآنَ علَى ما عليه كان .

- لذا ؛ فقد علمنا المعلم الأكبر – صلاة الله وسلامه عليه – أن ننظر إلى الله تعالى في كل شيء ، بقوله : ﴿ **أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ** ﴾ . ثم استدرك النبي ﷺ ليخفف عن الناس ، لقوله تعالى : ﴿ **يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا** ﴾ {النساء : ٢٨} . فقال النبي ﷺ للضعفاء : ﴿ **فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ ؛ فَإِنَّهُ يَرَاكَ** ﴾ (١) .

١- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والنسائي وابن ماجة وأحمد وابن أبي شيبة عن أبي هريرة ﷺ . ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وأحمد والطبراني وابن أبي حاتم عن عمر بن الخطاب ﷺ .

- ورد عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه أنه قَالَ : أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِبَعْضِ جَسَدِي ، فَقَالَ : ﴿ **اعْبُدْ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، وَكُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ** ﴾ (١) .

وَعَنْ مُعَاذُ بن جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ الله ، أَوْصِنِي ، فَقَالَ ﷺ : ﴿ **اعْبُدِ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، وَاعْدُدْ نَفْسَكَ مِنَ الموْتَى ، وَاذْكُرِ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- عِنْدَ كُلِّ حَجَرٍ وَعِنْدَ كُلِّ شَجَرٍ** ﴾ (٢) .

تتفق الروايتان في أنه ﷺ اقتصر في وصيته لهما ، على الهمة العالية ، وهي : ﴿ **كَأَنَّكَ تَرَاهُ** ﴾ ولم يذكر لهما همة الضعفاء : ﴿ **فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ ...** ﴾ .

قوله ﷺ لمعاذ : ﴿ **وَاعْدُدْ نَفْسَكَ مِنَ الموْتَى** ﴾ أو ﴿ **في الموْتَى** ﴾ . مصداقا للحديث الآخر الذي روي عن النبي ﷺ أنه قال : ﴿ **اعْلَمُوا أَنَّكُم لَنْ تَرَوا رَبَّكُم حَتَّى تَمُوتُوا** ﴾ (٣) .

١- رواه أحمد في مسنده وأبو نعيم في الحلية عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

٢- رواه ابن أبي شيبة والبيهقي في الشعب وابن أبي الدنيا في الصمت وهناد في الزهد والطبراني في الكبير (ووثق رجاله الهيثمي) والشاشي في مسنده عن معاذ بن جبل رضي الله عنه .

٣- هذا جزء من حديث الدجال الذي رواه مسلم (فيما ذكره عنه ابن حجر في الفتح) وأبو داود وابن ماجة والحاكم وصححه على شرط مسلم (ووافقه الذهبي) وابن خزيمة والدار قطني والضياء المقدسي ونعيم بن حماد والشيباني عن أبي أمامة رضي الله عنه . وفي المسند للإمام أحمد وفي السنة لعبد الله بن أحمد والطبراني والنسائي والآجري ونعيم بن حماد في الفتن عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه .

واعتقادك في ربك الذي مت عليه ، والذي انتقلت عليه للدار الآخرة ، هو الذي تحشر عليه : فقد صح عن رسول الله ، ﷺ ، أنه في يوم القيامة : ﴿ **يَأْتِيهِمْ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، فِي صُورَةٍ ، غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ . فَيَقُولُونَ : نَعُوذُ بِالله مِنْكَ ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا ، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ . فَيَأْتِيهِمْ اللهُ تَعَالَى فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ . فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ . فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا . فَيَتَّبِعُونَهُ** ﴾ (١) .

فقد أثبت هذا الحديث أنه تعالى له تجلٍ في الصور ، وأثبت أن في مخيلة كل شخص صورة لربه ، لا يعرفه إلا بها ، وأنه إذا رآه تعالى في الآخرة في غير هذه الصورة ، التي اعتقده فيها في الدنيا ، فلن يعرفه ، وسينكره ، حتى يتجلى الله تعالى له في الصورة التي اعتقده عليها ، وعرفه فيها .

وعلى هذا ، فإن أساس السلوك الصوفي : هو كشف الحجاب في الدنيا ، على ما أوضحناه .

فمن رآه هنا رآه هناك : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ {القيامة : (٢٢ – ٢٣)} .

١– أخرجه البخاري ومسلم والنسائي والترمذي (وقال : حسن صحيح) وعبد الرزاق وأحمد وعبد بن حميد والدارقطني في الرؤية والبيهقي في الأسماء عن أبي هريرة ﷺ . ورواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وأحمد والحاكم وأبو داود عن أبي سعيد ﷺ .

ومن حُجِبَ عنه هنا ، حجب هناك : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ {المطففين : ١٥} .

- قال سبحانه وتعالى في المعراج : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ ﴾ {النجم : (١٣ – ١٤)} .

فبعد أن رأى النبي ﷺ ربه حيث لا بين ولا أين ولا جهة ولا قرار ، تجلى الله – عز وجل – للنبي ﷺ في نزلةٍ أخرى ، عند سدرة المنتهى .

ويقول المحققون في هذا الموضع : أن النبي ﷺ ظن أنَّ ما رآه في الأول لا يكون في الكون – أي : في مظهر الكون – لكمال علمه بتنزيه الحق ، فلما رآه ثانياً علم أنه لا يحجبه تعالى شيء من الحدثان .

وهذه الآيات في بيان كمال شرف حبيبه ﷺ ، حيث أن عادة الكُبراء إذا زارهم أحد يأتون معه إلى باب الدار ، إذا كان عليهم كريم ، فهذا منه سبحانه إظهار كمال حُبه لحبيبه . وحقيقة الإشارة : أنه سبحانه أراد أن يعرِّف حبيبه مقام الالتباس ، فلبس الأمر ، وظهرَ المكرُ ، وتجلى الحقُّ تعالى من شجرة سدرة المنتهى ، كما نادى موسى عليه السلام من الشجرة (١) .

١– قال تعالى : ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ {القصص : ٣٠} .

ليعرفَهُ حبيبُه بكمال المعرفة ، إذ ليس بعارف مَن لم يعرف حبيبه في لباس مختلفة ، وبيان ذلك في قوله : ﴿إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ﴾ {النجم : ١٦} . وأبهم ما غشيها ؛ لأن العقول لا تُدرك حقائق ما يغشاها ، وكيف يغشاها ، والقِدم منزّه عن الحلول في الأماكن؟ ! .

كان الله ، ولم يكن شيء غيره (١) ، وهو الآن على ما عليه كان . كان ولا شجرة ، وكانت الشجرة مرآه لظهوره سبحانه ، ما ألطف ظهوره . ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ {آل عمران : ٧} . فالراسخون في العلم يؤمنون به ، بعد أن عرَّفهم به .

- قال تعالى في المعراج : ﴿لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ﴾ {النجم : ١٨} .

أي ترقى به عن رؤية فعله وآياته ، إلى رؤية صفاته ، ومن رؤية صفاته ، إلى

١- عَنْ عِمْرَان بْنِ حُصَيْنٍ ﷺ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «كَانَ اللهُ ، وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ» . بهذا اللفظ رواه البخاري في صحيحه والدارمي والبيهقي في الشعب وفي الاعتقاد والطحاوي وابن أبي عاصم في الأوائل وأبو نعيم في الحلية عن عمران بن حصين ﷺ . وبلفظ : «كَانَ اللهُ ، وَلَيْسَ شَيْءٌ غَيْرُهُ» رواه ابن حبان في صحيحه عن عمران بن حصين ﷺ . وبلفظ : «كَانَ اللهُ ، وَلَا شَيْءٌ غَيْرُهُ» رواه ابن خزيمة في التوحيد وابن أبي شيبة في كتاب العرش عن عمران بن حصين ﷺ . ورواه ابن جرير وابن المنذر وابن حبان وأبو الشيخ في العظمة والحاكم وابن مردويه عن بريدة ﷺ .

رؤية ذاته ، وأشهده مَشاهد جماله ، فرأى الحق بالحق ، وصار هنالك موصوفًا بوصف الحق ، فكان صورتُه روحَه ، وروحُه عقلَه ، وعقلُه قلبَه ، وقلبُه سره .

فرأى الحق بجميع وجوده ؛ ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ {الإسراء : ١} . لأن وجوده فانٍ بجميعه فيه ، فصار عينًا من عيون الحق ، فرأى الحق بجميع العيون ، وسمع خطابه بجميع الأسماع ، وعرف الحق بجميع القلوب .

- قال تعالى في الإسراء : ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ {الإسراء : ١} .

- قوله تعالى : ﴿أَسْرَىٰ﴾ الإسراء : من السُّرَى : وهو السير ليلا .
- وإنما خص الإسراء بالليل ؛ لكونه محل الفراغ من الأشغال والمناجاة والخلوة بالحبيب ، ولذلك رتب بعثه مقامًا محمودًا ؛ على التهجد بالليل في قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ {الإسراء : ٧٩} .

- وقال تعالى في المعراج : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ ﴾ {النجم : (٨ – ٩)} .

المعراج : هو من العروج ، وهو بالإقلاب : الرجوع ، أي رجوعه ﷺ إلى حقيقته الحقية ، وانتهاء الدورة الخلقية الكبرى في حقه .

﴿ ثُمَّ دَنَا ﴾ رسول الله ﷺ إلى الله ، وترقى عن مقام جبريل الطَّيِّلا : (لو دنوت أنملة لاحترقت) إذ وراء مقامه ، ليس إلا الفناء فى الذات ، والاحتراق بالسبحات .

﴿ فَتَدَلَّىٰ ﴾ أي مال إلى الجهة الإنسية ، بالرجوع من الحق إلى الخلق ، حال البقاء بعد الفناء ، والوجود الموهوب الحقاني .

﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ ﴾ أي كان ﷺ مقدار دائرة الوجود الشاملة للكل ، المنقسمة – بخط موهوم – إلى قوسين ، باعتبار الحق والخلق . والاعتبار هو الخط الموهوم ، القاسم الدائرة إلى نصفين .

فباعتبار البداية والتداني :

- يكون الخلق هو القوس الأول ، الحاجب للهوية فى أعيان المخلوقات وصورها .
- والحق هو النصف الأخير (القوس الثاني) الذي يقرب منه شيئا فشيئا ، وينمحي ويفنى فيه .

وباعتبار النهاية والتدلي :

- فالحق هو القوس الأول الثابت على حاله أزلاً وأبداً .
- والخلق هو القوس الأخير ، الذي يحدث بعد الفناء ، بالوجود الجديد الذي وُهب له .

فمقام (قاب قوسين) : هو مقام القرب الأسمائي ، باعتبار التقابل بين الأسماء فى الأمر الإلهي ، المسمى دائرة الوجود ، كالإبداء والإعادة ، والنزول والعروج ، والفاعلية والقابلية ، وهو الإتحاد بالحق مع بقاء التميز والاثنينية ، المعبر عنه بالاتصال ، ولا مقام أعلى من هذا المقام إلا مقام قوله : ﴿ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ .

﴿ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ أي أدنى من مقدار القوسين ، بارتفاع الإثنينية الفاصلة ، الموهمة لاتصال أحد القوسين بالآخر ، وتحقق الوحدة الحقيقية ، فى عين الكثرة ، بحيث تضمحل الكثرة فيها ، وتبقى الدائرة غير منقسمة بالحقيقة ، وهو المسمى بأحدية الذات والصفات . قال ابن عطاء الله في الحِكَم : (**الأكوان مثبتة بإثباته ، ممحوة بأحدية ذاته**) .

فمقام ﴿ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ : هو أحدية عين الجمع الذاتية ، لارتفاع التميز ، والاثنينية الاعتبارية هناك ، بالفناء المحض ، والطمس الكلي للرسوم كلها .

قيل لمن أُوتي جوامع الكلم ، وكان من ربه في مشاهدة العين في ﴿ قَابَ قَوْسَيْنِ ﴾ . ومع هذا التقريب الأكمل ، والحظ الأوفر الأجزل ، أراد الله تعالى أن يزيده ، فأنزل عليه : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ {طه : ١١٤} . ليُعطيه العلم بأن القرب لا يتناهى ، كما أن العلم لا يتناهى ، فلما علم ﷺ ذلك ،

أنزل عليه : ﴿أَوۡ أَدۡنَىٰ﴾ والتي تفيد إطلاق الدنو ، الذي هو القرب المطلق ، ليتحقق له ﷺ وعده تعالى بتمام العطاء في قوله : ﴿ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴾ {الضحى : ٥} .

لذا فحق رسول الله ﷺ علينا هو استحضار حقيقته الكاملة ، المشرفة بنور الذات الإلهية ، فى الآباد والآزال ، المحيطة بكل كمال ، حقي وخلقي ، المستوعبة لكل فضيلة فى الوجود ، صورةً ومعنىً ، حكماً وعيناً ، غيباً وشهادةً ، ظاهراً وباطناً .

ولن تستطيع أن تستحضر كل ذلك له ﷺ ، حتى تعلم أنه ، ﷺ ، هو البرزخ الكلي ، القائم بطرفي حقائق الوجود القديم والحديث ، فهو حقيقة كل من الجهتين ، ذاتاً وصفاتاً ، لأنه موجود عن نور الذات ، والذات جامعة لأوصافها وأفعالها ، وآثارها ومؤثراتها ، حكماً وعيناً . ومِنْ ثَمَّ ، قال تعالى في حقه : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ﴿٩﴾ ﴾ {النجم : (٨ – ٩)} .

وإني سأنزل لك حقيقة معنى هذه الآية الشريفة ، المفصحة عن كمالاته المنيفة ﷺ ، إنزالاً مثالياً ، يتصور لك فى الذهن – برؤية هذا المثال – تحقيق معناها إن شاء الله تعالى .

اعلم أولا ، أن الوجود كله ، كدائرة واحدة ، مقسومة فى النصف ، بخط يمر على مركز الدائرة :

- فالنصف الأعلى منها يسمى بالوجود القديم ، والواجب ، والحق . وتعالى الله عن التقسيم والانقسام .
- والنصف الأسفل منها يسمى بالوجود المحدث ، والممكن ، والخلق .

فكل نصف من الدائرة : قوس .

والخط الواحد : وتر ذلك القوس .

فالخط ، وتر قوسي الدائرة ، وبه تقوس كل نصف على ما هو عليه ، فقسم هذا الخط ، الذي هو الوتر قاب قوسين .

فعُلِمَ أن المقام المحمدي هو الجامع للكمالات الإلهية ، والكمالات الخلقية ، صورة ومعنى . وقد مثلنا هذه الدائرة :

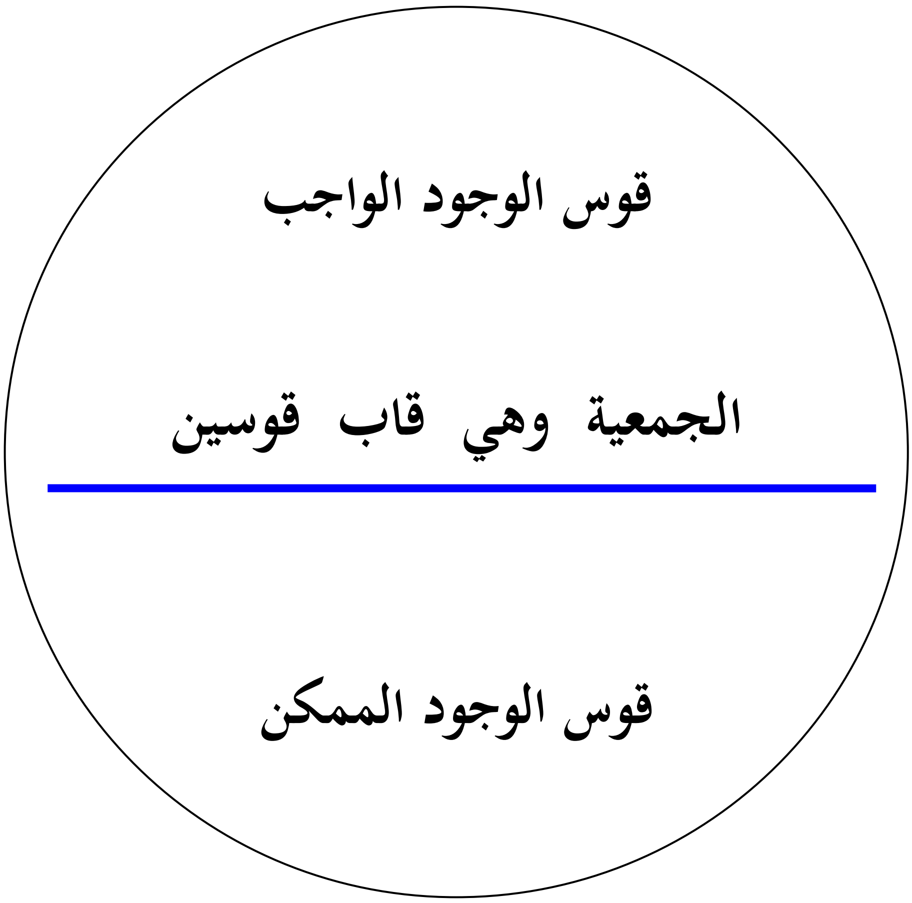

دائرة الوجود

وإنما كان ﷺ برزخا بين الحقائق الحقية ، والحقائق الخلقية ، لأنه حقيقة الحقائق جميعها ، ولهذا كان مقامه ليلة المعراج فوق العرش . حيث ورد في تفسير قوله تعالى : ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ {الإسراء : ٧٩} . قال رسول الله ﷺ : ﴿يُجْلِسُنِي مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ﴾ (١) . وورد عن مجاهد ﷺ قال : [يجلسه معه على عرشه] (٢) . فالسرير المقصود هنا هو العرش .

وقد علمت أن العرش غاية المخلوقات ، إذ ليس فوق العرش مخلوق ، فعند أن استوى ، ثَمَّ ، ﷺ ، كانت المخلوقات بأسرها تحته ، وربه فوقه . فكان برزخا بين الحق ، والخلق ، بالصورة المحسوسة ، كما كان برزخا بالمعنى ، لأنه الموجود من الحق ، والخلق موجودون منه ، ﷺ ، فهو المتصف بكلتا الصفتين ، من كلتا الجهتين ، صورة ومعنى ، حكما وعينا . فإذا علمت ما ذكرته لك ، سهل عليك استحضار هذا الكمال المحمدي ، كما هو له ، إن شاء الله تعالى .

١- رواه الديلمي في مسند الفردوس عن ابن عمر ﷺ . ونقله عنه كل من الألوسي في روح المعاني والسيوطي في الدر المنثور والشوكاني في فتح القدير .

٢- رواه ابن جرير في تفسيره ونقله عنه السيوطي في الدر المنثور والألوسي في روح المعاني .

تنبيه :

اعلم أن للحقيقة المحمدية ، ظهورا فى كل عالم ، يليق بحال ذلك العالم :

- فليس ظهوره ، ﷺ ، في عالم الأجسام كظهوره فى عالم الأرواح ، لأن عالم الأجسام ضيق ، ولا يسع ما يسعه عالم الأرواح (١) .
- وليس ظهوره فى عالم الأرواح ، كظهوره فى عالم المعنى ، فإن عالم المعنى ألطف من عالم الأرواح ، وأوسع .
- ثم ليس ظهوره فى الأرض ، كظهوره فى السماء .
- وليس ظهوره فى السموات ، كظهوره عن يمين العرش . وهو قوله ﷺ : **﴿ثُمَّ أَقُومُ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ ، لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ الخَلَائِقِ يَقُومُ ذَلِكَ المقَامَ غَيْرِي﴾** (٢) .
- وليس ظهوره ﷺ عن يمين العرش ، كظهوره ﷺ عند الله سبحانه وتعالى ، فوق العرش ، حيث لا أين ولا كيف .

١- قال ابن عطاء الله ﷺ في الحكم : **[هذا الكون يسعك من حيث جثمانيتك ، ولا يسعك من حيث ثبوت روحانيتك]** اهـ .

٢- بهذا اللفظ رواه الترمذي وصححه والتبريزي في المشكاة عن أبي هريرة ﷺ . وقيامه ﷺ عن يمين العرش ورد في رواية الطبراني في الكبير والأوسط وابن شاهين وابن حنبل في فضائل الصحابة عن الإمام علي كرم الله وجهه .

فكل مقام أعلى ، يكون ظهوره فيه أكمل ، وأتم ، من المقام الأنزل .

ولكل ظهور جلالة وهيبة ، بقدر المحل ، حتى يتناهى إلى محل لا يستطيع أن يرى فيه أحدا من الأنبياء والأولياء . وذلك معنى قوله ، ﷺ : ﴿**لي وَقْتٌ مَعَ الله ، لا يَسَعُني فِيهِ غَيْرُ رَبي**﴾ وفي رواية : ﴿**لي وَقْتٌ مَعَ الله ، لا يَسَعُني فِيهِ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ، وَلا نَبيٌ مُرْسَلٌ**﴾ (١) .

فارفع بهمتك يا أخي ، لتراه في مظاهره العليا ، بمعانيه الكبرى ، فإنما هو ، هو .

(قاب قوسين) : القوسان هما نصفا الدائرة ، إذا قُسمت بخط مستقيم يُسمى القُطر .

(أو أدنى) : حين يضمحل الخط (الذي هو القطر) ويصبح نقطة (التي هي المركز) . قال تعالى : ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ {طه : ١١٤} .

١- حديث : " لي وقت مع الله لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل " . قال فيه العجلوني في الحديث رقم ٢١٥٩ : هو في رسالة القشيري بلفظ : " لي وقت لا يسعني فيه غير ربي " ويقرب منه ما رواه الترمذي في شمائله والطبراني في الكبير والبيهقي في الدلائل والشعب وابن راهويه في مسنده عن علي كرم الله وجهه في حديث : "كان ﷺ إذا أتى منزله ، جزأ دخوله ثلاثة أجزاء : جزءا لله ، وجزءا لأهله ، وجزءا لنفسه : ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس" . كذا في اللآلئ ، وزاد فيها : ورواه الخطيب بسند قال فيه الحافظ الدمياطي أنه على رسم الصحيح . وهذا الحديث أورده الحافظ عبد الرؤوف المناوي في كتابه فيض القدير بشرح الجامع الصغير بدون إسناد في شرح الحديث رقم ٤٣٧٧ .

لَوْ عَلِمْتَهُ لَمْ يَكُنْ هُوَ

وَلَوْ جَهِلَكَ لَمْ تَكُنْ أَنْتَ

فَبِعِلْمِهِ أَوْجَدَكَ

وَبِعَجْزِكَ عَبَدْتَهُ

فَهُوَ ، هُوَ ، لِهُوَ ، لَا لَكَ

وَأَنْتَ ، أَنْتَ ، لِأَنْتَ ، وَلَهُ

فَأَنْتَ مُرْتَبِطٌ بِهِ ، مَا هُوَ مُرْتَبِطٌ بِكَ

الدَّائِرَةُ مُطْلَقَةٌ ؛ مُرْتَبِطَةٌ بِالنُّقْطَةِ

النُّقْطَةُ مُطْلَقَةٌ ؛ لَيْسَتْ مُرْتَبِطَة بِالدَّائِرَةِ

نُقْطَةُ الدَّائِرَةِ ؛ مُرْتَبِطَةٌ بِالدَّائِرَةِ

كَذَلِكَ الذَّاتُ مُطْلَقَةٌ ؛ لَيْسَتْ مُرْتَبِطَة بِكَ

أُلُوهِيَّةُ الذَّاتِ ؛ مُرْتَبِطَةٌ بِالْمَأْلُوهِ ، كَنُقْطَةِ الدَّائِرَةِ

الإنسان الكامل – الذي هو سيدنا محمد ﷺ – جُعِلَت رتبته :

- وسطاً بين كينونته – تعالى – مستوياً على عرشه .
- وبين كينونته – تعالى – في قلبه الذي وسعه .
- فله نظر إليه – تعالى – في قلبه ، فيرى أنه نقطة الدائرة .
- وله نظر إليه – تعالى – في استوائه على عرشه ، فيرى أنه محيط الدائرة ، فهو بكل شيء محيط .
- فلا يظهر خط النقطة ، إلا ونهايته إلى المحيط .
- ولا يظهر خط المحيط من داخله ، إلا ونهايته إلى النقطة .
- وليست الخطوط سوى العالم .
- فإنه تعالى بكل شيء محيط ، والكل في قبضته ، وإليه يرجع الأمر كله .
- فالخلاء هو ما فُرِض بين النقطة والمحيط ، وهو عمر العالم .
- وفيه ظهرت الاستحالات من نقطة إلى محيط ، ومن محيط إلى نقطة .
- فما خرج عنه – عز وجل – شيء ، ولا ثم شيء خارج عن المحيط ، فيدخل في إحاطته .
- بل الكل منه انبعث ، وإليه ينتهي ، ومنه بدأ ، وإليه يعود .

- فمحيطه : أسماؤه . ونقطته : ذاته .
- فما كل عين له ناظر ، إلا عين الإنسان ، ولولا إنسان العين ما نظرت عين الإنسان . فبالإنسان نظر الإنسان .
- فبالحق ظهر الحق .

تولى الله العالم إظهاراً لملكه ، وانخراطاً في سلكه ، وتولاه بأسمائه الحسنى ، وأحله منه المحل الأسنى :

- وجعل قربه منه : قاب قوسين أو أدنى . هذا غاية قرب الخلق من الحق .
- وجعل قربه من العبيد : أقرب من حبل الوريد . وهذا غاية قرب الحق من الخلق .
- فالأمر بين قربين .
- وما جعل الله لرجل في جوفه من قلبين ، ولكنه جعل لكل قلب وجهين .
- لأنه خلق من كل زوجين اثنين .
- فبنى الجمع على الشفع .
- فلم يكن وتريته سوى وترية الكثير .
- فما شهد عليه سواه : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ {آل عمران : ١٨}

ثم استشهدهم فشهدوا ، فعطفهم عليه في قوله : ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ {آل عمران : ١٨} .

- ولا عَبْدٌ عُبِدَ إِلَّا إياهُ : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ {الإسراء : ٢٣} .
- وما انتهك أحد من المخلوقين حماه ، ولا ينبغي ذلك ، فكل شيء سوى وجهه هالك (١) .
- وما ثم سوى ، حتى نقول بالسوأة .
- العين واحدة ، والأحكام ناقصة وزائدة .

فاطلب على ما أشرت إليه ، تحصل على الفائدة . فهذه أسرار ، لا ، بل هي أنوار ، ما عليها غبار ، تعالت عن مدارك الاعتبار ، وحكم الأغيار ، وعميت عنها الأبصار ، وإلى ذلك الإشارة بـ ﴿فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ {الرعد : ٢٤} وأنت الدار وعليك المدار .

- قال تعالى : ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ۝٩﴾ {النجم : (٨ – ٩)} .

قيل في معنى : ﴿أَوۡ أَدۡنَىٰ﴾ أنه لا يكون هناك قرب أقرب من القوسين ؛ إلا من كان قربه قرب حبل الوريد منه ، وهو القرب العـام . ومن عرف

١- إشارة إلى قوله تعالى : ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾ {القصص : ٨٨} .

هذا القرب كان من المقربين ، وعرف سر الحق في وجوده وموجوداته ، على التنزيه .

قال تعالى : ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ {الواقعة : (٨٨ – ٨٩)} . فأما إن كان من المقربين :

﴿ فَرَوْحٌ ﴾ لما هو عليه من الراحة ؛ حين رآه عين كل شيء .

﴿ وَرَيْحَانٌ ﴾ لما رآه عين الرزق ، الذي يحيى بتناوله . كما قال العارف بالله سهل التستري رضي الله عنه – وقد سئل عن القوت – فقال : [الله ، وجنة نعيم] اهـ . أي ستر ينعم به وحده ، لما علم أن كل أحد ماله من الله تعالى مثل هذا المشهد ، وهؤلاء الذين هم : ﴿ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ {القمر : (٥٤ – ٥٥)} . لأنهم كل ما هموا به ؛ انفعل لهم .

وقيل في قوله : ﴿ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ يعني أدنى مما تمناه العبد أو يتمناه . وهذا أبلغ في المعنى في قوله أو أدنى .

ولله در من قال :

إِلَيَّ مِنْكَ الدُّنُو وَقْتاً وَثُمَّ وَقْتًا إِلَيْكَ مِنِّي
أَخَذْتُ عَنْكَ العُلُومَ فَضْلاً وَأَنْتَ أَيْضًا أَخَذْتَ عَنِّي
إِنِّيَّتِي فِيكَ يَا حَبِيبِي إِذْ يَقُولُ اللِّسَانُ أَنِّي
مَا أَصْعَبَ القَوْلَ مِنْكَ عِنْدِي إِذْ يَقُولُ الفُؤَادُ صِلْنِي
وَلَمْ أَغِبْ عَنْهُ إِذْ تَجَلَّى وَلَوْ دَرَى لَاشْتَهَى التَّمَنِّي

- قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾ {النجم : ٨} . هو عين المنازلة ، لأن كل صورة منهما فارقت مكانها ، فكانت كل صورة من الأخرى أدنى من قاب قوسين .

لكل واحدة من الصورتين قوس أظهر التقويس .

الفرقان بين الصورتين : هو الخط الذي قسم الدائرة بنصفين ، فكان الأمر عيناً واحدة ، ثم ظهر بالصورة أمران ، فلما صار الحكم أمرين ؛ كان من الأمر الواحد تدلياً ، لأن العلو كان له . وفي عين هذا التدلي دنو من الأمر الآخر . وكان من الآخر تدان ، إلى من تدلى إليه ، فكان دنوه عروجاً . لأن تدلي الأمر الآخر إليه ؛ أعلمنا أن السفل كان قسم هذا الآخر .

وما تدانى كل واحد من الآخر ؛ إلا ليرجع الأمر كما كان ، دائرة واحدة ، لا فصل بين نصفيها بقطرها ، فكلتاهما يسعيان في إزالة الخط الذي أوجب

التقسيم في الدائرة .

فموضع التقسيم قوله تعالى في الحديث القدسي : ﴿ **قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ : فَنِصْفُهَا لِي ، وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي . وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ** ﴾ (١) . ولم يذكر في المقسوم إلا تلاوة الفاتحة ، ولم يتعرض للهيئات من قيام أو ركوع أو سجود أو جلوس . وما للعبد سؤال إلا إزالة هذه القسمة ، حتى يعود الأمر كما كان . فأجابه الحق إلى سؤاله بقوله : ﴿ **وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ** ﴾ . وسبق الحكم : ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ ﴾ {هود : ١٢٣} . ولهذا قال الحق ، على لسان عبده ، عند الرفع من الركوع : سمع الله لمن حمده . فهذا غاية القرب .

ومن ذلك :

فكان منه التدلي ... وكان مني التداني

حتى أراه بعيني ... كما يقول يراني

ولما التقينا عن حب واشتياق ، خاطبني من أعلم في سري :

١- رواه مسلم في صحيحه ومالك في الموطأ وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وأحمد وعبد الرزاق والبيهقي في الشعب وأبو عوانة والحميدي والدارقطني وابن حبان وابن خزيمة وابن راهويه عن أبي هريرة ﷺ . وابن أبي حاتم عن جابر بن عبد الله ﷺ . والبيهقي في الشعب وابن خزيمة عن ابن عباس ﷺ .

اجعل يديك على الكبد تجد الذي منكم أجد
وأبرح إلى طلب الوصال وقل له هبني وزد
لولا وجود العلم فيـ ـه ما تذكر من عبد
فإن أنكروا هذا فقل إن القران بذا ورد

- قال تعالى : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ {إبراهيم : ٥٢} .

قوله عز وجل : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ ﴾ خص فيه طائفة بعينها .

وقوله عز وجل : ﴿وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ﴾ عين طائفة أخرى .

وقوله : ﴿وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ فعين طائفة ثالثة .

و﴿ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ فعين العلماء بالله ، وبالأمر على ما هو عليه .

فلم يكن الخط الذي قسم الدائرة ؛ إلا عين تميزنا عنه ، وتميزه عنا ، من الوجه الذي كان به هو إلهاً ، وكُنَّا به عبيداً .

فلما تحقق التمييز ، ووقع الانفصال بالتكوين ، وأظهر الخط حكمه ،

ووصفنا بالحجاب عنه ، ووصف نفسه بحجب الأنوار والظلم عنا (١) ، وشرع لنا ما شرع ، وأمرنا بالإنابة إليه ، ووصف نفسه بالنزول إلينا ، علمنا أنه يريد رجوع الأمر إلى ما كان عليه .

بعد علمنا بما قد علمنا ، وتحققنا بما به تحققنا ، قال عن نفسه : إنه سمعنا الذي نسمع به ، وبصرنا الذي نبصر به ، وذكر لنا جميع القوى التي نجدها من نفوسنا ، وأثبت في هذا الوصل أعياننا ، فلا يشبه ما رجع الأمر إليه ، ما كان عليه قبل الفصل .

لأن الذي أثبته الخط من الحكم ، ما يزول .

وإن زال الخط ، فأثره باق ، لأنا قد علمنا أن الدائرة قابلة للقسمة بلا شك ، ولم نكن نعلم ذلك قبل . فإذا اتصلت الدائرة ؛ فلا يزول العلم منا ؛ أنها ذات قسمين ، من أي جزء فرضته فيها . وإنما تقبلها من أي حد فرضته فيها ، لما ورد في الأخبار الإلهية من اتصاف الحق تعالى بصفات

١- عَنْ سَهْلِ بن سَعْدٍ ، قَال : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿ **إِنَّ اللهَ – عَزَّ وَجَلَّ – دُونَ سَبْعِينَ أَلْفَ حِجَابٍ مِنْ نُورٍ وَظُلْمَةٍ ، وَمَا يَسْمَعُ مِنْ نَفْسٍ شَيْئًا – مِنْ حِسِّ تِلْكَ الحجُبِ – إِلا زَهَقَتْ** ﴾ . أخرجه أبو يعلى والعقيلي والطبراني والبيهقي في الأسماء والصفات ، عن سهل بن سعد وعبد الله بن عمرو بن العاص ﭫ . وأبو الشيخ في العظمة من حديث أبو هريرة رضي الله عنه . وفي صحيح مسلم من حديث أبي موسى رضي الله عنه بلفظ : ﴿ **حِجَابُهُ النُّورُ** – وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ : **النَّارُ – لَوْ كَشَفَهُ ؛ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ ، مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ** ﴾ .

الخلق ، واتصاف الخلق بصفات الحق ، كما قال تعالى : ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ {الإسراء : ١١٠} .

- فإن قلت : الرحمن ؛ سميته بجميع الأسماء الحسنى .
- وإن قلت : الله ؛ سميته بجميع الأسماء الحسنى .
- وكذلك تقول : الخلق – الذي هو العالم – يقبل أسماء الحق وصفاته .
- وكذلك الحق ؛ يقبل صفات الخلق ، لا أسماءه بالتفصيل ، ولكن يقبلها بالإجمال .
- فقبوله بالإجمال ؛ مثل قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ {فاطر : ١٥} .
- وكونه لا يقبل أسماء العالم بالتفصيل ، فأعني بذلك الأسماء الأعلام ، وهو قوله : ﴿سَمُّوهُمْ ﴾ {الرعد : ٣٣} . يريد الأسماء الأعلام . وما عدا الأسماء الأعلام ؛ فيقبلها الحق على التفصيل .
- فإن الحق ماله من اسم علم ، لا يدل على معنى سوى ذاته ، فكل أسمائه مشتقة ، تنزلت منزلة الأعلام .

- ولهذا وقع الاشتراك بالتفصيل في أسماء الحق ، ولم يقع الاشتراك بالتفصيل في أسماء العالم ، فتحقق ما نبهنا عليه .

- فأعظم ما أخذه من صفاتنا ؛ الذي يدل الدليل على إحالته ، هو قوله : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ﴾ {محمد : ٣١} .

- فما كان بعد هذا ؛ فهو أهون ، نعني : تحوله في الصور (١) وغير ذلك . وعلى الحقيقة ؛ فكلها نعوته .

- وأعظم ما أخذنا نحن منه : علمنا به ، الذي يحيله الدليل ، وهو قوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ {الشورى : ١١} . وقول رسول الله ﷺ :

١- التحول في الصور ورد في الحديث المروي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ أُنَاسٌ : يَا رَسُولَ الله هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَقَالَ ﷺ : ﴿ **هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ ، لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ** ﴾ ؟ . قَالُوا : لَا يَا رَسُولَ الله . قَالَ : ﴿ **هَلْ تُضَارُّونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ** ﴾ ؟ . قَالُوا : لَا يَا رَسُولَ الله . قَالَ : ﴿ **فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . كَذَلِكَ يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ ، فَيَقُولُ : مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ ، فَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ . وَتَبْقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا ، فَيَأْتِيهِمْ اللهُ فِي غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ . فَيَقُولُونَ : نَعُوذُ بِالله مِنْكَ ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا ، فَإِذَا أَتَانَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ ، فَيَأْتِيهِمْ اللهُ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ . فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا ، فَيَتْبَعُونَهُ** ﴾ . هذا الحديث خرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما وأحمد وعبد الرزاق وأبو عوانة وابن حبان والطبراني في مسند الشاميين والبيهقي في الأسماء والصفات وابن منده في الإيمان وابن خزيمة في التوحيد والدارقطني في الرؤية وابن أبي عاصم في السنة .

﴿مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ ، عَرَفَ رَبَّهُ﴾ (١) . فأخذنا عنه ، وأخذ عنا :

فيا حِيرةً أَبْدَتْ حقائقَ كَونِه ويا خَيْبَةً للعبد حين تَفُوتُهُ
فمَنْ كان أَحْيَاهُ يُحَيِّرُ ذَاتَهُ ومَنْ لم يحَرِ فِيهِ فَعَنْهُ يُمِيتُهُ
إذا كَانَ قُوتُ الخَلْقِ كَوْناً مُحَقَقاً فَالإِلَهُ الحقُّ للعبدِ قُوتُهُ

قيل لسهل بن عبد الله التستري ﷺ **: ما القُوت ؟ .**

قال : الله ! .

يقول الله تعالى في المنازلات :

إِلَيَّ كَوْنُكَ ، وَإِلَيْكَ كَوْنِي

قوله : إلي كونك : أي ألوهتي ؛ ما ظهرت إلا بك .

فإن المألوه — من كمال مَألوهيته — أن يجعل في نفسه وجود الإله .

١- هذا الحديث ذُكِرَ في معظم كتب التفسير مثل تفسير البغوي والألوسي والرازي والبيضاوي والخازن والنيسابوري والثعالبي . ولكن ليس له إسناد معروف فيما لدينا من المراجع ، وقال الشيخ محي الدين ابن عربي ﷺ : [هذا الحديث ؛ وإن لم يصح من طريق الرواية ، فقد صح عندنا من طريق الكشف] اهـ . ومعناه صحيح شرعا . وقال العجلوني في كشف الخفاء أنه ورد في كتاب (أدب الدنيا والدين) للماوردي عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها ، قالت : سُئِل النبي ﷺ : من أعرف الناس بربه ؟ . فقال : ﴿**أَعْرَفَهُم بِنَفْسِهِ**﴾ .

ولهذا قيل : من عرف نفسه ، عرف ربه .

فمعرفتك بالله أنه إلهك ، أنتجت معرفتك بذاتك ، ولذلك ؛ ما أحالك الله في العلم به إلا عليك ، وعلى العالم ، فقال : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ {فصلت : ٥٣} .

قوله تعالى : ﴿ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ أي أن الحق في كل شيء موجود ، أي أنه وجود كل شيء ، وحياته .

فكل ما ثبت لله تعالى من الأحكام ؛ ما ثبت إلا بالعالم .

فلو ارتفع العالم من الذهن ، ارتفعت الأحكام الإلهية كلها ، وبقي العين بلا حكم .

وإذا بقي بلا حكم – وإن كان واجب الوجود لذاته – لم يلزم أن يكون له حكم الألوهة .

فوجود أعياننا ، من وجوده .

ووجودنا ؛ أثبت العلم به في ذواتنا .

ولولا أن ذاته أعطت وجودنا ، ما صح لنا وجود عين .

وهذا معنى قول العلماء : إن العالم استفاد الوجود من الله .

وأما قوله : (**إِلَيْكَ كَوْنِي**) ؛ فهو عين قوله : كنت سمعه ، كنت بصره (١) .

فجعل هويته عين مسمى سمعنا وقوانا ، وليس العالم إلا بهذا الحكم :

فَإِنْ فَنِيتُ لم أَكُنْ ... وَإِنْ بَقِيتُ لم أَكُـــنْ
فَكُلُّنَـــا لِكُلِّنَـــــا ... وَكُلُّنَا مِنْ قَوْلِ كُـنْ
مِنَّـــا وَمِنْـــهُ فَاعْتَبِرْ ... تَجِدْهُ فِيكَ يَسْتَكِـنْ
فَاسْـــتُرْهُ لا تُظْهِـرْهُ ... كَمَا أَتَي فِي لم يَكُـنْ
فِيهَا بَدَتْ مُشْرِقَـــةٌ ... شَمْسٌ لَهُ مَا قَدْ سَكَـنْ
فَمَا لَنَا سِوَاهُ مِـــنْ ... مُسْتَنَـــد وَمِنْ سَكَـنْ

فالحق مُصَرِّفُ العالَم ، والعالم مصرف الحق .

ألا تراه تعالى قال : ﴿أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ {البقرة : ١٨٦} .

١- هذا إشارة إلى الحديث المروي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿**إِنَّ اللهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ**﴾ . رواه البخاري في صحيحه والبيهقي في السنن وفي الأسماء والصفات وابن حبان في صحيحه .

أليست الإجابة تصريفاً ؟ .

هل يتصوّر إجابة من غير نداء وسؤال ؟ .

لا يصح أن يتصرّف في نفسه ، فما له تصرّف إلا فينا ، فتصرّفه ؛ إيجاده إيانا دائماً . فأعيان تظهر ، وأحكام له تحدث ، وتعلقات لا تنكر ! .

فَإِنْ قُلْتَ أَنَّا وَاحِدٌ كُنْتَ صَادِقاً وَإِنْ قُلْتَ لَسْنَا وَاحِداً لم تُكَذَّبِ

فإذا أردت السبيل إلى فهم هذه المعاني ؛ فتعمَّل في تكثير النوافل ، التي لها أصل في الفرائض .

فإذا فعلت هذا ؛ أحبك الحق .

وإذا أحبك ؛ غار عليك أن تشهدك عين ، أو يقيدك كون .

فأدخلك في حمى حَرَمِهِ ، وجعلك من جملة حُرَمِهِ .

وأَهَّلَكَ له ، فصرت له أهلاً ، كما قال ﷺ في الحديث ، في أهل القرآن أنهم : ﴿ **أَهْلُ الله ، وَخَاصَّتُهُ** ﴾ (١) . والأهلية منزل خصوص ، واختصاص

١- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿ **إِنَّ للهِ أَهْلِينَ مِنْ النَّاسِ** ﴾ . قَالُوا : يَا رَسُولَ الله مَنْ هُمْ ؟ . قَالَ : ﴿ **هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ ، أَهْلُ الله ، وَخَاصَّتُهُ** ﴾ . رواه ابن ماجة وأحمد والنسائي والحاكم والبيهقي في الشعب والدارمي والطيالسي والآجري في أخلاق حملة القرآن وابن الضريس .

من العموم . فإذا اتخذك له أهلاً ؛ جعلك محلاً لإلقائه ، وعرشاً لاستوائه ، وسماءً لنزوله ، وكرسيًّا لقدميه ، فظهر لك ، فيك ، منه ، ما لم تره – مع كونه فيك – وهو قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٌ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ﴾ {السجدة : ١٧} . لأن جنوبهم تجافت عن المضاجع الطبيعية ، وصاروا أهلا للموارد الإلهية ، والشوارد الربانية . فمياههم عذبة صافية ، وعروشهم عن كل ما سوى ما يلقي الله إليهم خاوية . آبارهم معطلة ، وأبوابهم مقفلة ، وقصورهم مشيدة (١) ، ضاعت مفاتح أقفالها ، وتقطعت حبال آبارها ، فتنظر إلى مياهها ، ولا تذاق ، فتستحسن على جهالة ، فإذا سردت أخبارها قرآنا ؛ ظهر إعجازها ، فلم يستطع أحد معارضتها ، فيستحليها ، فإذا سُئل عن معانيها ؛ لا يدري ما يقول ، إذ لا ذوق له فيها ، إلا ما أعطاه الشهود . فغايته أن يقول : ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ﴾ {المدثر: ٢٤} . لاختلاط ضوئه بظلمته ، تشبيهاً بسحَر الليل ، الذي يخرج الهواء الحار ، ويسوق الهواء البارد ، لتبقى بذلك الحياة على هيكل الحيوان . فلا يدري الناظر فيه ؛ أي وجه يستقبل به ، فإنه مهما أقبل على وجه أعرض عن الآخر ، إلا أن يكون نبيًّا ، فيرى من خلفه كما يرى من

١- إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ وَقَصۡرٖ مَّشِيدٍ﴾ {الحج : ٤٥} .

أمامه (١) ، فيكون وجهاً كله ، وذلك هو المعبر عنه بالذوق ، الذي يكون عنه حقيقة الاشتياق والشوق .

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ {النجم : ٣ – ٥} . ﴿ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ {الذاريات: ٥٨} . في صورة ﴿ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾ {النجم : ٥} . ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ (٢٤) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ (٢٥) ﴾ {التكوير: ٢٤ – ٢٥} . فإنه من عين القرب أخبر ، لأنه أخبر من : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ (٩) ﴾ {النجم: ٨ – ٩} . وما هو من مرجمات الظنون ، كما يقولون في أصحاب الكهف ، الفتية المعلومة : ﴿ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ فما هم على تحقيق فيما يخبرون به من عددهم ﴿ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا (٢٢) ﴾ {الكهف : ٢٢} . فلا تمار من لم يرَ ، فقد اختص تعالى نفسه بهذا العلم ، ثم أخبر أنه ما يعلمهم إلا قليل ، فادع الله أن تكون من هذا القليل ،

١- إشارة إلى الحديث المروي عن رسول الله ﷺ : ﴿ إِنِّي لَأَرَاكُمْ مِنْ وَرَائِي ، كَمَا أَرَاكُمْ مِنْ أَمَامِي ﴾ والحديث سبق تخريجه في هذا الباب .

الذين يعلمون بإعلام الله لهم : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ {طه : ١١٤} . ولا تمار من يرى ، فإنه تعالى قال في نبيه ﷺ : ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ ﴾ {النجم : (١١ – ١٢)} ؟ .

فانظر ما ترى ، واعلم ما تنظر ، وكن بحيث تعلم ، لا بحيث ترى .

فإن الله يُنكَر بالرؤية ، ولا يُنكَر بالعلم .

فإذا لم يُنكَر بالرؤية ؛ فبشاهد العلم لم يُنكَر .

منزلة قاب قوسين الثاني

هذا المنزل هو الحاصل بالوراثة النبوية للخواص منا .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ {الأنبياء : ١٠٥} . وأخبر النبي ﷺ أن العلماء هم ورثة الأنبياء ، وذكر أن الأنبياء ورَّثوا العلم ، وما وَرَّثوا ديناراً ولا درهماً (١) .

فالوارث مستخدم ما ورثه من مورثه . غير أن الموروث – في مثل هذا الإرث – ما نقصه شيء من علمه ، بوراثة الوارث منه . ففارق ميراث الدينار

١– عَنْ كَثِيرِ بْنِ قَيْسٍ ﷺ ، قَالَ : قَدِمَ رَجُلٌ مِنْ المدِينَةِ إِلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ وَهُوَ بِدِمَشْقَ ، فَقَالَ : مَا أَقْدَمَكَ أَيْ أَخِي ؟ . قَالَ : حَدِيثٌ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُ بِهِ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ . قَالَ : أَمَا قَدِمْتَ لِتِجَارَةٍ ؟ . قَالَ : لَا . قَالَ : أَمَا قَدِمْتَ لِحَاجَةٍ ؟ . قَالَ : لَا . قَالَ : مَا قَدِمْتَ إِلَّا فِي طَلَبِ هَذَا الْحَدِيثِ ؟ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : **﴿مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا ؛ سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجنَّةِ . وَإِنَّ الملَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ ، وَإِنَّهُ لَيَسْتَغْفِرُ لِلْعَالِمِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، حَتَّى الْحِيتَانُ فِي الماءِ . وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ . إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ ، لَمْ يَرِثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا ، وَإِنَّمَا وَرِثُوا الْعِلْمَ . فَمَنْ أَخَذَهُ ؛ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ﴾** . رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة وأحمد والبيهقي في الشعب والدارمي وابن حبان والطبراني والشهاب وابن أبي شيبة وابن الأعرابي والتبريزي في المشكاة .

والدرهم بهذه الحقيقة .

والله يرث الأرض ومن عليها ، مما تعلق به علمه من العلم الإبتلائي . فهذا هو قدر ميراث الحق من عباده ، وهو قوله تعالى : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ {محمد : ٣١} . فاستخدمهم بما ابتلاهم ، حتى يعلم المجاهدين من عباده والصابرين ، ويبلوا أخبارهم .

وما عدا هذا النوع – في حق الحق – فهو علم عادي ، لا علم وراثة .

فكأن الورثة المقصودون ؛ هم من استخدموا من ورثوا منه العلم ، الذي حصله من الله ، بحكم الكسب ابتداءً ، وبحكم التكليف . كل ذلك ورثه منه الورثة من علماء هذه الأمة .

ومما ورثوا منه ؛ قُرب قاب قوسين ، وهو قولنا : الثاني . أعني : الذي ينبغي للأولياء من هذا التقريب المحمدي ، ممن قرب منه هذا القرب .

فالأول من ذلك ؛ للحبيب ﷺ .

والثاني ؛ للوارث ، وهو عينه .

وإنما جعلناه ثانياً ؛ لكونه ما حصل له ، حتى تقدم به هذا الرسول الأمي ﷺ ، فناله منه .

فليفرق الوارث في علمه بربه ، بين :

– ما يأخذه ورثاً .

– وبين ما يأخذه ابتداءً من غير ورث .

فأي عامل عمل بأمر مشروع له ، من نَصٍّ ، لا من تأويلٍ ، وحصل له عند ذلك العمل علم بالله ، فهو من العلم الموروث .

ثم إن ذلك النص المعمول به ؛ هل كان شرعاً لمن قبل سيدنا محمد ﷺ مما كان الله قد تعبد به نبيًّا قبله ؟ . فوارث مثل هذا ؛ وارث من كان ذلك العمل شرعه من الأنبياء ، بلغوا ما بلغوا ، ووارث أيضاً لسيدنا محمداً ﷺ فيه ، فهو وارث من وارث .

فإن كان مما اختص به رسول الله ﷺ ، فالوارث وارث سيدنا محمد ﷺ فيه خاصة ، لا ينتسب إلى غيره من الأنبياء عليهم السلام ، ويتميز بذلك عن سائر ورثة علماء الأنبياء – عليهم السلام – قبله ، ويحشر بذلك العلم في صفوف الأنبياء عليهم السلام ، وخلف سيدنا محمد ﷺ .

فإن في النشأة الآخرة يكون الواحد منا في صور كثيرة وأماكن مختلفة ، في الآن الواحد فيرى نفسه – إن كان وَرِثَ عن وَارِثٍ – خلف سيدنا محمد ﷺ ، وخلف كل نبيّ كان ذلك العمل شرعاً له ، ولو كانوا مائة ألف ؛ لرأى نفسه في أماكن على عددهم ، وفي صور متعددة ، ويعلم أنه هو ، وليس غيره ، في كل صورة . وهو – مع كونه واحداً – عين كل صورة .

وهكذا يكون يوم القيامة ؛ فإن النبي ﷺ يطلبه الناس في مواطن القيامة(١) ، فيجدونه – من حيث طلبهم – في كل موطن يقتضيه ذلك الطلب ، في الوقت الذي يجده الطالب الآخر في الموطن الآخر بعينه ، فمن لم يجده في طلبه في موطن ما ، فإنما ذلك لكونه طلبه في غير الموطن الذي يقتضيه طلبه .

ثم نرجع ونقول : وإن كان ذلك العمل الذي أقيم فيه العبد ؛ لا عن نص مشروع ، بل كان قلد فيه مجتهد من علماء الأمة ، صاحب نظر وتأويل فيما حكم به ، لا عن نص اتبعه ذلك المجتهد ، فإنه يكون يوم القيامة ؛ وارث ذلك المجتهد ، ومتبعاً إياه ، ومتبعاً أيضاً النبي ﷺ .

ورثة الأنبياء السابقين يعرفهم الخاص والعام ، أما وارث رسول الله ﷺ – فلأن سره في قلبه ، ولا يظهر على ظاهره منه شيء – فلا يعرفه إلا الخاص ، لأن خرق عادته : إنما هو حال وعلم في قلبه ، فهو في كل نفس يزداد علما بربه ، ناتج من الطمأنينة التي يجدها فيه .

١- طلب النبي ﷺ يوم القيامة وردت به الأحاديث الصحيحة ، فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَقَالَ : «**أَنَا فَاعِلٌ**» . قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ ؟ . قَالَ : «**اطْلُبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصِّرَاطِ**» . قُلْتُ : فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عَلَى الصِّرَاطِ ؟ . قَالَ : «**فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْمِيزَانِ**» . قُلْتُ : فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ الْمِيزَانِ ؟ . قَالَ : «**فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الحَوْضِ ، فَإِنِّي لَا أُخْطِئُ هَذِهِ الثَّلَاثَ مَوَاطِنَ يَومَ القِيَامَةِ**» . رواه الترمذي وحسنه وأحمد واللالكائي والتبريزي في المشكاة والبخاري في التاريخ الكبير وابن عساكر في تاريخه .

ألا ترى إلى رسول الله ﷺ ، كيف عُرج به إلى المقام الذي عرفت ، فلما خرج الناس بكرة تلك الليلة ، أنكر بعض الصحابة ، لكونهم ما رأوا لذلك أثرا في الظاهر . فما أعظم تواضعه ﷺ صبيحة ليلة إسرائه ، حيث نزل من أدنى من قاب قوسين ، إلى من كَذَّبه ، فاحتمله ، وعفا عنه .

وموسى عليه السلام ، لما جاء من عند ربه ، كساه الله تعالى نورا على وجهه ، يُعرَف به صدق ما ادعاه . فحَقِقْ ما أومأنا إليه في هذه المسئلة ؛ تر الحق حقاً .

*** فمن جعل الله آيته في قلبه ***

*** وكان على بَيِّنَةٍ من ربه ***

*** كساه الله الصفة الحجابية ***

*** غِيرَةً منه ، عليه ***

*** فقد ملأ يديه من الخير ***

فالسكينة ، نزلت في تابوت طالوت : ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ {البقرة :

٢٤٨} . وهي في قلوب المؤمنين من هذه الأمة : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ {الفتح : ٤} . لا يدركها إلا أهل الأذواق من هذه الأمة .

*** فكل صفات الأمم ، كانت أجنبية عنهم ***

*** أما علامة هذه الأمة ، ففي قلوبهم ***

ولذلك قيل لهذه الأمة : ﴿ **اسْتَفْتِ قَلْبَكَ** ﴾ (١) .

قال العارف بالله تعالى سهل التستري ﷺ : [خرج العلماء والزهاد والعباد من الدنيا وقلوبهم مقفلة ، ولم تُفتح إلا قلوب الصديقين والشهداء . ولولا أن

١- عَنْ وَابِصَةَ الْأَسَدِيِّ ﷺ ، قَالَ : أَتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ ، وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ لَا أَدَعَ شَيْئًا مِنْ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ إِلَّا سَأَلْتُهُ عَنْهُ ، وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِنْ الْمسْلِمِينَ ، يَسْتَفْتُونَهُ ، فَجَعَلْتُ أَتَخَطَّاهُمْ . قَالُوا : إِلَيْكَ يَا وَابِصَةُ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ . قُلْتُ : دَعُونِي ، فَأَدْنُوَ مِنْهُ ، فَإِنَّهُ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ أَنْ أَدْنُوَ مِنْهُ . قَالَ ﷺ : ﴿ **دَعُوا وَابِصَةَ ، ادْنُ يَا وَابِصَةُ** ﴾ . مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا . فَدَنَوْتُ مِنْهُ ، حَتَّى قَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَقَالَ : ﴿ **يَا وَابِصَةُ أُخْبِرُكَ ، أَوْ تَسْأَلُنِي** ﴾ ؟ . قُلْتُ : لَا ، بَلْ أَخْبِرْنِي . فَقَالَ : ﴿ **جِئْتَ تَسْأَلُنِي عَنْ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ** ﴾ . فَقُلْتُ : نَعَمْ . فَجَمَعَ أَنَامِلَهُ ، فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِهِنَّ فِي صَدْرِي ، وَيَقُولُ : ﴿ **يَا وَابِصَةُ اسْتَفْتِ قَلْبَكَ ، وَاسْتَفْتِ نَفْسَكَ** [ثَلَاثَ مَرَّاتٍ] **الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ ، وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ ، وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ** ﴾ . أخرجه أحمد وعبد بن حميد والبخاري في تاريخه والدارمي والطبراني وأبو يعلى وأبو نعيم والبيهقي في الدلائل عن وابصه بن معبد . وقال النووي : حسن .

إدراك قلب – من له قلب – بالنور الباطني ، حاكم على علم الظاهر ، لما قال المصطفى ﷺ : ﴿اسْتَفْتِ قَلْبَكَ﴾ . فكم من معان دقيقة ، من أسرار القرآن ، تخطر على قلب المتجرد للذكر والفكر ، وتخلو عنها زبر التفاسير ، ولا يطلع عليها أفاضل المفسرين ، ولا محققو الفقهاء] اهـ .

قال تعالى : ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾ {الأنعام : ٩١ ، الزمر : ٦٧} . أي فيما كَيَّف به نفسه ، مما ذكره في كتابه ، وعلى لسان رسوله ، من صفاته . فما ثم حجاب ولا ستر . فما أخفاه إلا ظهوره .

ولو وقفت النفوس مع ما ظهر ؛ لعرفت الأمر على ما هو عليه ، لكن طلبت أمراً غاب عنها ، فكان طلبها عين حجابها ، فما قدرت ما ظهر حق قدره ، لشغلها بما تخيلت أنه بطن عنها ، وما بطن شيء ، وإنما عدم العلم أبطنه ، فما في حق الحق شيء بطن . فخاطبنا تعالى بأنه : ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ {الحديد : ٣} . أي الذي تطلبه في الباطن هو الظاهر ، فلا تتعب .

تنبيه :

يظن بعض الناس خطأً ؛ أن رسول الله ﷺ ، كان في ليلة الإسراء والمعراج ، في مرتبة من القرب ، ثم نزل عنها بعد ذلك ، وهذا فيه جهل بمرتبة رسول الله ﷺ ، فهو دائم الترقي والزيادة ، في مراتب القرب التي لا تتناهى ، والتي عبر عنها الحق بقوله تعالى : ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾ {النجم : ٩} . وهو المراد بقوله تعالى : ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ {طه : ١١٤} .

فإن سأل سائل قائلا : فما فائدة الإخبار عن الإسراء والمعراج ؟ .

والجواب هو : أنه تعالى أراد أن يُعَرِّف الخلق كلهم ، بأنه ليس هناك لأحدٍ رتبة فوق رتبته ﷺ .

اللهم صل على إمام حضرة جبروتك ، المصلي في محراب قاب قوسين أو أدنى ، بأحدية جمعه ، فانجمع بك في صلاته ، فجمعته عليك ، وخصصته بالنظر إليك ، وأخلصته بالسجود بين يديك ، وجعلت قرة عينه في الصلاة الخالصة لديك . فهو المفتض أبكار أسرار مشاهدتك ، والمقتنص للامعات لمحات نفحات مشاهدتك . اللهم صل على المنفرد بالمشهد الأعلى ، والمورد الأحلى ، والطور الأجلى ، والنور الأسنى ، والمختص في حضرة الأسما بالمقدم الأسنى ، والنور والسر الأحمى . اللهم صل على سر وجودك ، ومظهر وُدِّ جودك ، وخزانة موجودك .

ولسوف يعطيك ربك فترضى

قال تعالى : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾ {الضحى : ٥} .

يعني : يهبك من أوصافه ، وكمالات ذاته ، ما تصير به عروس الحضرة ، وسلطان المملكة ، وأعظم خليفة عن الله ، وأكمل نائب عنه . أي يظهر عليك بالفعل ، ما في قوة استعدادك من أنواع الكمالات الذاتية ، وأصناف الكرامات الصفاتية والأسمائية . حتى ترضى ، وتقر عينك بما به تحظى .

وإن شئت قلت : معناه أن يظهر عليك في ظاهر حالك وأمرك ، ما هو لك في باطنك وسرك ، من نفوذ الأمر ، والاستيلاء بالعزة والقهر ، والتحكم التام ، والتصرف المطلق الشامل في المملكة الربانية كلها ، والسلطنة الإلهية بأجمعها ، فلا يخرج منها شيء عن حكمك ، وقهرك في سرك وجهرك ، حتى ترضى بكمال الرضا ، فتعطي من شئت ما شئت ، وتمنع من شئت مما شئت ، وتقدم وتؤخر ، وتولي وتعزل ، ولا يقع في العالم شيء إلا منك ، وبقضائك ، ولا يجري فيه خير ولا عطاء إلا وهو من خيرك وعطائك ، مَنًّا عليك ، وتقربا وتوداً إليك . وهو – أي الإعطاء المذكور – عطاء كن في ظاهر العين ، كما هو له في الباطن . ولهذا كان

يقال في هذه الآية أن فيها من السر المبهم ، وكنز الرمز المطلسم ، ما لا تحيط به العبارة .

فالحقيقة المحمدية :

- باطنها ؛ أصل مادة كل حقيقة ظهرت .
- ومظهرها ؛ أصل مادة كل حقيقة تكونت ، وإليها يرجع الأمر كله .

قال تعالى : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾ {الضحى : ٥} .

ولا يكون رضاه إلا بعود ما تفرق منه إليه :

- فأهل الجمال يجتمعون عند جماله .
- وأهل الجلال يجتمعون عند جلاله .

ونذكر هنا بعضا من عطاياه تعالى لرسوله ﷺ ، والمندرجة في قوله تعالى : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾ {الضحى : ٥} :

١- فمما أعطاه تعالى أنه ﷺ ليس كمثله شيء :

قال تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ {الشورى : ١١} . فالله تعالى هو الذي ليس كمثله شيء . ولكنه أوجد على صورته من أعطاه صفته هذه ، فكان محمداً ﷺ الذي ليس كمثله شيء . وقولنا هذا هو على معنيين :

الأول : إذا كانت الكاف في (كمثله) زائدة ؛ فيصبح المعنى : ليس **مثل** محمد ﷺ شيء .

- ويؤيده قوله ﷺ : ﴿**لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ**﴾ (١) .
- وقوله ﷺ : ﴿**لَسْتُ كَأَحَدِكُمْ**﴾ (٢) .

١- أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما والنسائي عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : نهى رسول الله ﷺ عن الوصال رحمة لهم فقالوا : إنك تواصل؟ قال : ﴿**إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ ، إِنِّي يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِ**﴾ . وفي الباب ما رواه مسلم ومالك في الموطأ وأبو داود وأحمد والبيهقي في السنن عن ابن عمر ﷺ . ومالك عن أبي هريرة ﷺ . والبخاري عن ابن مسعود ﷺ . والبخاري وأحمد وأبو داود عن أبي سعيد ﷺ .

٢- روى الترمذي وصححه وأحمد والدارمي وأبو يعلى وابن حبان وابن منده في التوحيد عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿**لا تُوَاصِلُوا**﴾ . قَالُوا : فَإِنَّكَ تُوَاصِلُ يَا رَسُولَ الله ، قَالَ : ﴿**إِنِّي لَسْتُ كَأَحَدِكُمْ ، إِنَّ رَبِّي يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي**﴾ . وفي الباب ما رواه الترمذي وصححه عن أم أيوب رضي الله عنها . وما رواه أحمد عن ابن عمر ﷺ . وما رواه أحمد والحميدي وابن حبان وابن خزيمة عن أبي هريرة ﷺ . وأحمد وأبو يعلى عن أبي سعيد الخدري ﷺ . والنسائي وابن راهويه عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها .

- وقوله ﷺ : ﴿لَسْتُ كَأَحَدٍ مِنْكُمْ﴾ (١) .
- وقوله ﷺ : ﴿لَسْتُ كَمِثْلِكُمْ﴾ (٢) .

الثاني : إذا كانت الكاف في (كمثله) غير زائدة ؛ فيصبح المعنى : أنه ليس هناك **مثل مثل** محمد ﷺ .

أي لا موجود على مثال الصورة الإلهية مثل محمد ﷺ . ويؤيده قوله ﷺ : ﴿مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَأَى الحقَّ﴾ (٣) ، وفي رواية أخرى : ﴿مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَآنِي الحقَّ﴾ (٤) . ولا سيما ظهوره ﷺ في آدم عليه السلام الذي قال تعالى فيه : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ {البقرة : ٣٠} . فلا خليفة عن الله إلا سيدنا محمد ﷺ ، والرسل هم خلفاء سيدنا محمد ﷺ في كل

١- رواه البخاري في صحيحه وأحمد عن أنس رضي الله عنه . ومسلم في صحيحه وأبو داود والنسائي وأحمد والدارمي وابن خزيمة والبزار وعبد الرزاق والبيهقي في السنن عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه . وأحمد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه . وأحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه . وأحمد عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها .

٢- رواه أحمد عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه . وعبد الرزاق عن أبي هريرة رضي الله عنه .

٣- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وابن عساكر والتبريزي عن أبي قتادة رضي الله عنه . ورواه البخاري والخطيب عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

٤- رواه أحمد عن أبي قتادة رضي الله عنه (وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح) . وأحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

زمان ومكان . فليس هناك تلقي عن الله إلا بسيدنا محمد ﷺ ، وليس هناك تلقي للرسل إلا من سيدنا محمد ﷺ . وهذا معنى ميثاق النبيين في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ {آل عمران : ٨١} . لذا لما قَالُوا : يَا رَسُولَ الله مَتَى وَجَبَتْ لَكَ النُّبُوَّةُ ؟ . قَالَ : ﴿ وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالجَسَدِ ﴾ (١) .

فإذا كُشف عن الحقيقة المحمدية ، ورُئي الحق في الصورة التي كساها الإنسان الكامل ، يبقى الكون في حيرة بين الصورتين ، لا يدري لأيتهما يسجد (٢) ، فيُخير في ذلك المقام بأن يُتلى عليه : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ {البقرة : ١١٥} .

١- رواه أحمد والطبراني في الكبير (وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح) وابن أبي شيبة وابن بطة في الإبانة وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني والحاكم وصححه والبيهقي في الدلائل وأبو نعيم في الحلية وفي المعرفة وابن بشران في أماليه والخلال وابن أبي عاصم وعبد الله بن أحمد كلهم في السنة والآجري في الشريعة والفريابي في القدر والروياني وابن قانع وابن سعد في طبقاته عن ميسرة الفجر ﷺ . والترمذي وصححه عن أبي هريرة ﷺ . والطبراني في الكبير والأوسط عن ابن عباس ﷺ .

٢- يُراجع باب السجود للنبي ﷺ من هذا الكتاب .

- ففي الإنسان وجه الله من حيث صورته .

- وفي جانب الحق وجه الله من حيث عينه .

فلأي شيء يسجد عند سجوده ؟

فإن الله يقبل السجود للصورة كما يقبله للعين ! .

كما تحير رسول الله ﷺ في مثل هذا المقام ، في منزلة أخرى ، لما قيل له حين عُرِجَ به ، وأراد الدخول على الله : قف يا محمد إن ربك يصلي(١) . فتحير في نسبة الصلاة إليه ، وكان سيدنا محمد ﷺ في مقام الصورة الإلهية الكاملة ، التي تُستقبل بالصلاة والسجود لها ، فلما دنا ؛ استقبله ربه بالصلاة له ، ولا علم له ﷺ بذلك ، كيف لا ؛ وهو تعالى الذي يقول : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ {الأحزاب : ٥٦} .

فمن أقامه الله بين الصورتين ؛ لا يبالي لأيتهما سجد .

١- رواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد وقال ابن الجوزي في إسناده : [هذا إسناد كل رجاله ثقات ، إلا أنه موقوف على عطاء ﷺ] اهـ .

٢- وأعطاه تعالى سر كلمة (كن) :

والأمثلة على أنه ﷺ كان يتكلم بـ (كُن) كثيرة ، نذكر منها :

- رَأَى رَسُولُ الله ﷺ رَجُلًا مُبَيِّضًا ، يَزُولُ بِهِ السَّرَابُ ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : **﴿ كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ ﴾** . فَإِذَا هُوَ أَبُو خَيْثَمَةَ الْأَنْصَارِيُّ رضي الله عنه (١) .

- وَمَضَى رَسُولُ الله ﷺ سَائِرًا إلى تبوك ، فَجَعَلَ يَتَخَلّفُ عَنْهُ الرّجُلُ ، يَقُولُونَ : يَا رَسُولَ الله تَخَلّفَ فُلَانٌ . فَيَقُولُ : **﴿ دَعُوهُ ، فَإِنْ يَكُ فِيهِ خَيْرٌ ؛ فَسَيُلْحِقُهُ اللهُ تَعَالَى بِكَمْ ، وَإِنْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ ؛ فَقَدْ أَرَاحَكُمْ اللهُ مِنْهُ ﴾** . حَتّى قِيلَ : يَا رَسُولَ الله قَدْ تَخَلّفَ أَبُو ذَرّ ، وَأَبْطَأَ بِهِ بَعِيرُهُ ، فَقَالَ : **﴿ دَعُوهُ ، فَإِنْ يَكُ فِيهِ خَيْرٌ ؛ فَسَيُلْحِقُهُ اللهُ بِكَمْ ، وَإِنْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ ؛ فَقَدْ أَرَاحَكُمْ اللهُ مِنْهُ ﴾** . وَتَلَوَّمَ أَبُو ذَرّ عَلَى بَعِيرِهِ ، فَلَمّا أَبْطَأَ عَلَيْهِ ؛ أَخَذَ مَتَاعَهُ ، فَحَمَلَهُ عَلَى ظَهْرِهِ ، ثُمّ خَرَجَ يَتْبَعُ أَثَرَ رَسُولِ الله ﷺ مَاشِيًا . وَنَزَلَ رَسُولُ الله ﷺ فِي بَعْضِ مَنَازِلِهِ ، فَنَظَرَ نَاظِرٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله إنّ هَذَا الرّجُلَ يَمْشِي عَلَى الطّرِيقِ وَحْدَهُ . فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : **﴿ كُنْ أَبَا ذَرّ ﴾** . فَلَمّا تَأَمّلَهُ الْقَوْمُ قَالُوا : يَا رَسُولَ الله هُوَ وَالله أَبُو ذَرّ .

١- رواه مسلم في صحيحه وأحمد وعبد الرزاق والطبراني والبيهقي في الدلائل وابن حبان وأبو نعيم في المعرفة وابن هشام في سيرته وابن عساكر في تاريخه وابن الأثير في أسد الغابة .

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿ **رَحِمَ اللهُ أَبَا ذَرّ ، يَمْشِي وَحْدَهُ ، وَيَمُوتُ وَحْدَهُ ، وَيُبْعَثُ وَحْدَهُ** ﴾ (١) .

فكانت كلمة (كن) منه ﷺ هي (كن) الإلهية .

وهناك أمثلة على مواقف ، كانت تنفعل فيها الأشياء له ﷺ ، لمجرد توجه إرادته لذلك ، وبدون استعمال الأمر (كن) ، نذكر منها :

- ما رُوي عَنْ أَبِي رَافِعٍ رضي الله عنه ، قَالَ : أَمَرَنِي النَّبِيُّ ﷺ أَنْ أُصْلِيَ لَهُ شَاةً - أي أشويها له - فَصَلَيْتُهَا لَهُ ، فَقَالَ : ﴿ **نَاوِلْنِي الذِّرَاعَ** ﴾ ، فَنَاوَلْتُهُ الذِّرَاعَ ، ثُمَّ قَالَ : ﴿ **نَاوِلْنِي الذِّرَاعَ** ﴾ ، فَنَاوَلْتُهُ الذِّرَاعَ ، ثُمَّ قَالَ : ﴿ **نَاوِلْنِي الذِّرَاعَ** ﴾ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ الله ، كَمْ لَهَا مِنْ ذِرَاعٍ ؟ فَقَالَ : ﴿ **أَمَا لَوْ سَكَتَّ ؛ لَوَجَدْتَهَا مَا دَعَوْتُكَ** ﴾ (٢) .

فأخبر رسول الله ﷺ أنه كانت ستُخلق ذراعا للشاة ، عن إرادته ﷺ ، كلما طلب ذلك .

١- رواه الحاكم وصححه والبيهقي وابن هشام وابن حجر في الإصابة وابن حبان في الثقات والطبري وابن عساكر في تاريخيهما وابن الأثير في أسد الغابة عن ابن مسعود رضي الله عنه .

٢- رواه أحمد في مسنده والنسائي وابن أبي عاصم والترمذي في الشمائل والطبراني في الكبير والأوسط والمحاملي في أماليه والآجري في الشريعة والروياني في مسنده والأصبهاني في دلائل النبوة والسجزي والتبريزي والبخاري في تاريخه وابن سعد في الطبقات وابن عبد البر في الاستيعاب وابن عساكر في تاريخه وابن الأثير في أسد الغابة .

- وَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُود ﷺ قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فِي سَفَرٍ ، فَقَلَّ الماءُ ، فَقَالَ : ﴿ **اطْلُبُوا فَضْلَةً مِنْ مَاءٍ** ﴾ . فَجَاءُوا بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ قَلِيلٌ ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ ، ثُمَّ قَالَ : ﴿ **حَيَّ عَلَى الطَّهُورِ المَبَارَكِ ، وَالْبَرَكَةُ مِنْ الله** ﴾ . فَلَقَدْ رَأَيْتُ الماءَ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ الله ﷺ (١) .

وهنا لطيفة : وهي شدة أدب رسول الله ﷺ مع الله تعالى ، في أنه ﷺ ستر تكوُّن الماء منه ، بأن بارك في الماء القليل ، فكثره ، ولم يخلقه من عدم . مع أن الله تعالى أعطاه القدرة على ذلك . كذلك ما ورد من إطعامه ﷺ الجيش كله من صاع (٢) . فكان ﷺ يتعمد وجود أصل ، يبارك فيه ، ويكثره ، وهذا الأدب من كمال صفاته ﷺ التي مدحه بها جل وعلا في قوله : ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ {القلم : ٤} .

قال الله تعالى في الحديث القدسي : ﴿ **مَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَأَكُونَ أَنَا سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَلِسَانَهُ**

١- رواه البخاري في صحيحه والنسائي وأحمد في مسنده والأصبهاني والبيهقي والفريابي كلهم في الدلائل وأبو يعلى وابن خزيمة والبزار والشاشي وابن أبي شيبة والدارمي واللالكائي وتمام في فوائده والتبريزي .

٢- حديث : إطعامه ﷺ الجيش من صاع ؛ أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما والحاكم في المستدرك وصححه عن جابر بن عبد الله ﷺ .

الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ ، وَقَلْبَهُ الَّذِي يَعْقِلُ بِهِ﴾ (١) . وقد شهد الله تعالى لسيدنا محمد ﷺ بأن له نافلة ، بقوله تعالى : ﴿ **وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ** ﴾ {الإسراء : ٧٩} . فلا بد أن يكون سمعه الحق ، وبصره الحق ، وكلامه الحق ، وهو الحق (٢) . ولم يشهد الله تعالى بها لأحد من الخلق على التعيين .

فمن لم تستغرق فرائضه نوافله ؛ وفضلت له نوافل — بعد استيفاء نواقصه من الفرائض — جزاؤه أن يحبه الله تعالى هذه المحبة الخاصة ، وجعل علامتها ؛ أن يكون الحق سمعه وبصره ويده ، وجميع قواه .

١- بهذا اللفظ رواه الطبراني في الكبير والبيهقي في الزهد عن أبي أمامة ﷺ . وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : **﴿إِنَّ اللهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ﴾** . رواه البخاري في صحيحه والبيهقي في السنن وفي الأسماء والصفات وابن حبان في صحيحه .

٢- فقد ورد عنه ﷺ أنه كان يقول في دعائه : **﴿اللَّهُمَّ لَكَ الحمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الحمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الحمْدُ أَنْتَ الحقُّ ، وَوَعْدُكَ حَقٌّ ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ ، وَالجنَّةُ حَقٌّ ، وَالنَّارُ حَقٌّ ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ ، وَمُحَمَّدٌ حَقٌّ﴾** . رواه البخاري في صحيحه (واللفظ له) والنسائي وابن ماجة وابن خزيمة وعبد الرزاق وابن أبي شيبة والحميدي وأبو نعيم في الحلية عن ابن عباس ﷺ .

ولهذا دعا رسول الله ﷺ أن يكون كله نوراً ، فقال : ﴿ **وَاجْعَلْنِي نُورًا** ﴾(١) .

فإن الله تعالى قال : ﴿ **ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ** ﴾ {النور : ٣٥} .

وهذا هو الذي تقول فيه الصوفية التخلق بالأسماء الإلهية .

ونحن نرغب إلى الله ونضرع ؛ أن لا يحجبنا – في تخلقنا بالأسماء الإلهية – عن عبودتنا .

١– هذا جزء من الحديث المروي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : جَعَلَ رسول الله ﷺ يَقُولُ فِي صَلاتِهِ ، أَوْ فِي سُجُودِهِ : ﴿ **اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا ، وَفِي سَمْعِي نُورًا ، وَفِي بَصَرِي نُورًا ، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا ، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا ، وَأَمَامِي نُورًا ، وَخَلْفِي نُورًا ، وَفَوْقِي نُورًا ، وَتَحْتِي نُورًا ، وَاجْعَلْنِي نُورًا** ﴾ بهذا اللفظ رواه مسلم في صحيحه وأحمد وأبو عوانة والطيالسي ومحمد بن نصر المروزي في قيام الليل عن ابن عباس ﷺ .

٣- وأعطاه تعالى الجمال الظاهر والباطن وعشق الكون لهذا الجمال :

قال رسول الله ﷺ : ﴿ إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ ﴾ (١) .

ولما كان رسول الله ﷺ هو صفة الله تعالى ؛ فرسول الله ﷺ هو الذي حاز كل جمال ظاهر وباطن .

قال البوصيري رضي الله عنه فيه ﷺ :

فَهُوَ الذي تَمَّ مَعْنَاهُ وَصُورَتُهُ ثُمَّ اصْطَفَاهُ حَبِيباً بَارِئُ النَّسَمِ
أَكْرِمْ بِخَلْقِ نَبِيٍّ زَانَهُ خُلُقٌ بِالحُسْنِ مُشْتَمِلٌ بِالبِشْرِ مُتَّسِمِ
كَالزَّهْرِ في تَرَفٍ وَالبَدْرِ في شَرَفٍ وَالبَحْرِ في كَرَمٍ وَالدَّهْرِ في هِمَمِ

فهو كما قال فيه الشاعر :

خُلِقْتَ مُبَرَّأً مِنْ كُلِّ عَيْبٍ كَأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ كَمَا تَشَاءُ

١- رواه مسلم في صحيحه والترمذي عن ابن مسعود وأحمد في مسنده عن أبي ريحانة رضي الله عنه والطبراني في الكبير عن أبي أمامة رضي الله عنه والحاكم في المستدرك وابن عدي في الكامل وابن عساكر عن ابن عمر رضي الله عنهما ، وابن عساكر عن جابر رضي الله عنه . والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي سعيد رضي الله عنه .

فهو ﷺ الشمس التي أشرقت ، فعمت بنورها الكون كله . ولكن البون بينها وبين شمسنا شاسع جداً . فشمسنا تغرب ، وشمسه ﷺ ليست تغيب ، فإنها تبقى منيرة أبد الدهر ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ ﴾ {الأحزاب : ٤٥ – ٤٦)} .

وقال تعالى فيه : ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴾ {المائدة : ١٥} . قال الإمام الطبري رحمه الله : [يعني بالنور سيدنا محمداً ﷺ ، الذي أنار الله به الحق ، وأظهر به الإسلام ، ومحق به الشرك ، فهو نور لمن استنار به] اهـ .

وَعَنِ الْعِرْبَاضِ بن سَارِيَةَ ﷺ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ ، يَقُولُ : ﴿ **إِنِّي عَبْدُ الله ، وَخَاتَمُ النبيين ، وَإِنَّ آدَمَ عليه السلام لمنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ ، وَسَأُحَدِّثُكُمْ عَنْ ذَلِكَ دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ ، وَبِشَارَةُ عِيسَى ، وَرُؤْيَا أُمِّي ، رَأَتْ ، وَكَذَلِكَ أُمَّهَاتُ النبيين يَرَيْنَ** ﴾ . وَإِنَّ أُمَّ رَسُولِ الله ﷺ رَأَتْ – حِينَ وَضَعَتْ – نُورًا أَضَاءَتْ مِنْهُ قُصُورَ الشَّامِ (١) .

١– رواه أحمد في مسنده والحاكم وصححه والطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب والدلائل والبخاري في تاريخه وابن سعد في طبقاته وابن عساكر في تاريخه .

ولهذا أحبه الصحابة حبًّا لا يُوصف ، حبًّا ملك عليهم أنفسهم ، وجعلهم يفدونه بكل غال ورخيص ، وأصبحت الكلمة الدارجة لأحدهم هي :

فداك أبي وأمي يا رسول الله

وعاشوا حقيقة قوله تعالى : ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ ﴾ {الأحزاب : ٦} . وأحبه كل منهم أكثر من نفسه التي بين جنبيه . حتى أن أبا سفيان قال مبهوراً بذلك الحب : ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً ، كحب أصحاب محمدٍ محمداً .

وقال عروة بن مسعود الثقفي ، حينما رجع إلى الكفار يوم الحديبية : خلوا سبيل الرجل يعتمر ، فإني حضرت كسرى ، وقيصر ، والنجاشي ، فما رأيت ملكاً قط أصحابه أطوع من هذا الملك . والله إنه ليتنخم فيبتدرون نخامته ، والله إنه ليجلس فيبتدرون التراب الذي يجلس عليه ، وإنه ليتوضأ فيبتدرون وضوءه (١) .

وَعَنْ أُمِّ أَيْمَنَ رضي الله عنها ، قَالَتْ : قَامَ رَسُولُ الله ﷺ مِنَ اللَّيْلِ إِلَى فَخَّارَةٍ فِي جَانِبِ الْبَيْتِ ، فَبَالَ فِيهَا ، فَقُمْتُ مِنَ اللَّيْلِ ، وَأَنَا عَطْشَانَةٌ ، فَشَرِبْتُ مَا فِيهَا ، وَأَنَا لا أَشْعُرُ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّبِيُّ ﷺ ، قَالَ : ﴿ **يَا أُمَّ أَيْمَنَ ، قَوْمِي**

١- أورده السمرقندي في تفسيره المسمى ببحر العلوم .

فَأَهْرِيقِي مَا فِي تِلْكَ الْفَخَّارَةِ﴾ . قُلْتُ : قَدْ وَاللهِ شَرِبْتُ مَا فِيهَا . قَالَتْ : فَضَحِكَ رَسُولُ الله ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ، ثُمَّ قَالَ : ﴿**أَمَا إِنَّكِ لا تَتَّجِعِينَ بَطْنَكِ أَبَدًا**﴾ (١) وفي رواية : ﴿**أَمَا إِنَّكِ لا يُفْجَعُ بَطْنُكِ بَعْدَهُ أَبداً**﴾ (٢) .

وقال سهل بن عبد الله التستري ﷺ : من لم ير ولاية الرسول ﷺ عليه في جميع أحواله ، ويرى نفسه في ملكه ﷺ ؛ لا يذوق حلاوة سنته ، لأنه ﷺ قال : ﴿**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ عِنْدَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ**﴾ (٣) .

عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ ﷺ قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ فِي لَيْلَةٍ إِضْحِيَانٍ ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَإِلَى الْقَمَرِ ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ ، فَإِذَا هُوَ عِنْدِي أَحْسَنُ مِنْ الْقَمَرِ (٤) . ليلة إضحِيَان ، أي : مضيئة إضاءَةُ الضُّحى .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : لَمَا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولَ الله ﷺ المدِينَةَ ؛ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ . فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ ؛ أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ . وَلَمَا نَفَضْنَا عَنْ رَسُولِ الله ﷺ الْأَيْدِي ؛ وَإِنَّا لَفِي دَفْنِهِ ؛ حَتَّى

١- رواه الطبراني في الكبير وأبو نعيم في المعرفة وفي الدلائل .

٢- رواه الحاكم في المستدرك .

٣- رواه أحمد في مسنده وابن بشران في أماليه عن زهرة بن معبد عن جده ﷺ . والطبراني في الكبير والأوسط والبيهقي في الشعب عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه ﷺ .

٤- رواه الترمذي وحسنه والحاكم وصححه والطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب والدلائل والدارمي وأبو يعلى وأبو نعيم في المعرفة وابن عساكر في تاريخه وابن الخطيب في تاريخه .

أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا (١) . كِنَايَة عَنْ عَدَمِ وِجْدَانِ النُّورَانِيَّةِ وَالصَّفَاءِ الَّذِي كَانَ حَاصِلًا مِنْ مُشَاهَدَتِهِ وَحُضُورِهِ ﷺ لِتَفَاوُتِ حَالِ الْحُضُورِ وَالْغَيْبَةِ .

- ليس ذلك فقط ؛ ولكنهم تمنوا دوام صحبته على كل حال دنيا وأخرى :

فعن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله إنك لأحب إليَّ من نفسي ، وإنك لأحب إليَّ من ولدي ، وإني لأكون في البيت ؛ فأذكرك ؛ فما أصبر حتى آتي فأنظر إليك ، وإذا ذكرت موتي وموتك ، عرفت أنك إذا دخلت الجنة ؛ رُفِعْتَ مع النبيين ، وأني إذا دخلت الجنة ؛ خشيت أن لا أراك . فلم يرد عليه النبي ﷺ شيئاً ، حتى نزل جبريل بهذه الآية : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾ {النساء : ٦٩} (٢) .

وَعَن رَبِيعَة بْن كَعْبٍ الْأَسْلَمِيّ ﷺ قَالَ : كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِي : ﴿ سَلْ ﴾ . فَقُلْتُ : أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي

١- رواه الترمذي وصححه وابن ماجة وأحمد وأبو يعلى وابن حبان وعبد بن حميد والآجري في الشريعة والروياني والتبريزي وابن سعد في طبقاته وابن الأثير في أسد الغابة وابن عساكر وابن الخطيب في تاريخيهما .

٢- أخرجه الطبراني وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية والضياء المقدسي في صفة الجنة وحسنه .

الْجَنَّةِ . قَالَ : ﴿ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ ﴾ ؟ . قُلْتُ : هُوَ ذَاكَ . قَالَ : ﴿ فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ ﴾ (١) .

وَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿ مَنْ أَحَبَّنِي كَانَ مَعِي فِي الجَنَّةِ ﴾ (٢) .

- ليس ذلك فقط ؛ بل جعلوا حبه ﷺ هو كل عدتهم ليوم القيامة ، ليس غيره :

فَعَنْ أَنَسٍ ﷺ : أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ ، فَقَالَ : مَتَى السَّاعَةُ ؟ . قَالَ : ﴿ وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا ﴾ ؟ . قَالَ : لَا شَيْءَ ، إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ ﷺ . فَقَالَ : ﴿ أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ . قَالَ أَنَسٌ : فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : ﴿ أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ . قَالَ أَنَسٌ : فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ (٣) .

١- أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي والطبراني والبيهقي وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني وأبو عوانة وأبو نعيم في المعرفة والتبريزي .

٢- رواه الترمذي وحسنه وأحمد والطبراني وابن عساكر في تاريخه عن أنس بن مالك ﷺ .

٣- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والترمذي وأحمد وعبد الرزاق والنسائي والطبراني والبيهقي في الشعب وأبو يعلى والحميدي والدارقطني وابن حبان وابن خزيمة وعبد بن حميد وأبو نعيم في المعرفة والطيالسي وابن المنذر وابن منده والبزار وهناد .

- ليس ذلك فقط ؛ ولكن انتقل هذا الحب للتابعين ، الذين كانوا يقدسون كل شيء رأى أو لمس رسول الله ﷺ :

فعن ثابت البناني رضي الله عنه قال : قلت لأنس بن مالك رضي الله عنه : أعطني عينيك التي رأيت بهما رسول الله ﷺ حتى أقبلهما (١) .

وَعَن عَبدِ الرحْمَنِ بن رَزِينٍ ، قَالَ : مَرَرْنَا بِالرَبَذَة ، فَقِيلَ لنا : هَاهُنَا سَلَمَةُ بن الأكوع ، فَأَتَيتُهُ فَسَلمنَاعَلَيهِ ، فَأَخْرَجَ يَدَيهِ فَقَالَ : بَايَعْتُ بِهَاتَينِ نَبِيَّ الله ، ﷺ . فَأَخْرَجَ كَفًا لَهُ ضَخْمَةً كَأَنَّهَا كَف بَعِيرٍ ، فَقُمنَا إِلَيهَا فَقَبلنَاهَا (٢) .

وَعَنْ أَبِي مَالِك الْأَشْجَعِي رضي الله عنه قَالَ : قُلْت لِابْنِ أَبِي أَوْفَى رضي الله عنه : نَاوِلْنِي يَدك الَّتِي بَايَعْت بِهَا رَسُول الله ﷺ ، فَنَاوَلَنِيهَا ، فَقَبَّلْتهَا (٣) .

- ليس ذلك فقط ؛ ولكنهم جعلوا حب أصحاب رسول الله أفضل القربات .

فهذا بشر بن الحارث رضي الله عنه ، يقول : أوثق عملي في نفسي حب أصحاب محمد ﷺ .

١- رواه الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع .

٢- رواه البخاري في الأدب المفرد والخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع والكاندهلوي في حياة الصحابة وابن حجر في الفتح .

٣- رواه ابن المقري وابن عساكر وأورده ابن حجر في الفتح والمباركفوري في تحفة الأحوذي .

وعبد الله بن المبارك ﷺ يقول : خصلتان من كانتا فيه نجا : الصدق وحب أصحاب محمد ﷺ .

وأيوب السختيانى ﷺ يقول : من أحب أبا بكر ؛ فقد أقام الدين . ومن أحب عمر ؛ فقد أوضح السبيل . ومن أحب عثمان ؛ فقد استضاء بنور الله . ومن أحب عليا ؛ فقد أخذ بالعروة الوثقى . ومن أحسن الثناء على أصحاب محمد ﷺ ؛ فقد برئ من النفاق . ومن انتقص أحدا ؛ منهم فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف الصالح ، وأخاف أن لا يصعد له عمل إلى السماء حتى يحبهم جميعا ، ويكون قلبه سليما .

لماذا كل هذا الحب ؟

سؤال يُطرح و يُكَرَّر . فإنه حب لم يشهد الكون – عُلْوِيُّهُ وَسُفْلِيُّهُ – مثله .

فهو – ﷺ – يحبه كل شيء في الكون ، السماء بمن فيها ، والأرض بمن عليها . كل يحبه ، ويشتاق إليه .

فما أعظمه من رجل ، وما أجله من نبي ، وما أعزه من رسول ﷺ .

كَأَنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فِي جَبِينِهِ وَفِي جِيدِهِ الشِّعْرَى وَفِي وَجْهِهِ البَدْرُ
عَلَيْهِ جَلَالُ المَجْدِ لَوْ أَنَّ وَجْهَهُ أَضَاءَ بِلَيْلٍ هَلَّلَ البَدْوُ وَالحُضْرُ

لقد نال ﷺ كل هذا الحب – وهو قليل في حقه ، لأنه جمع خصال وصفات لم ولن تجتمع في غيره .

ولكن مَنِ المحب ؟ . و مَنِ المحبوب ؟ . و ما نوع الحب ؟ .

أما المحب : فالشجر والحجر ، والجبل والسهل ، والحيوان والطير .

والحديث عن حب البشر له ؛ فشيء آخر ، وحديث آخر ، ما بالكم بحب أعين اكتحلت بالنظر إلى وجهه الكريم ، وآذان تلذذت بسماع حديثه ، ما بالكم بحب من جالسه وعاشره ﷺ . لا شك أنه حبٌ لم يُشهد مثله على وجه البسيطة .

أما المحبوب : فهو خير من مشى على الأرض ، وخير من طلعت عليه الشمس . بل هو شمس الدنيا وضياؤها ، وبهجتها وسرورها . ريقه دواء ، ونفثه شفاء ، وعرقه أطيب الطيب . أجمل البشر ، وأبهى من الدرر . يأسر القلوب ، ويجتذب الأفئدة ، متعة النظر ، وشفاء البصر . إذا تكلم أساخت له القلوب قبل الأسماع ، فلا تسل عما يحصل لها من السعادة والإمتاع . كم شفى قلباً ملتاعاً ، وكم هدى من أوشك على الهلاك والضياع .

قال ابن الجوزي رحمه الله في وصفه : [من تحركت لعظمته السواكن فحن إليه الجذع ، و كلمه الذئب ، و سبح في كفه الحصى ، و تزلزل له الجبل ، كلٌ كنى عن شوقه بلسانه ، يا جملة الجمال ، أنت واسطة العقد ، وزينة

الدهر . تزيد على الأنبياء زيادة الشمس على البدر ، والبحر على القطر ، والسماء على الأرض . أنت صدرهم ، وبدرهم ، وعليك يدور أمرهم ، أنت قطب فلكهم ، وعين كتبهم ، وواسطة قلادتهم ، ونقش فصهم ، وبيت قصيدهم] اهـ .

أما نوع الحب : فيكفي أنه حب أنطق الحجر ، وحرك الشجر ، وأبكى الجذع ، وأسكب دمع البعير ، فما بالك بإنسان له جنان يفيض بالحب والحنان ، رأى جمال خلقته ﷺ ، فالنفوس مجبولة على حب كل جميل ، و قد كان ﷺ أجمل الناس خلقاً ، ولذا فقد أحبه الناس حباً عظيماً ، فقد جمع بين جمال الخِلْقَةِ والخُلُق ﷺ ، فتأمل في وصف أصحابه له :

عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ : كَانَ رَسُولُ الله ﷺ أَزْهَرَ اللَّوْنِ ، كَأَنَّ عَرَقَهُ اللُّؤْلُؤُ ، إِذَا مَشَى تَكَفَّأَ . وَلَا مَسِسْتُ دِيبَاجَةً وَلَا حَرِيرَةً أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ الله ﷺ . وَلَا شَمِمْتُ مِسْكَةً وَلَا عَنْبَرَةً أَطْيَبَ مِنْ رَائِحَةِ رَسُولِ الله ﷺ (١) . ومعنى (أزهر اللون) هو الأبيض المستنير ، وهو أحسن الألوان .

وَعَن الْبَرَاء ﷺ قَالَ : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ مِن النَّبِيِّ ﷺ (٢) .

١- رواه مسلم في صحيحه وأحمد وابن حبان والبيهقي في الشعب والدلائل والدارمي والأصبهاني في الدلائل والتبريزي .

٢- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وأبو داود والترمذي وابن ماجة وأحمد وابن أبي شيبة والبيهقي وأبو يعلى وابن حبان والروياني .

وَعَن كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ ، حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ (١) .

وَعَنْ الإِمَامِ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ قَالَ : لَمْ يَكُنْ رَسُولُ الله ﷺ بِالطَّوِيلِ وَلَا بِالْقَصِيرِ ، شَثْنَ الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ ، ضَخْمَ الرَّأْسِ ، ضَخْمَ الْكَرَادِيسِ ، طَوِيلَ المسْرُبَةِ . إِذَا مَشَى تَكَفَّأَ تَكَفُّؤًا ، كَأَنَّمَا انْحَطَّ مِنْ صَبَبٍ . لَمْ أَرَ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ (٢) . الشثن : الغليظ الخشن . الكراديس : جمع كردوس ، وهي رءوس العظام . المسربة : شعر دقيق من الصدر إلى السرة . تكفأ : مال صدره إلى الأمام . ينحط : يسقط ويهوي . الصبب : المنحدر من الأرض .

قَالَ ابْنُ عُمَرَ ﷺ : مَا رَأَيْتُ أَحَداً أَنْجَدَ وَلاَ أَجْوَدَ ، وَلاَ أَشْجَعَ ، وَلاَ أَضْوَأَ وَأَوْضَأَ ، مِنْ رَسُولِ الله ﷺ (٣) .

١- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وأحمد وابن أبي شيبة والنسائي والحاكم وصححه والطبراني والبيهقي والتبريزي .

٢- رواه الترمذي وصححه والحاكم وصححه والبيهقي والبزار والتبريزي .

٣- رواه الدارمي وأبو نعيم في الحلية وصححه الحافظ العراقي .

٤- وأعطاه تعالى مفتاح محبته :

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ {آل عمران : ٣١} .

وروى أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ عن الله أن الله تعالى يقول : ﴿...**وَما تقرّب إليّ عبدي المؤمن بمثل ما افترضت عليه . وما يزال عبدي المؤمن يتنّفل إليّ حتى أحبّه ، ومن أحببته كنت له سمعاً وبصراً ، ويداً ومؤيّداً**﴾(١) . فهذا الهجير إذا التزمه العبد وتحقق به ؛ فتح عليه في معرفة نفسه وربه ، وعلم أن عبادة الفرائض عبادة حقيقية جبرية ، وعبادة النوافل عبادة اختيارية ، فيها رائحة ربوبية ، لأنها تواضع ، والتواضع تَعَمُّل ، لا يقوم إلا بمن له سهم في الرفعة ، والعبد ليس له نصيب في السيادة ، ولهذا قيل أن : العبد من لا عبد له .

فلهذا نقص النفل عن درجة الفرض ، لأن العبد نقصه من العلم بالأمر ، على قدر ما اعتقده من النفل ، بل من أول قدم في النفل اتصف بالنقص في العلم ، بما هو الأمر عليه . وهذا علم شريف يورث سعادة لمن قام به ، لا تشبهها سعادة :

١- بهذا اللفظ رواه ابن أبي الدنيا في الأولياء والحكيم الترمذي في نوادر الأصول وابن عساكر في تاريخه وابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم وأبو نعيم في الحلية .

- وذلك أن العبد هو عبد لذاته ، ولكن لا تُعقل له عبودية ما لم يعقل له استناد إلى سيد .
- والرب رب لذاته ، ولكن لا يعقل له ربوبية ما لم يعقل له مربوب هو مستنده .

فكل واحد سند للآخر .

وقال الله تعالى : ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ {المائدة : ٥٤} . فجعل الله تعالى محبتهم وسطاً بين محبتين منه لهم ، فأحبهم ، فوفقهم بهذه المحبة لاتباع رسوله ﷺ ، فيما جاءهم به من الواجبات عليهم ، والترغيب في أن يوجبوا على أنفسهم صورة ما أوجبه عليهم يسمى نافلة .

ثم أعلمهم أنهم إذا اتبعوه فيما جاء به أحبهم ، فهذا الحب الإلهي الثاني ؛ ما هو عين الأول :

- فالأول : حبّ عناية .
- والثاني : حبّ جزاء وكرامة بوافد محبوب بالحب الأول .

فصار حب العبد ربّه محفوظاً بين حبين إلهيين ، كلما أراد أو همّ أن يخرج من هذا الوصف بالسلوّ ، وجد نفسه محصوراً بين حبين إلهيين ، فلم يجد منفذاً ، فبقي محفوظ العين ، بين حبّ عناية ما فيها من فطور ، وبين حبّ

كرامة ما فيها من استدراج . والحصر بين أمرين يوجب اضطرارا ، فذلك حبّ الفرض ، وهو العبد المضطر في عبوديته ، المجبور بما فرض الله عليه ، لينبهه أنه في قبضة الحق محصور ، لا انفكاك له ولا نفوذ ، كما رسمناه :

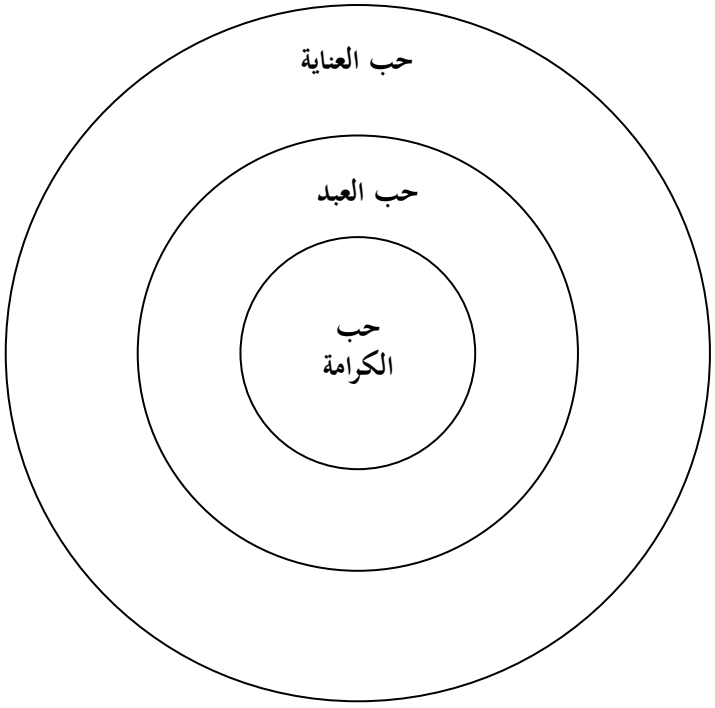

ولما رأى أن الحقّ كلفه ، علم أنه لو لم يعلم الحقّ في العبد اقتداراً ، على إتيان ما كلفه به من الأعمال ، ما كلفه به ، فكان التكليف له مُعَرِّفاً بأن له مدخلاً في الاقتدار ، على وجود الفعل الذي كلفه الله إيجاده ، وقرر ذلك عنده ، بما شرّع له من طلب المعونة من الله على ذلك ، فزاده هذا قوّة ، في علمه بأن له اقتداراً ، ثم نظر فيما أوجب عليه ، فرأى ذلك قليلاً مما هو

عليه من الاتساع ، فعلم عند ذلك أن الاتساع الذي أبقى له ، إنما أبقاه لما له من الاقتدار ، فأراد أن يبتليه ليرى ما يخرج منه ، في ذلك الاقتدار الذي أعطاه ، وليس له فيما يخرج فيه ذلك الاقتدار إلا تلك السعة التي أبقى له .

قال تعالى : ﴿ **إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا** ﴾ {المزمل : ٧} . فعمر ذلك الفراغ هذا العبد بالنوافل – ولا يكون نافلة حتى يكمل الفرض – فحصّل بذلك من الله حبان آخران :

- حبّ الفرائض : أي الحب الذي حصل له من إتيانه بالفرائض .
- والحبّ الذي حصل له أيضاً من الله من إتيان النوافل ، وإن كان دون الحب الأول ، كما هو في الأصل حب الكرامة ، دون حب العناية . فإنه حب جزاء لا يخلص خلوص الحب الأول ، وذلك لأن الحب الأول هو الذي أنتج الحب الثاني ، فهو منفعل عنه ، والمنفعل لا يقوى قوّة الفاعل أبداً .

فلمّا عَمَّرَ ذلك الفراغ الواسع بالنوافل ، وجعل الله فيها فرائض ، لتتأيد بها النوافل في اللحوق بالفرائض ، ولهذا تسد مسدها ، وتكمل بها الفرائض ، كما ورد في الخبر الصحيح عن رسول الله ﷺ أن رَبَّنَا عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ لِمَلَائِكَتِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ : ﴿ **انْظُرُوا فِي صَلَاةِ عَبْدِي أَتَمَّهَا أَمْ نَقَصَهَا** ؟ . **فَإِنْ كَانَتْ**

تَامَّةً كُتِبَتْ لَهُ تَامَّةً ، وَإِنْ كَانَ انْتَقَصَ مِنْهَا شَيْئًا ، قَالَ : انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ ؟ . فَإِنْ كَانَ لَهُ تَطَوُّعٌ قَالَ : أَتِمُّوا لِعَبْدِي فَرِيضَتَهُ مِنْ تَطَوُّعِهِ . ثُمَّ تُؤْخَذُ الْأَعْمَالُ عَلَى ذَاكُمْ﴾ (١) .

فلذلك كان في النفل فروض ، لأن كل نفل فهو على صورة فرضه ؛ من صلاة وصدقة وصيام وحج واعتمار ، فله الخيار في الإتيان بالنفل ما لم يتلبس به ، فإذا تلبس به قيل له : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ {محمد : ٣٣} . فبالأولية في ذلك كان مختاراً ، وفي التلبس مضطراً عندنا ، وبخلافه عند علماء الرسوم . وننقل هنا حديثا لكل حالة :

- فَقَد وَرَدَ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ ﷺ أَنَّ أُمَّهاتِ الْمُؤمِنينَ السيدة عَائِشَةَ وَالسيدة حَفْصَةَ رَضيَ اللهُ عَنْهُما زَوْجَيْ النَّبِيِّ ﷺ أَصْبَحَتَا صَائِمَتَيْنِ مُتَطَوِّعَتَيْنِ ، فَأُهْدِيَ لَهُمَا طَعَامٌ ، فَأَفْطَرَتَا عَلَيْهِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِمَا رَسُولُ الله ﷺ ، قَالَتْ السيدة عَائِشَةُ : فَقَالَتْ حَفْصَةُ - وَبَدَرَتْنِي بِالْكَلَامِ ، وَكَانَتْ بِنْتَ أَبِيهَا :

١- رواه أبو داود والنسائي وابن ماجة وأحمد وابن أبي شيبة والحاكم والطبراني عن أبي هريرة ﷺ .

يَا رَسُولَ الله إِنِّي أَصْبَحْتُ أَنَا وَعَائِشَةُ صَائِمَتَيْنِ مُتَطَوِّعَتَيْنِ ، فَأُهْدِيَ إِلَيْنَا طَعَامٌ ، فَأَفْطَرْنَا عَلَيْهِ . فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿ **اقْضِيَا مَكَانَهُ يَوْمًا آخَرَ** ﴾ (١) .

- وَعَنْ أُمِّ الْمُؤمِنِين السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ قَالَتْ : دَارَ عَلَيَّ رَسُولُ الله ﷺ دَوْرَةً ، قَالَ : ﴿ **أَعِنْدَكِ شَيْءٌ** ﴾ ؟ . قَالَتْ : لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ . قَالَ : ﴿ **فَأَنَا صَائِمٌ** ﴾ . قَالَتْ : ثُمَّ دَارَ عَلَيَّ الثَّانِيَةَ ، وَقَدْ أُهْدِيَ لَنَا حَيْسٌ ، فَجِئْتُ بِهِ ، فَأَكَلَ ، فَعَجِبْتُ مِنْهُ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ الله دَخَلْتَ عَلَيَّ وَأَنْتَ صَائِمٌ ، ثُمَّ أَكَلْتَ حَيْسًا ! . قَالَ : ﴿ **نَعَمْ يَا عَائِشَةُ ، إِنَّمَا مَنْزِلَةُ مَنْ صَامَ فِي غَيْرِ رَمَضَانَ ، أَوْ غَيْرِ قَضَاءِ رَمَضَانَ ، أَوْ فِي التَّطَوُّعِ ، بِمَنْزِلَةِ رَجُلٍ أَخْرَجَ صَدَقَةَ مَالِهِ ، فَجَادَ مِنْهَا بِمَا شَاءَ ، فَأَمْضَاهُ ، وَبَخِلَ مِنْهَا بِمَا بَقِيَ ، فَأَمْسَكَهُ** ﴾ (٢) .

قال تعالى : ﴿ **وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ {الفتح : ١٠} . والشروع عهد عهده المؤمن مع الله ، فيما لم يجب عليه ، ولهذا لما قال

١- رواه مالك في الموطأ وأبو داود والبيهقي في السنن وابن حبان .

٢- رواه مسلم في صحيحه والنسائي (واللفظ له) وأبو داود وأحمد وأبو عوانة والدارقطني وابن حبان وابن خزيمة وابن راهويه والتبريزي .

الرجل : هل عليّ غيرها ؟ . قال له رسول الله ﷺ : ﴿ **لَا ، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ** ﴾ (١) . ومعناه : لا إلا أن تطوع بصلاة فتلزمك لزوم الفرائض ، فإن قوله هل علي غيرها ؟ . يعني من عند الله ، ألزمنيها ابتداء ، والصلاة إذا تطوعت بها ؛ مثل النذر ، ألزمك الله الإتيان بها ، بإلزامك نفسك إياها .

ولما لم يكن في أداء الفرض رائحة ربوبية ، توجب له إن شاء فعل ، وإن شاء لم يفعل ، كما هو في النفل ، كان في الفرض عبد اضطرار بلا شك ، مجبور ، فأدركه الانكسار في نفسه ، لما كان عليه من العزة في كونه أعطى العلم لله به ، فجبر الله انكساره بقوله : ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ {ق : ٢٩} . فأزال عن نفسه بهذا الخطاب : (إن شاء ... ، وإن شاء ...)

١- هذا جزء من الحديث الذي رواه طلحة بن عبيد الله ﷺ قال : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ، ثَائِرَ الرَّأْسِ يُسْمَعُ دَوِيُّ صَوْتِهِ ، وَلَا يُفْقَهُ مَا يَقُولُ ، حَتَّى دَنَا ، فَإِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنْ الْإِسْلَامِ . فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿ **خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ** ﴾ . فَقَالَ : هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا ؟ . قَالَ : ﴿ **لَا ، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ** ﴾ . قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿ **وَصِيَامُ رَمَضَانَ** ﴾ . قَالَ : هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ ؟ . قَالَ : ﴿ **لَا ، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ** ﴾ . قَالَ : وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ الزَّكَاةَ ، قَالَ : هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا ؟ . قَالَ : ﴿ **لَا ، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ** ﴾ . قَالَ : فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ ، وَهُوَ يَقُولُ : وَالله لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا وَلَا أَنْقُصُ . قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿ **أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ** ﴾ . أخرجه مالك في الموطأ والبخاري ومسلم في صحيحيهما وأبو داود والترمذي والنسائي وأحمد والبيهقي في السنن وابن حبان وابن المنذر والبزار وابن الأعرابي والتبريزي .

وما أبقى لنفسه إلا عين ما شاء ، فلما سمع العبد مثل هذا ؛ انجبر كسره ، وعلم أن الله لا يقول مجازاً ، فزال الانكسار الذي كان عنده ، وهو قوله تعالى لداود عليه السلام – وفي رواية لموسى عليه السلام – لما سأله : أي رب أين ألقاك ؟ . فقال له : أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي (١) .

ومعناه : أنا كسرت قلوبهم بما أوجبته عليهم ، وأدخلتهم فيه من الاضطرار ، وأنزلتهم من معقل عزتهم بذلك ، فلما انكسروا ؛ كان عندهم في هذا الكسر جابراً ، بما أوجبه على نفسه ، وما أخبر به من أنه ما يبدل القول لديه ، وأن الكلمة منه حقَّت ، وأزال الاختيار بإزالة الإمكان من العالم ، فلم يبق إلا واجب بنفسه ، أو واجب بغيره ، وهما وصفان لموصوف واحد ، ولموصوفين ، وليس في الكون إلا الربّ والمربوب ! .

ثم أعطاه – بما خيره فيه في هذا الاتساع – من المسمى نفلاً حكم الاختيار الإلهي ، في قوله : إن شاء وإن شاء ، فكساه حلته .
بل العبد أولى بصفة الاختيار من صفة الاضطرار ، لأن له التردد بالحقيقة لإمكانه ، وليس عند الحق ذلك ، فإذا ظهر مثل هذا من الحق ؛ فتعلم أن الحق ظهر في صورة ممكن ، ولذلك لم يقل الحق أنه هوية الشيء ، وإنما قال أنه هوية العبد ، وذلك في الحديث المشهور : ﴿ ...**كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي**

١– رواه أحمد والبيهقي كلاهما في الزهد وأبو نعيم في الحلية وابن عساكر في تاريخه .

يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، ...﴾ (١) . فعلمنا أن حكم العبد ما هو حكم الشيء ، فحكم النفل أحق بالعبد لولا ما فيه من روائح الربوبية . وحكم الفرض أحق بالرب لولا ما فيه من روائح العبودية . فليجعل حكم كل واحد في الموطن الذي جعله الله ، فيكون الله هو الجاعل ، لا نحن ، فنخلص ، ونسلم من الاعتراض علينا ، عند السؤال من الله إيانا .

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ {آل عمران : (٣١ – ٣٢)} .

فجعل في محبة الجزاء وهي محبة الكرامة غفر الذنوب ، وهو سترها . ثم ذكر أنه لا يحب الكافرين ، والكفر هو الستر ، وهو تعالى ساتر الذنوب ، فعلمنا أنه لا يحب من عباده من يستر نعمه ، أيا كانت هذه النعمة ، فإنه قال : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ {الضحى : ١١} . وما تُحُدِّثَ به لم يُستر . والتحدث بالنعم شكر ، وإذا أنعم الله على عبده بنعمة أحب أن تُرى عليه ، ونعمه التي أسبغها على عباده ظاهرة وباطنة ، ومن ستر نعمة الله فقد كفر

١- رواه البخاري في صحيحه والبيهقي في السنن وفي الأسماء والصفات وابن حبان .

بها ، ومن كفر بها أذاقه الله لباس الجوع والخوف بصنيعه ذلك ، ولهذا قيد الله سترها بالذنوب ، وهي البقايا التي أبقاها الله لعباده ، ليتعلموا الأدب مع الله ، فينسبون الطاعة والخير لله ، ويجعلونه بيد الله ، وينسبون الذنب والمعصية لنفوسهم ، فلهذا قلنا أبقاها الله ، فهذا نصيبهم مما هو لله .

قال تعالى : ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَـٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَـٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ {النساء : ٧٨} .

فإنه كل من عند الله ، لكن هؤلاء المحجوبون لا يكادون يفقهون حديثاً ، بل يقولون كل ذلك لله في غير الموطن الذي جعله الله لهذا القول ، وذلك لجهلهم بالمواطن ! .

فالعالم ما أوجده الله تعالى إلا عن الحب ، والحب يستصحب جميع المقامات والأحوال ، فهو سار في الأمور كلها ، فلذلك يتفصل الأمر فيه إلى غير نهاية ، وأصل الحب النِّسَب ، وهي الروابط ، ومع الروابط لا يثبت توحيد أصلاً .

ولهذا قال بعضهم : **من وحد فقد أشرك** .

وقالوا أيضا : **من قال بالجمع فقد فرق بلا شك** .

والله المستعان .

٥- وأعطاه تعالى مفتاح مغفرته :

قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ {النساء : ٦٤} . فلن نجد الله توابا رحيما إلا :

- إذا جئنا حضرة الرسول ﷺ .
- واستغفرنا الله في حضرة الرسول ﷺ .
- واستغفر لنا الرسول ﷺ . فحضرة الرسول ﷺ هي مفتاح المغفرة .

وقال الله تعالى مخبراً عن آدم وحواء عليهما السلام : ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ { الأعراف : ٢٣} . فالظالم نفسه – لا ، الظالم لنفسه – هو الذي يرجع إلى ربه . فإن الظالم لنفسه ، ما خرج عن ربه ، حتى يرجع إليه ، فإنه من المصطفين (١) .

١- إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ {فاطر : ٣٢} . فقد جعل الله تعالى (الظالم لنفسه) في هذه الآية من المصطفين . بل أنه هناك قول بأنهم هم أعلى المصطفين منزلة ، لأنهم هم المذكورون أولا ، ويليهم المقتصد ، ثم السابق بالخيرات وهو الأدنى منزلة ، ثم ذيَّل الله الآية بقوله : ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ ليطمئن الكل بأنهم على فضل كبير ، لأنهم كلهم في عداد المصطفين .

وقوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ {النساء : ٦٤} . ليس مقصورا على زمن وجود النبي ﷺ في الظاهر بين الصحابة ﷺ ، ولكنه منسحب على كل زمان ومكان . كيف لا يكون الأمر كذلك ، وقد نص الله تعالى على ذلك في كتابه الحكيم ، بقوله : ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ﴾ {الحجرات : ٧} . فهذه الآية عامة لكل زمان ومكان .

فالظالم نفسه ، يجيء للحق المشروع له ، الذي ظهر الرسول ﷺ في حياته بصورته ، ولذلك كان يقال له رسول الله في التعريف ، ما كان يقال له محمد فقط (١) . فإذا جاء الظالم إلى الحق المشروع ، الذي بأيدينا اليوم :

١- ورد ذكر اسم سيدنا محمد ﷺ صراحة في القرآن الكريم ، في أربع مواضع :

- ثلاث منها ليعلن أنه ما هو إلا رسول ، وهي :
  - قال تعالى : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ {آل عمران : ١٤٤} .
  - وقال : ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ {الأحزاب : ٤٠} .
  - وقال : ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ {الفتح : ٢٩} .
- والموضع الرابع ؛ ليعلن أنه ليس هناك شرع غير ما أنزل على سيدنا محمد ﷺ ، وأنه ليس لورثته الإتيان بشرع آخر ، ناسخ لشرعه ، وذلك في قوله تعالى : ﴿وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ {محمد : ٢} .

- فإن تجسد له في الصورة المحمدية ، فيعلم أنه من أصحاب هذا الذكر ، إما في النوم أو في اليقظة كيف كان .
- وإن لم يتجسد له ، فما هو ذلك الرجل .
- فإذا تجسد له ؛ فلا يخلو أن يستغفر الله هذا الظالم نفسه ، أو لا يستغفر الله : فإن استغفر الله ، ولم ير صورة الرسول تستغفر له ، فيعلم عند ذلك أنه ما استغفر الله . فإنه ﷺ : ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ {التوبة : ١٢٨} . وقد أمره تعالى بالاستغفار لنا ، فقال : ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ {آل عمران : ١٥٩} . وأمره بالصلاة علينا فقال : ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ {التوبة : ١٠٣} . وتذييله تعالى الآية بأنه تعالى ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ، تُعلِمُنا بأن صلوات الرسول ﷺ علينا مسموعة عند الله دائما . لذا فالأمر متوقف عليك أنت ، فإن استغفرت الله في ذلك الموطن ، والنبيّ ﷺ مستغفر لك على الدوام ، فعند ذلك تجد الله تواباً رحيماً .

عن العُتْبِيِّ أنه قال : حج أعرابي ، فلما جاء إلى باب مسجد رسول الله ﷺ ، أناخ راحلته ، فعقلها ، ثم دخل المسجد حتى أتى القبر ، ووقف بمحاذاة وجه رسول الله ﷺ ، فقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، جئتك مثقلا

بالذنوب والخطايا ، مستشفعا بك على ربك ، لأنه قال في محكم كتابه : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ {النساء : ٦٤} . وقد جئتك بأبي أنت وأمي ، مثقلا بالذنوب والخطايا ، أستشفع بك على ربك أن يغفر لي ذنوبي ، وأن تشفع في ، ثم أقبل في عرض الناس ، وهو يقول :

يَا خَيرَ مَنْ دُفِنَتْ فِي التُّرْبِ أَعْظُمُهُ فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ القَاعُ وَالأَكَمُ
نَفْسِي الفِدَاءُ لِقَبْرٍ أَنْتَ سَاكِنُهُ فِيهِ العَفَافُ وَفِيهِ الجُودُ وَالكَرَمُ

قال العُتْبِيُّ : ثم انصرف ، فحملتني عيناي ، فرأيت النبي ﷺ في النوم ، فقال لي : ﴿ **يَا عُتْبِيُّ : الحق الأَعْرَابِيَّ ، فَبَشِّرْهُ أَنَّ اللهَ تعالى قَدْ غَفَرَ لَهُ** ﴾(١) .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه ، قال : خرج رسول الله ﷺ من عند عمه حين قبض ، وهو يقول : ﴿ **مَا زِلْتُ بِعَمِّي حَتَّى تَرَكْتَهُ فِي ضِحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ** ﴾ . وخرج يمشي في شدة الحر ، فكأني أنظر إلى شدة تشمير إزاره وهو يمشي ، فبينا هو يمشي ؛ انقطع قبال نعله ، فوقف في مقامه ذلك ، يراوح بين قدميه ، يحمل إحداهما على الاخرى ، ويقول : ﴿ **أخ ، أخ ، أَسْتَعِيذُ بِاللهِ مِنَ النَّارِ** ﴾

١- رواه النووي في الأذكار عن العتبيّ . والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي حرب الهلالي رضي الله عنه .

إذ أبصره شاب ، فأقبل يهوى وفي يده سير ، فناوله إياه ، فأصلح قبال نعله ، ثم أقبل على الشاب ، فقال : ﴿ **لَوْ تَعْلَمْ مَا حَمَلْتَنِي عَلَيْهِ ! اذْهَبْ فَقَدْ غُفِرَ لَكَ** ﴾ . قال أبو أمامة : لقد رأيت ذلك الشاب بعد ؛ يشتري الأدم ، فيقدده ، فيعلقه في المسجد ، فلا يرى أحدا انقطع شسعه إلا ناوله شسعاً (١) وفي رواية أنه ﷺ قال للغلام : ﴿ **يا غلام لو تعلم ما لك فيما حملت عليه رسول الله ﷺ** ﴾ ! (٢) .

لاحظ أن رسول الله ﷺ ، في هذا الحديث ، أخبر الفتى أنه قد غُفِرَ له ، أمراً حتماً مقضيًّا ، ولم يقتصر على مجرد الدعاء له بالمغفرة . وذلك لأن الله تعالى فوضه في الحُكم ، واستخلفه عنه في ذلك ، فقال له : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾ {النساء : ١٠٥} .

وقد جعل الله تعالى مجرد وجوده ﷺ بين الكفار أمان لهم ، فعن أَنَس بْن مَالِكٍ ﷺ قَالَ : قَالَ أَبُو جَهْلٍ : اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ ، فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنْ السَّمَاءِ ، أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ، فَنَزَلَتْ : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾

١- رواه الذهبي في ميزان الاعتدال والعقيلي في الضعفاء .

٢- رواه ابن عدي في الكامل .

الآية {الأنفال : ٣٣} (١) .

وعن أَبِي مُوسَى ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ﴿ أَنْزَلَ اللهُ عَلَيَّ أَمَانَيْنِ لِأُمَّتِي : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ {الأنفال : ٣٣} . فَإِذَا مَضَيْتُ تَرَكْتُ فِيهِمْ الِاسْتِغْفَارَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ (٢) .

١- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل .

٢- رواه الترمذي وأحمد والحاكم وتمام في فوائده وابن عساكر والخطيب كلاهما في التاريخ .

٦- وأعطاه تعالى مفتاح رضاه :

عن أنس ﷺ ، أن النبي ﷺ قال ذات يوم لغلام من الأنصار : ﴿ **ناولني نعلي** ﴾ ، فقال الغلام : يا نبي الله ، بأبي أنت وأمي ، اتركني حتى أجعلهما أنا في رجليك ، فقال رسول الله ﷺ : ﴿ **اللهُمَّ ، إِنَّ عَبْدَكَ هَذَا يَتَرَضَّاكَ ، فَارْضَ عَنْهُ** ﴾ (١) .

وعن ثابت البناني ﷺ ، قال : كان النبي ﷺ يوما يتوضأ ، وبإزاء النبي ﷺ غلام ، فمج النبي ﷺ ، فتلقى الغلام مجة النبي ﷺ ، فشربها ، فقال النبي ﷺ : ﴿ **اللهُمَّ ، إِنَّ عَبْدَكَ يَتَرَضَّاكَ ، فَارْضَ عَنْهُ** ﴾ (٢) . مَج : لَفَظَ الماء ونحوه من فمه ، وطرحه وألقاه .

وعن أنس ﷺ قال : كان رسول الله ﷺ جالسا في حلقة ، فأراد القيام ، فقام غلام ، فناوله نعله ، فقال له رسول الله ﷺ : ﴿ **أَرَدْتَ رِضَا رَبِّكَ ، رَضْيَ اللهُ عَنْكَ** ﴾ . فكان الغلام يجيء في المدينة حتى استشهد (٣) .

في هذه الأحاديث الثلاثة ، كان الظاهر هو استرضاء الرسول ﷺ ، فجعله

١- رواه الطبراني في الصغير وأبو نعيم في أخبار أصبهان .

٢- رواه البيهقي في الشعب .

٣- رواه البزار والأصبهاني في الدلائل والخطيب في الجامع لأخلاق الراوي .

الرسول ﷺ استرضاءً لله تعالى ، وذلك ليخبرنا بأن الله تعالى قد خبأ رضاه ، في رضى رسول الله ﷺ .

٧- وأعطاه الله تعالى رحمته :

قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ {الأنبياء : ١٠٧} .

ولفظ : (العالمين) معناه هنا ؛ هو كل ما ظهر عن الحضرة :

- من أول قوله ﷺ : ﴿ كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ ﴾ (١) .

- إلى منتهى قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴾ {النجم : ٤٢} .

- مرورا بقوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ ﴾ {الحديد : ٣} .

- حيث أنه : ﴿ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴾ {البقرة : ١١٥} .

قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ {الأنبياء : ١٠٧} . ولم يخص عالماً من العوالم ، فدخل المطيع والعاصي ، والمؤمن والمكذب ، والموحد

١- بهذا اللفظ رواه البخاري في صحيحه والبيهقي في السنن وأبو نعيم في الحلية وابن أبي عاصم في الأوائل والمزي في تهذيب الكمال عن عمران بن حصين ﷺ . وبلفظ : ﴿ كَانَ اللهُ ، وَلَيْسَ شَيْءٌ غَيْرُهُ ﴾ رواه ابن حبان في صحيحه عن عمران بن حصين ﷺ . وبلفظ : ﴿ كَانَ اللهُ ، وَلاَ شَيْءَ غَيْرُهُ ﴾ رواه النسائي والطبراني في الكبير وابن أبي شيبة في كتاب العرش وابن خزيمة في التوحيد عن عمران بن حصين ﷺ ، ورواه ابن جرير وابن المنذر وابن حبان وأبو الشيخ في العظمة والحاكم (وصححه) وابن مردويه عن بريدة ﷺ .

والمشرك في هذا الخطاب ، الذي هو مسمى العالم .

ولما أعطاه ﷺ مقام الغيرة على جناب الله تعالى ، وما يستحقه ، أخذ يقنت في صلاته شهراً (١) ، يدعو على طائفة من عباد الله بالهلاك ؛ رعل وذكوان وعصية عصت الله ورسوله ، فأنزل الله عليه وحيه ، بواسطة الروح الأمين : يا محمد إن الله يقول لك ؛ ما أرسلك سباباً ولا لعاناً ، وإنما بعثك رحمة (٢) ، أي لترحم مثل هؤلاء ، كأنه يقول له : بدل دعائك عليهم ، كنت تدعوني لهم . ثم تلا عليه كلام ربه : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ {الأنبياء : ١٠٧} . أي لترحمهم .

- فإنك إذا دعوتني لهم ؛ ربما وفقتهم لطاعتي ، فترى سرور عينك وقرتها في طاعتهم .
- وإذا لعنتهم ، ودعوت عليهم ، وأوجبت دعاك فيهم ، لم يتمكن أن آخذهم إلا بأن يزيدوا طغياناً وإثماً مبيناً ، وذلك كله إنما كان بدعائك

١- عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ : ﴿ **قَنَتَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ الرُّكُوعِ شَهْرًا ، يَدْعُو عَلَى رِعْلٍ وَذَكْوَانَ ، وَيَقُولُ : عُصَيَّةُ عَصَتْ اللهَ وَرَسُولَهُ** ﴾ . رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والنسائي وأحمد والبيهقي وأبو عوانة وأبو يعلى وابن حبان .

٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قِيلَ : يَا رَسُولَ الله ادْعُ عَلَى المشْرِكِينَ . قَالَ : ﴿ **إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً** ﴾ . رواه مسلم في صحيحه وأبو يعلى والبخاري في الأدب والتبريزي في المشكاة .

عليهم ، فكأنك أمرتهم بالزيادة في الطغيان الذي نؤاخذهم به .

- ولكن زيادة فيما أودعه الله تعالى من الرحمة فيه ، أن قال ﷺ : ﴿ **يَا أُمَّ سُلَيْمٍ أَمَا تَعْلَمِينَ أَنَّ شَرْطِي عَلَى رَبِّي ، أَنِّي اشْتَرَطْتُ عَلَى رَبِّي ، فَقُلْتُ : إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ ، أَرْضَى كَمَا يَرْضَى الْبَشَرُ ، وَأَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ ، فَأَيُّمَا أَحَدٍ دَعَوْتُ عَلَيْهِ مِنْ أُمَّتِي ، بِدَعْوَةٍ لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ ؛ أَنْ يَجْعَلَهَا لَهُ طَهُورًا ، وَزَكَاةً ، وَقُرْبَةً يُقَرِّبُهُ بِهَا مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾ (١) .

ورُوي عنه ﷺ أنه قال : ﴿ **أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي** ﴾ (٢) وقال بعد ذلك :

١- هو جزء من حديث أَنَس بْن مَالِكٍ ﷺ الذي قَالَ فيه : كَانَتْ عِنْدَ أُمِّ سُلَيْمٍ - أم سليم هِيَ أُمُّ أَنَسٍ - يَتِيمَةٌ ، فَرَأَى رَسُولُ الله ﷺ الْيَتِيمَةَ ، فَقَالَ : ﴿ **آنْتِ ، هِيَهْ ، لَقَدْ كَبِرْتِ ، لَا كَبِرَ سِنُّكِ** ﴾ . فَرَجَعَتْ الْيَتِيمَةُ إِلَى أُمِّ سُلَيْمٍ تَبْكِي ، فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْم : مَا لَكِ يَا بُنَيَّةُ ؟ . قَالَتْ الْجَارِيَةُ دَعَا عَلَيَّ نَبِيُّ الله ﷺ أَنْ لَا يَكْبَرَ سِنِّي ، فَالْآنَ لَا يَكْبَرُ سِنِّي أَبَدًا - أَوْ قَالَتْ قَرْنِي - فَخَرَجَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ مُسْتَعْجِلَةً ، تَلُوثُ خِمَارَهَا ، حَتَّى لَقِيَتْ رَسُولَ الله ﷺ ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ الله ﷺ : ﴿ **مَا لَكِ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ** ﴾ ؟ . فَقَالَتْ : يَا نَبِيَّ الله أَدَعَوْتَ عَلَى يَتِيمَتِي ؟ . قَالَ : ﴿ **وَمَا ذَاكِ يَا أُمَّ سُلَيْم** ﴾ ؟ . قَالَتْ : زَعَمَتْ أَنَّكَ دَعَوْتَ أَنْ لَا يَكْبَرَ سِنُّهَا ، وَلَا يَكْبَرَ قَرْنُهَا . فَضَحِكَ رَسُولُ الله ﷺ ثُمَّ قَالَهَا . رواه مسلم في صحيحه وابن حبان في صحيحه .

٢- ذكره العسكري في كتابه " الأمثال " والسرقسطى في كتابه "الدلائل " والسيوطي في كتابه " الجامع الصغير " وابن السمعاني في " أدب الإملاء " وأبو نعيم الأصبهاني في تاريخ أصبهان . ومعنى الحديث صحيح ، ولكن سنده ضعيف ، وإن صححه أبو الفضل بن ناصر .

﴿ اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : صَلَّى رَسُولُ الله ﷺ لَيْلَةً ، فَقَرَأَ بِآيَةٍ حَتَّى أَصْبَحَ ، يَرْكَعُ بِهَا وَيَسْجُدُ بِهَا : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ {المائدة : ١١٨} . فَلَمَّا أَصْبَحَ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ الله مَا زِلْتَ تَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ حَتَّى أَصْبَحْتَ ، تَرْكَعُ بِهَا ، وَتَسْجُدُ بِهَا . قَالَ : ﴿ **إِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ الشَّفَاعَةَ لِأُمَّتِي ، فَأَعْطَانِيهَا ، وَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ لِمَنْ لَا يُشْرِكُ بِالله - عَزَّ وَجَلَّ - شَيْئًا** ﴾ (٢) .

- قال تعالى : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ {الزمر : ٥٣} .

- قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ ﴾ ما خص فيه ذنباً من ذنب .

- كما أنه تعالى في قوله : ﴿ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ لم يخص إسرافاً من إسراف .

١- رواه البيهقي في الشعب وابن عساكر في تاريخه وأبو نعيم في أخبار أصبهان والقاضي عياض في الشفا .

٢- رواه النسائي وابن ماجة وأحمد وابن أبي شيبة والبيهقي والحاكم وصححه وابن خزيمة والخلال في السنة .

- كما أنه تعالى في إرساله ﷺ ، لم يخص قوما دون قوم ، فقال : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ {سبأ : ٢٨} .

- كما أنه تعالى لم يخص في الرحمة المحمدية عالماً من عالم ، فقال : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ {الأنبياء : ١٠٧} .

- ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ {الزمر : ٥٣} . بالألف واللام ، للشمول مع عمارة الدارين . فلابد من شمول الرحمة ! .

ولولا أن الأمور قد عين الله لها آجالاً مسماة ، وأياماً معدودات ، لكان عين الانتقال بالموت ، هو عين الرحمة بهم ، التي تكون لهم بعد استيفاء الحدود ، لتعديهم الحدود ، فتعديهم الحدود هو الذي أقام عليهم في الدار الآخرة الحدود ، كما أقامها على بعضهم في الدار الدنيا .

فما مات أحد من خلق الله إلا كما وُلِدَ مؤمناً (١) ، وإن كان قد قُضي عليه الظهور بالكفر في مدة معينة ، فقد قال تعالى : ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ﴿**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ**﴾ . رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما ومالك وأبو داود والترمذي وأحمد والبيهقي وعبد الرزاق والطبراني وأبو يعلى والحميدي وابن حبان والطيالسي .

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴾ {مريم : ٩٣} . لأنه تعالى قال : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ {الإسراء : ٢٣} .

وما وقع الأخذ إلا بما كان بين الإيمانين ، فإنه تعالى قال : ﴿ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ ﴾ {الأعراف : ١٥٦} .

فالعذاب أوكله تعالى لمشيئته . والرحمة كتبها الله تعالى على نفسه : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ ﴾ {الأنعام : ٥٤} . وشتان بين القولين .

- قال تعالى : ﴿ فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ﴾ {الحديد : ١٣} .

ولهذا ؛ فمن ظهر لله ، بَطُنَ اللهُ له .

لأنه ما ظهر أحد لله ، حتى فارقه .

إذ لو لم يفارقه ، لما ميز نفسه عنه .

فبطن الحق في ظهوره .

فهذا هو السور ، الذي باطنه فيه الرحمة ، وظاهره من قبله العذاب ، والناس لا يشعرون . وهذا القدر من التنبيه ، على ما فيه ، كاف إن شاء الله ﴿ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ﴾ {ق : ٣٧} .

وَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿بُعِثْتُ رَحْمَةً مُهْدَاةً﴾ (١) . وقَالَ ﷺ : ﴿إِنَّ أُمَّتِي أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ﴾ (٢) . وفي رواية : ﴿إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ مَرْحُومَةٌ﴾ (٣) . وكل الخلق – بلا استثناء – أمته ﷺ ، لقوله ﷺ : ﴿آدَمُ فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لِوَائِي﴾ (٤) .

وهذا الحديث عن اللواء – وإن كان قد ورد في معرض الكلام عن القيامة – هو صحيح لكل زمان ومكان ، وهو من قبيل قوله تعالى يوم القيامة : ﴿ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ {غافر : ١٦} .

١- رواه الطبراني والحاكم وصححه وابن أبي شيبة والبيهقي والدارمي والشهاب والرامهرمزي والآجري وابن الأعرابي والبزار (وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح) والتبريزي وابن عساكر عن أبي هريرة ﷺ .

٢- رواه أبو داود وأحمد والحاكم وصححه والطبراني في الكبير والأوسط والصغير والبيهقي في الشعب وأبو يعلى والشهاب والبزار وعبد بن حميد والروياني والتبريزي وابن عساكر عن أبي موسى ﷺ . والطبراني في الأوسط والشهاب عن أنس ﷺ . والطبراني في الكبير والأوسط عن أبي هريرة ﷺ .

٣- رواه أحمد والحاكم وصححه وعبد بن حميد والشهاب والبزار عن أبي موسى ﷺ . ورواه ابن ماجة عن أنس ﷺ . وأبو يعلى عن أبي هريرة ﷺ .

٤- رواه الترمذي وصححه والآجري في الشريعة والتبريزي عن أبي سعيد ﷺ . وأحمد والبيهقي في الدلائل وأبو يعلى واللالكائي عن ابن عباس ﷺ . والحاكم وصححه عن عبادة بن الصامت ﷺ .

فنحن في كل وقت وحين ، بارزون لله ، لا تخفى عليه منا خافية ، وهو الملك أمس واليوم وغدا ، ولكن سيظهر ذلك منه تعالى يوم القيامة ، كما سيظهر مقامه ﷺ يوم القيامة ! .

٨- وأعطاه الله تعالى عموم رسالته ﷺ :

قال تعالى لحبيبه ﷺ : ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ {الفتح : ٢} .

الغفر : الستر .

فستر عن الأنبياء – عليهم السلام – في الدنيا ، كونهم نوابا عن رسول الله ﷺ ، وكُشف لهم عن ذلك في الآخرة ، إذ قال ﷺ : ﴿ **أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾ (١) فيشفع فيهم ﷺ أن يشفعوا ، فإن شفاعته ﷺ ، في كل مشفوع فيه ، بحسب ما يقتضيه حاله ، من وجوه الشفاعة :

- فبَشَّرَ النبيين – عامة – بالمغفرة الخاصة .
- وبشر محمداً ﷺ – خاصة – بالمغفرة العامة .

١- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والترمذي وأحمد وابن أبي شيبة والنسائي في السنن الكبرى والبيهقي في الدلائل وفي الأسماء والصفات وأبو عوانة وابن حبان وعبد الله بن المبارك وابن بشران في أماليه وابن منده وابن خزيمة وهناد في الزهد وابن أبي عاصم في السنة عن أبي هريرة ﷺ . وأحمد والبيهقي في الدلائل والشعب والدارمي وابن منده والآجري في الشريعة والخرائطي في مكارم الأخلاق عن أنس ﷺ . والحاكم وصححه عن عبادة بن الصامت ﷺ . والحاكم والطبراني والحارث والخرائطي في مكارم الأخلاق عن حذيفة بن اليمان ﷺ .

وقد ثبتت عصمته ﷺ ، فليس له ذنب يُغفر ، فلم يبق معنى لإضافة الذنب إليه ؛ إلا أن يكون هو المخاطب ، والقصد أمته :

- كما قيل : **إياك أعني فاسمعي ياجاره** .
- وكما قيل له : ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ﴾ {يونس : ٩٤} . ومعلوم أنه ليس في شك ، فالمقصود من هو في شك من الأمة .
- وكذلك قوله تعالى له : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ {الزمر : ٦٥} . وقد علم أنه لن يشرك ، فالمقصود من أشرك ، فهذه صفته .
- فكذلك قيل له : ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ {الفتح : ٢} . وهو ﷺ معصوم من الذنوب . فهو ﷺ المخاطب بالمغفرة ، والمقصود ما تقدم من آدم إلى زمانه ، وما تأخر من الأمة من زمانه إلى يوم القيامة . فإن الكل أمته .

فإنه ما من أمة إلا وهي تحت شرع من الله ، وقد قررنا في مواضع عدة من هذا الكتاب أن ذلك هو شرع سيدنا محمد ﷺ من قبيل اسمه الباطن ،

حيث كان نبيا قبل خلق آدم عليه السلام : ﴿ **إِنِّي عَبْدُ اللهِ ، وَخَاتَمُ النبيين ، وَإِنَّ آدَمَ عليه السلام لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ** ﴾ (١) . وهو ﷺ سيد النبيين والمرسلين ، فإنه ﷺ سيد الناس ، والنبيون والمرسلون هم من الناس ، وقد تقدم تقرير هذا كله ، فبشر الله سيدنا محمداً ﷺ ، بقوله : ﴿ **لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ** ﴾ {الفتح : ٢} . بعموم رسالته إلى الناس كافة ، وكذلك قال : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ {سبأ : ٢٨} . وما يلزم الناس رؤية شخصه ، ولا علموا بأنه هو هو ، لذا فقد ذيَّل تعالى الآية بقوله : ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ {سبأ : ٢٨} .

فكما وجه النبي ﷺ في زمان ظهور جسمه ، رسلاً منه كعلي كرم الله وجهه ، ومعاذ رضي الله عنه إلى اليمن لتبليغ الدعوة ، كذلك وجه الرسل والأنبياء إلى أممهم من حين كان نبياً وآدم منجدل في طينته ، فهو ﷺ كما قال الله تعالى فيه : ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾ {الأحزاب : ٤٦} . فهو ﷺ الداعي ، الذي دعا الكل إلى الله فالناس أمته من زمن آدم عليه السلام إلى يوم القيامة .

١- رواه أحمد والحاكم وصححه وابن حبان في صحيحه والطبراني في الكبير وفي مسند الشاميين والبيهقي في الدلائل والشعب وابن جرير وابن بشران في أماليه عن العرباض بن سارية رضي الله عنه .

فبشر الله تعالى نبيه ﷺ بالمغفرة ، لما تقدم من ذنوب الناس ، وما تأخر منهم .

فكان هو ﷺ المخاطَب ، والمقصود الناس . فيغفر الله تعالى للكل ، ويسعدهم ، وهو اللائق بعموم رحمته التي وسعت كل شيء ، وبعموم مرتبة سيدنا محمد ﷺ ، حيث بُعث إلى الناس كافة بالنص ، ولم يقل أرسلناك إلى هذه الأمة خاصة ، ولا أهل هذا الزمان إلى يوم القيامة خاصة ، وإنما أخبره أنه مُرسل إلى الناس كافة ، والناس من آدم إلى يوم القيامة ، فهم المقصودون بخطاب مغفرة الله لما تقدم من ذنب وما تأخر : ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ {الجمعة : ٤} .

٩- وأعطاه الله تعالى الوسيلة والمقام المحمود :

قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ {الإسراء : ٧٩} .

قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : **﴿مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ : اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ ؛ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ ؛ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾** (١) .

الوسيلة : هي منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لواحد (٢) ، فعندما تطلبها له ﷺ ، فإنك تطلبها لنفسك ، لأنه ﷺ أخبر أنك إذا دعوت لأخيك بشيء ، أَمَّنَت الملائكة ، وقالت : **﴿وَلَكَ بِمِثْلٍ﴾** (٣) .

١- رواه البخاري في صحيحه وأبو داود والترمذي وابن ماجة والنسائي وأحمد وابن أبي شيبة عن جابر بن عبد الله ﷺ .

٢- حديث : **﴿سَلُوا اللهَ لِي الْوَسِيلَةَ ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الجَنَّةِ ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ﴾** . رواه مسلم في صحيحه والنسائي والبيهقي في السنن وابن خزيمة وأبو عوانة وعبد بن حميد والطبراني والبزار عن ابن عمرو ﷺ . والترمذي عن أبي هريرة ﷺ .

٣- حديث : **﴿مَنْ دَعَا لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ ؛ قَالَ الْمَلَكُ الموَكَّلُ بِهِ : آمِينَ ، وَلَكَ بِمِثْلٍ﴾** . رواه مسلم في صحيحه وأبو داود وابن ماجة وأحمد وابن أبي شيبة والبيهقي في السنن والشعب والطبراني في الكبير وعبد بن حميد والبخاري في الأدب عن أُمُّ الدَّرْدَاءِ عن زوجها ﷺ .

أما المقام المحمود : فقد وردت له عدة تعريفات ، نذكر منها :

- ورد أن المقام المحمود ؛ هو المقام الذي يحمده عليه أهل الجمع كلهم (١) .
- وورد أن المقام المحمود ؛ هو المقام الذي تترتب عليه الشفاعة . فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ : ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ {الإسراء : ٧٩} . قَالَ : ﴿ **هُوَ المقَامُ الَّذِي أَشْفَعُ لِأُمَّتِي فِيهِ** ﴾ (٢) . وعن ابن عباس ﷺ في معنى هذه الآية قال : ﴿ **يجلسه بينه وبين جبريل** عليه السلام ، **ويشفع لأمته . فذلك المقام المحمود** ﴾ (٣) . فالمقام المحمود هو الذي أداه إلى الشفاعة ، ولكنه ليس هو عين الشفاعة ، فالشفاعة هي أحد توابع المقام المحمود .
- وورد عن مجاهد ﷺ في قوله : ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ {الإسراء : ٧٩} . قال : ﴿ **يُجْلِسُهُ مَعَهُ عَلَى عَرْشِهِ** ﴾ (٤) . وهو حديث

١- عن ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ﴿ **...اسْتَغَاثُوا بِآدَمَ ثُمَّ بِمُوسَى ثُمَّ بِمُحَمَّدٍ ﷺ ، فَيَشْفَعُ لِيُقْضَى بَيْنَ الخلْقِ ، فَيَمْشِي حَتَّى يَأْخُذَ بِحَلْقَةِ الْبَابِ ، فَيَوْمَئِذٍ يَبْعَثُهُ اللهُ مَقَامًا مَحْمُودًا ، يَحْمَدُهُ أَهْلُ الجمْعِ كُلُّهُمْ** ﴾ .
رواه البخاري في صحيحه والطبراني في الكبير وابن منده في الإيمان وابن خزيمة في التوحيد .

٢- رواه أحمد وابن خزيمة في التوحيد والطحاوي وابن المبارك والآجري واللالكائي وتمام عن أبي هريرة ﷺ .

٣- أخرجه الطبراني .

٤- رواه ابن جرير الطبري في تفسيره وأبو بكر الخلال في السنة وابن أبي شيبة وأورده ابن حجر في الفتح . وفي ذيل تاريخ بغداد ورد هذا الحديث ولكن رواية عن ابن عباس ﷺ .

موقوف . وورد مرفوعا من رواية ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال في هذه الآية : ﴿ **يُجْلِسُنِي مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ** ﴾ (١) .

- وقيل أن المقام المحمود ؛ هو المقام الذي يقوم فيه أحمد الحامدين ﷺ ، بين يدي الله تعالى ، بالحمد والثناء عليه جل وعلا ، بما لم يثن عليه أحد قبله ولا بعده ، وهذا هو المعتبر عندنا ، فعن النبي ﷺ أنه قال : ﴿ **... فَأَقُولُ أَنَا لَهَا ، فَأَنْطَلِقُ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي ، فَيُؤْذَنُ لِي ، فَأَقُومُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ ، لَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ الْآنَ ، يُلْهِمُنِيهِ اللهُ** ﴾ . وفي رواية : ﴿ **وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا ، لَا تَحْضُرُنِي الْآنَ** ﴾ . وفي رواية : ﴿ **فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ ، لَمْ يَحْمَدْهُ بِهَا أَحَدٌ كَانَ قَبْلِي ، وَلَيْسَ يَحْمَدُهُ بِهَا أَحَدٌ بَعْدِي** ﴾ (٢) .

فلا يجمع المحامد كلها ، يوم القيامة ، إلا سيدنا محمد ﷺ . فهذا الذي عُبِّر عنه بالمقام المحمود .

تنبيه : كلامك محصور ، فإنك محاط بك ، فإذا أثنيت ؛ فقد قيدت بثنائك من أثنيت عليه ، وحصرته ، وهو تعالى له الإطلاق ، فأطلقه من ثنائك ، مع بقاء الثناء عليه ، لابد من ذلك ، وقل كما قال رسول الله ﷺ :

١- رواه الديلمي في مسند الفردوس .

٢- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وأحمد وابن منده في الإيمان والبيهقي في الاعتقاد وابن خزيمة في التوحيد وابن أبي عاصم في السنة والمروزي في تعظيم قدر الصلاة عن أنس بن مالك ﷺ . وأحمد وابن شاهين واللالكائي عن ابن عباس ﷺ .

﴿لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ﴾ : بعد بذل المجهود .

﴿أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ﴾ (١) . وهو معنى قوله ﷺ في الحديث السابق : ﴿فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ ، لَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ الْآنَ ، يُلْهِمُنِيهِ اللهُ﴾ . وهذه المحامد يعطيها الموطن في وقتها . وكما أن كلمات الله لا تنفد ، فالثناء عليه ، منه ، لا يقف عند نهاية .

فهو تعالى المثني على نفسه ، فهو الحامد والمحمود .

قال رسول الله ﷺ : ﴿فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ ، لَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ الْآنَ ، يُلْهِمُنِيهِ اللهُ﴾(٢) . فهو ﷺ يحمده تعالى بما منه تعالى إليه ، لا يحمده من تلقاء نفسه ﷺ : ﴿أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ﴾ فما حمد الله تعالى إلا الله ، وما أثنى عليه إلا نفسه ، وما سبحه غيره .

- ما في الوجود إلا الله .
- فإن الموجودات كلمات الله .
- إذا أثنى المُثني على الله ، فإنه ينزه ربه .

١- رواه مالك في الموطأ ومسلم في صحيحه وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وأحمد وابن أبي شيبة والبيهقي وعبد الرزاق والطبراني وأبو عوانة والدارقطني عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها . وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وأحمد وابن أبي شيبة والبيهقي والحاكم وصححه والطبراني وأبو يعلى عن الإمام علي كرم الله وجهه .

٢- سبق تخريجه .

- ولا ينزهه الإ عما هو صفة للمحدث .
- والمحدث ليس له من نفسه شيء ، ولا عينه له .
- وإنما هي لمن أظهرها ، وهو الحق .
- فإذا نزهته ؛ فتحقق عن أي شيء تنزهه ، إذ ما ثم إلا هو ! .
- فإن نفس الرحمن هو جوهر الكائنات .
- ولهذا فقد وصف الحق نفسه بما هو من صفات المحدثات ، مما تحيله الأدلة النظرية العقلية .
- احذر أن تسبحه بعقلك .
- واجعل تسبيحه منك بالقرآن ، الذي هو كلامه ، فتكون حاكياً عنه ، لا مخترعاً ، ولا مبتدعاً .
- فإن كان هناك ما يقدح ، كنت أنت بريء الساحة من ذلك .
- إذ ما سبحته إلا بكلامه ، وهو أعلم بنفسه منك .
- وهو يحمد ذاته بأتم المحامد ، وأعظم الثناء ، كما قال ﷺ : ﴿**أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**﴾ .
- وقد أثنى تعالى على نفسه ، بما يقول فيه دليل العقل ، أنه لا يجوز عليه ذلك ، وينزهه عنه .
- وهذا غاية الذم ، أن تكذب الحق فيما نسبه إلى نفسه ، أو تظن بأنك أعرف به ، منه .

- فاحذر أن تنزهه عن أمر ثبت في الشرع أنه وَصْفٌ له ، كان ما كان .
- ولا تسبحه تسبيحة واحدة بعقلك . فإن الأدلة العقلية كثيرة التنافر للأدلة الشرعية في الإلهيات .
- فسبح ربك ، بكلام ربك ، وبتسبيحه نفسه ، لا بعقلك الذي أستفاده من فكره ونظره ، فإنه ما استفاد – أكثر ما استفاد – إلا الجهل .
- فتحفَّظ مما ذُكر لك ، فإنه داء عضال ، قليل فيه الشفاء .
- فذِمَّ بِذَمِّ الله ، وامدح بمدح الله ، وارحم برحمة الله ، والعن بلعنة الله ، تفز بالعلم ، وتملأ يديك من الخير .
- التسبيح ثناء سلبي بمعنى أنه تنزيه لله تعالى . والتنزيه تقييد . لذا فقد طلب الله تعالى منك ألا تسبحه إلا بما سبح به نفسه ، لذا فقد قُرِنَ التسبيح في الكتاب بحمده تعالى (١) .

١- اقترن التسبيح بالحمد له تعالى في مواطن كثيرة ، كقوله تعالى : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ {الحجر : ٩٨ ، النصر : ٣} . وقوله : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ {طه : ١٣٠ ، ق : ٣٩ ، الطور : ٤٨ ، غافر : ٥٥} . وقوله : ﴿ وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ { السجدة : ١٥} . وقوله : ﴿ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ {الزمر: ٧٥ ، غافر : ٧ ، الشورى : ٥} . وقوله : ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ ﴾ {الرعد : ١٣} . وقوله : ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾ { الإسراء : ٤٤} . وقوله : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ﴾ { الفرقان : ٥٨} .

- التسبيح من كل موجود في العالم : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴾ {الإسراء : ٤٤} .
- العارفون به ، وجدوه تعالى قد قيد تسبيح كل شيء (بحمده) المضاف إليه ، فسبحوه بما أثنى به على نفسه ، فما استنبطوا شيئاً .
- بخلاف الناظرين بعقولهم في الإلهيات ، ولهذا قال تعالى لهم : ﴿ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۗ ﴾ لأنهم نسوا (بحمده) ، حجتهم عن ذلك أدلة عقولهم ، إذ ستر الله عنها ذلك بستر أفكارهم ، فلم يؤاخذهم على ذلك بقوله : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴾ فعفا عنهم فيما توقفوا فيه ، أو أحالوه مما أثبته الحق لنفسه :

- **من استواء :** كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ {البقرة : ٢٩ ، فصلت : ١١} . وقوله : ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾ {الأعراف : ٥٤ ، يونس : ٣ ، الرعد : ٢ ،الفرقان : ٥٩ ، السجدة : ٤ ، الحديد : ٤} . وقوله : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ {طه : ٥} .

- **ومَعِيَّة** : كقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ {الحديد : ٤} . وقوله : ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ {التوبة : ٤٠} .

- **وظرفية** : كقوله تعالى : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ {ق : ١٦} . وقوله : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾ {الواقعة : ٨٥} .

- **ويد** : كقوله تعالى : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ {المائدة : ٦٤} . وقوله : ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ {الفتح : ١٠} .

- **وساق** : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ {القلم : ٤٢} .

- **وعين** : ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ {هود : ٣٧} . وقوله : ﴿ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ {المؤمنون : ٢٧} . وقوله : ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ {الطور : ٤٨} . وقوله : ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ {القمر : ١٤} .

- **والإتيان والمجيء** : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ {الأنعام : ١٥٨} . وقوله : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ {الفجر : ٢٢} .

- وغير ذلك مما لا يُحصى كثرةً ، مما نطقت به كتبه ورسله .

- قول رسول الله ﷺ : ﴿ **فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ ، لَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ الْآنَ ، يُلْهِمُنِيهِ اللهُ** ﴾ (١) . هو من قبيل أمره تعالى لنبيه : ﴿ **وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا** ﴾ {طه : ١١٤} . وذلك لأن الشكر يقتضي المزيد ، والمراد بهذه الزيادة من العلم المتعلق بالإله ، ليزيد معرفة بتوحيد الكثرة ، فتزيد رغبته في تحميده ، فيزاد فضلاً على تحميده ، دون انتهاء ولا انقطاع ، فطلب منه الزيادة ؛ وقد حصل من العلوم والأسرار ما لم يبلغه أحد .

- المقام المحمود هو المقام الذي يرجع إليه عواقب المقامات كلها ، وإليه تنظر جميع الأسماء الإلهية المختصة بالمقامات ، وهو لرسول الله ﷺ ، ويظهر ذلك جليا لعموم الخلق يوم القيامة ، وبهذا صحت له ﷺ السيادة على جميع الخلق يوم العرض ، ومن هنا قال ﷺ : ﴿ **أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾ (٢) .

١- سبق تخريجه .

٢- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والترمذي وأحمد وابن أبي شيبة والنسائي في السنن الكبرى والبيهقي في الدلائل وفي الأسماء والصفات وأبو عوانة وابن حبان وعبد الله بن المبارك وابن بشران في أماليه وابن منده وابن خزيمة وهناد في الزهد وابن أبي عاصم في السنة عن أبي هريرة ﷺ . وأحمد والبيهقي في الدلائل والشعب والدارمي وابن منده والآجري في الشريعة والخرائطي في مكارم الأخلاق عن أنس ﷺ . والحاكم وصححه عن عبادة بن الصامت ﷺ . والحاكم والطبراني والحارث والخرائطي في مكارم الأخلاق عن حذيفة بن اليمان ﷺ .

وكان قد أقيم آدم عليه السلام في هذا المنزل لما سجدت له الملائكة ، فإن ذلك المقام اقتضى له ذلك في الدنيا ، ولنبينا ﷺ في الآخرة ، وهو كمال الحضرة الإلهية ، وإنما ظهر به أولاً أبو البشر ، لكونه عليه السلام كان يتضمن جسده بشرية سيدنا محمد ﷺ ، وهو الأب الأعظم في الجسمية ، والمقرب عند الله ، وأول هذه النشأة الترابية الإنسانية ، فظهرت فيه المقامات كلها ، حتى المخالفة ، إذ كان جامعاً للقبضتين ، قبضة الوفاق ، وقبضة الخلاف ، فما تحرك من آدم لمخالفة النهي إلا النسمة المجبولة على المخالفة ، فكانت مخالفته نهي الله ، من تحريك تلك النسمة ، التي كان يحملها في ظهره ، فإن المقام يقتضي له ذلك . فما عصى من آدم عليه السلام إلا ما كان من أولاده المخالفين في ظهره ، وما سُجِدَ لآدم إلا لظهور نور سيدنا محمد ﷺ فيه ، فكان السجود لسيدنا محمد ﷺ في مظهر آدم عليه السلام . وكانت العاقبة لسيدنا محمد ﷺ في الدار الآخرة ، فظهر في المقام المحمود .

١٠- وأعطاه تعالى الشفاعة :

قال ﷺ : ﴿أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ﴾ (١) . وقال : ﴿آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ تَحْتَ لِوَائِي﴾ (٢) . وقال : ﴿كُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ﴾ (٣) .

فهو ﷺ الراعي الأعظم ، المسؤول عن الخلق كلهم ، من بدء الخليقة لانتهائها . فكما شفع في الخلق في الابتداء ، ليخرجوا من العدم ، فسيشفع فيهم يوم القيامة :

١- رواه مسلم وأبو داود وأحمد وابن أبي شيبة عن أبي هريرة ﷺ . والترمذي وصححه وأحمد وابن ماجة وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري ﷺ . والطبراني في الأوسط وأبو يعلى عن أنس بن مالك ﷺ . وأحمد والطيالسي وأبو يعلى عن ابن عباس ﷺ . وابن حبان عن واثلة بن الأسقع ﷺ . وابن حبان والحاكم وصححه والطبراني في الكبير عن ابن مسعود ﷺ . وأبو يعلى عن عبد الله بن سلام ﷺ . والحاكم وصححه والطبراني في الكبير عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها . والطبراني في الأوسط عن جابر بن عبد الله ﷺ .

٢- بهذا اللفظ رواه أحمد وأبو يعلى والبيهقي في الشعب وابن عساكر عن ابن عباس ﷺ . والمروزي في تعظيم قدر الصلاة عن أنس بن مالك ﷺ .

٣- رواه مالك في الموطأ والبخاري ومسلم في صحيحيهما وأبو داود والترمذي وصححه وأحمد وابن حبان والطبراني في الأوسط وعبد الرزاق عن ابن عمر ﷺ . والبخاري في صحيحه وأبو يعلى عن عبد الله بن مسعود ﷺ . والطبراني في الأوسط عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها . والطبراني في الأوسط والصغير عن أنس ﷺ . والطبراني في الأوسط عن أبي موسى ﷺ .

- فسيشفع في الشافعين (١) أن يشفعوا .
- وسيشفع في الطائعين من الصديقين والشهداء - حتى الأنبياء منهم - أن يعلي درجاتهم في الجنان (٢) .
- وسيشفع في العاصين أن : يعفو الله عنهم ، ويدخلهم الجنة .
- بل وسيشفع في أهل الكبائر (٣) أن : يخفف الله عنهم العذاب ، ويعجِّل بانتقالهم للجنان .

١- قال تعالى في آية الكرسي : ﴿**مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ**﴾ {البقرة : ٢٥٥} . ﴿**مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ**﴾ {يونس : ٣} . فشرط الشفاعة هو الإذن ، انظر الحديث في الصفحة التالية .

٢- روى ابن عساكر في تاريخه والحاكم في تاريخه عن أبي بن كعب ﷺ أنه قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿**والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَيَرْغَبُ فِي شَفَاعَتِي**﴾ وبديهي أن إبراهيم عليه السلام نبي ومعصوم ، ولكن شفاعته ﷺ فيه ، هي لإعلاء درجته عنده تعالى ، وللإذن له أن يشفع في غيره .

٣- روى أبو داود والترمذي وصححه وأحمد وابن حبان والحاكم وصححه والطبراني في الكبير والأوسط والصغير وأبو يعلى والبيهقي في الشعب والسنن عن أنس بن مالك ﷺ . والطبراني في الكبير والأوسط عن ابن عباس ﷺ . والترمذي وحسنه وابن حبان والحاكم وصححه والطيالسي عن جابر بن عبد الله ﷺ . قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿**شَفَاعَتِي يَومَ القِيَامَةِ لأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**﴾ . وروى الطبراني وأبو يعلى عن ابن عمر ﷺ قال : كنا نمسك عن الاستغفار لأهل الكبائر ، حتى سمعنا نبينا ﷺ يقول : ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ** ﴾ {النساء : ٤٨ ، ١١٦} : قال رسول الله ﷺ : ﴿**إِنِّي ادَّخَرْتُ شَفَاعَتِي لأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ . فأمسكنا عن كثير مما كان في أنفسنا ، ورجونا لهم .

- بل ورد أنه – ببركته ﷺ – يُخفف العذاب عن أبي لهب ، في مثل يوم الاثنين ، لإعتاقه ثويبة ، جاريته ، حين بشرته بميلاد النبي ﷺ سرورا بذلك (١) .

- بل وستعم شفاعته ﷺ بعث النار ، كما ورد في الحديث أنه قال رسول الله ﷺ : ﴿ والذي نفسي بيده ! إني لسيد الناس يوم القيامة ، ولا فخر ، وإن بيدي لواء الحمد ، وإن تحته آدم ومن دونه ، ولا فخر ، ينادي الله – يومئذ – آدم فيقول : يا آدم ! فيقول : لبيك رب وسعديك ! فيقول : أَخْرِجْ من ذريتك **بعث النار** . فيقول : يا رب ! **وما بعث النار** ؟ فيقول : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين ، فيخرج ما لا يعلم عدده إلا الله ، فيأتون آدم ، فيقولون : يا آدم ! أنت أكرمك الله ، وخلقك بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأسكنك جنته ، وأمر الملائكة ، فسجدوا لك ، **فاشفع لذريتك أن لا تحرق اليوم بالنار** ، فيقول آدم : ليس ذلك إلي اليوم ، ولكن سأرشدكم ، عليكم بنوح ! فيأتون نوحا

١- أورده الحافظ ابن ناصر الدين في كتابه المسمى بورد الصادي في مولد الهادي ثم أنشد :

إذا كان هذا كافرا جاء ذمه ... وتبت يداه في الجحيم مخلدا
أتى أنه في يوم الإثنين دائما ... يخفف عنه للسرور بأحمدا
فما الظن بالعبد الذي كان عمره ... بأحمد مسرورا ومات موحدا

فيقولون : يا نوح ! اشفع لذرية آدم ، فيقول : ليس ذلك إلي اليوم ، ولكن عليكم بعبد اصطفاه الله بكلامه ورسالته ، وصُنِعَ على عينه ، وألقى عليه محبة منه ، موسى ، وأنا معكم . فيأتون موسى ، فيقولون : يا موسى ! أنت عبد اصطفاك الله برسالته وبكلامه ، وصنعت على عينه ، وألقى عليك محبة منه ، **اشفع لذرية آدم لا تحرق اليوم بالنار !** فيقول : ليس ذلك إلي اليوم ، عليكم بروح الله وكلمته ؛ عيسى ! فيأتون عيسى ، فيقولون : يا عيسى أنت روح الله وكلمته ، **اشفع لذرية آدم لا تحرق اليوم بالنار** ، فيقول : ليس ذلك إلي اليوم ، ولكن سأرشدكم ، عليكم بعبد جعله الله رحمة للعالمين ، أحمد ، وأنا معكم . فيأتون أحمد ، فيقولون : يا أحمد جعلك الله رحمة للعالمين ، **اشفع لذرية آدم لا تحرق اليوم بالنار** ، فأقول : نعم ، أنا صاحبها : فآتي حتى آخذ بحلقة باب الجنة ، فيقال : من هذا ؟ أحمد ! فيفتح لي . فإذا نظرت إلى الجبار ، لا إله إلا هو ، خررت ساجدا ، ثم يفتح لي من التحميد والثناء على الرب ، شيئا ، لا يفتح لأحد من الخلق ، ثم يقال : ارفع رأسك ، سل تعطه ، واشفع تشفع ، فأقول : يا رب ! **ذرية آدم لا تحرق اليوم بالنار** ! فيقول الرب جل جلاله : اذهبوا ، فمن وجدتم في قلبه مثقال

قدر قيراط من إيمان فأخرجوه ! ثم يعودون إلي فيقولون : **ذرية آدم لا يحرقون اليوم بالنار !** . فآتي حتى آخذ بحلقة الجنة ، فيقال : من هذا ؟ فأقول : أحمد ! فيفتح لي ، فإذا نظرت الجبار ، لا إله إلا هو ، خررت ساجدا ، مثل سجودي أول مرة ، ومثله معه ، فيفتح لي من الثناء على الرب والتحميد ، مثل ما فتح لي أول مرة ، فيقال : ارفع رأسك ، سل تعطه ، واشفع تشفع ، فأقول : يا رب : **ذرية آدم لا تحرق اليوم بالنار !** فيقول الرب : اذهبوا ، من وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه ! . ثم آتي حتى أصنع مثل ما صنعت أول مرة ، فإذا نظرت إلى الجبار عز جلاله ، خررت ساجدا ، فأسجد كسجودي أول مرة ، ومثله معه ، فيفتح لي من الثناء والتحميد مثل ذلك ، ثم يقال : ارفع رأسك ، وسل تعطه ، واشفع تشفع ، فأقول : يا رب ! **ذرية آدم لا تحرق اليوم بالنار !** فيقول الرب : اذهبوا ، فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه ، فيخرجون ما لا يعلم عدده إلا الله ، ويبقى أكثر . ثم يُؤذن لآدم في الشفاعة ، فيشفع لعشرة آلاف ألف ، ثم يؤذن للملائكة والنبيين فيشفعون ، ثم يؤذن للمؤمنين فيشفعون ، وإن المؤمن يشفع يومئذ لأكثر من ربيعة ومضر﴾ (١) .

١- هذا الحديث بطوله رواه ابن عساكر في تاريخه بسنده ، والآجري في كتاب الشريعة بسنده عن أنس ﷺ .

كل هذا وردت به الأخبار الصحيحة ، وهذا ظننا في الله ، ولا موجب عليه تعالى إلا نفسه :

- فهو تعالى قد أوجب على نفسه أن لا يُخزي نبيه ﷺ ، في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ ﴾ {التَّحريم : ٨} .
- وهو تعالى أوجب على نفسه أن يُرضي نبيه ﷺ ، في قوله تعالى : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ {الضُّحى : ٥} .
- وهو ﷺ كل الخلق تحت لواءه من آدم عليه السلام فما دونه . وهو ﷺ لا يرضى وتحت لواءه من يُعذب ! . وكيف يرضى بذلك وقد قال الله تعالى فيه : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ {الأنبياء : ١٠٧} ! .

انظر في الحديث السابق ؛ ففي كل مرة تكون الشفاعة مرتهنة بالثناء والمحامد التي يفتح الله تعالى بها على نبيه ﷺ ، فمقام الحمد والثناء هو المقام المحمود الذي عنه تنتج الشفاعة ، وذلك لأنه تعالى يحب الحمد والثناء ، كما ورد : عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : **﴿لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ المَدْحُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ﴾** (١) .

١- رواه مسلم في صحيحه والطبراني في الكبير والدارمي وأبو يعلى وابن حبان .

عَنْ الْأَسْوَدِ بْنِ سَرِيعٍ ﷺ قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ الله أَلَا أُنْشِدُكَ مَحَامِدَ حَمِدْتُ بِهَا رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى ؟ . قَالَ : ﴿ **أَمَا إِنَّ رَبَّكَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ الحَمْدَ** ﴾ (١) .

ولابدّ لكل شافع أن يُثني على المشفوع عنده ، بما يليق بالشفاعة ، وأي ثناء أعظم من الثناء عليه تعالى بما يثنيه هو على نفسه ، إلهاماً على لسان سيد الخلق ﷺ . فإن الثناء على المشفوع عنده ؛ إنما يكون بحسب جنايات المشفوع فيهم ، فيقدّم بين يدي شفاعته ، من الثناء على الله ، بحسب ما ينبغي له لذلك الموطن ، وموطن القيامة ما شوهد الآن ، ولا وقع ، فلهذا أعلن ﷺ أن هذه المحامد لا يعلمها الآن ، أو لا يقدر عليها الآن .

يقوم رسول الله ﷺ مقام الشفيع ، في يوم اشتدّت الحاجة فيه ، مع ما ذُكر من الغضب الإلهيّ ، الذي تجلى فيه الحق في ذلك اليوم ، فدل ذلك على عظيم قدره ﷺ .

حيث أقدم – مع هذه الصفة الغضبية الإلهية – على مناجاة الحق فيما سأل فيه ، فأجابه الحق سبحانه وتعالى إلى مطلبه . كما ورد في الحديث المروي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : أُتِيَ رَسُولُ الله ﷺ يَوْمًا بِلَحْمٍ ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ

١- رواه أحمد والنسائي في السنن الكبرى وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني والبخاري في الأدب المفرد والحاكم وصححه والطبراني في الكبير وأبو نعيم في المعرفة والمحاملي في أماليه وابن قانع في معجم الصحابة .

الذِّرَاعُ ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ ، فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً ، فَقَالَ : ﴿أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . وَهَلْ تَدْرُونَ بِمَ ذَاكَ ؟ . يَجْمَعُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، فَيُسْمِعُهُمْ الدَّاعِي ، وَيَنْفُذُهُمْ الْبَصَرُ ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنْ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ ، وَمَا لَا يَحْتَمِلُونَ ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ : أَلَا تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ ؟ . أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ ؟ . أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ ؟ . فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ : ائْتُوا آدَمَ . فَيَأْتُونَ آدَمَ ، فَيَقُولُونَ : يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ ، وَأَمَرَ الملَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ . اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ . أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا ؟ . فَيَقُولُ آدَمُ : **إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا ، لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ** . وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنْ الشَّجَرَةِ ، فَعَصَيْتُهُ . نَفْسِي نَفْسِي . اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي . اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ .

فَيَأْتُونَ نُوحًا ، فَيَقُولُونَ : يَا نُوحُ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى الْأَرْضِ ، وَسَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ . أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا ؟ . فَيَقُولُ لَهُمْ : **إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا ، لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ** . وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ ، دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي . نَفْسِي نَفْسِي . اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ .

فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ ، فَيَقُولُونَ : أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ . أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا ؟ . فَيَقُولُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ : **إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا ، لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ** . وَذَكَرَ كَذَبَاتِهِ . نَفْسِي نَفْسِي . اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي . اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى . فَيَأْتُونَ مُوسَى ، فَيَقُولُونَ : يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللهِ ، فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَاتِهِ وَبِتَكْلِيمِهِ عَلَى النَّاسِ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ . أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا ؟ . فَيَقُولُ لَهُمْ مُوسَى : **إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا ، لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ** . وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا . نَفْسِي نَفْسِي . اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى .

فَيَأْتُونَ عِيسَى ، فَيَقُولُونَ : يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللهِ ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ ، وَكَلِمَةٌ مِنْهُ ، أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ ، وَرُوحٌ مِنْهُ . فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ . أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا ؟ . فَيَقُولُ لَهُمْ عِيسَى : **إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا ، لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ** . وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ ذَنْبًا . نَفْسِي نَفْسِي . اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي ، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ .

فَيَأْتُونِّي ، فَيَقُولُونَ : يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ ، وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَغَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ . اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ . أَلَا

تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا ؟ . فَأَنْطَلِقُ ، فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ ، وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ ، شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي . ثُمَّ يُقَالُ : يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ . سَلْ ، تُعْطَهْ . اشْفَعْ ، تُشَفَّعْ . فَأَرْفَعُ رَأْسِي ، فَأَقُولُ : يَا رَبِّ أُمَّتِي ، أُمَّتِي﴾ (١) .

أمة سيدنا محمد ﷺ لو خلدت في النار ، لعاد العار والقدح في منصب النبي ﷺ ، وما له عند ربه من الجاه والكرامة ، ووعد ربه له ﷺ بأن لا يخزيه أبدا ، ولهذا يقول أهل النار : ﴿وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ﴾ {ص : ٦٢} . وهو من دخل النار من أمة سيدنا محمد ﷺ التي بُعث إليها في مشارق الأرض ومغاربها ، وهذا هو ما يليق بمكانته ﷺ في الآخرة ، وهو الخروج من النار ، فلا يبقى في النار موحد ، ممن بُعث إليه رسول الله ﷺ ، والله تعالى قال : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ {سبأ : ٢٨} . وعلى هذا فإنه لا أحد ممن بُعث ﷺ إليه يبقى شقياً ، ولو بقي في النار ، فإنها ترجع عليه برداً وسلاما ، وذلك من بركته ﷺ ، ورحمته بالعالمين ، في قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ {الأنبياء : ١٠٧} .

١- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والترمذي وأحمد وابن أبي شيبة والبيهقي وأبو عوانة وابن حبان وابن بشران في أماليه وابن منده وابن أبي عاصم في السنة عن أبي هريرة رضي الله عنه .

فجميع الخلق — من بدايته إلى نهايته — ينطلق عليه اسم (أمة سيدنا محمد ﷺ) ، وهو الذي قال : ﴿ **وَأَنَا الحاشِرُ ، الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي** ﴾ (١) :

– فالمؤمنون به منهم ، يُحشرون معه .

– وغير المؤمنين به ، يُحشرون إليه .

وقد أُعلم أنه ما أُرسل إلا رحمة للعالمين ، ولم يُقل للمؤمنين خاصة ، وقد ورد في الحديث أنه بَيْنَمَا رَسُولُ الله ﷺ يَدْعُو عَلَى مُضَرَ ، إِذْ جَاءَهُ جَبْرَائِيلُ عليه السلام ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ أَنْ اُسْكُنْ ، فَسَكَتَ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْك سَبَّابًا وَلَا لَعَّانًا ، وَإِنَّمَا بَعَثَك رَحْمَةً ﴿ **لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ** ﴾ {آل عمران : ١٢٨} (٢) .

أي لا تطرد عن رحمتي من بعثتك إليه ، وإن كان كافراً ، وإنما بعثتك رحمة ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ {الأنبياء : ١٠٧} .

١– هذا جزء من الحديث الذي قَالَ فيه النَّبِيُّ ﷺ : ﴿ **لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ : أَنَا مُحَمَّدٌ . وَأَنَا أَحْمَدُ . وَأَنَا الماحِي ، الَّذِي يَمْحُو اللهُ بِيَ الْكُفْرَ . وَأَنَا الحاشِرُ ، الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي . وَأَنَا الْعَاقِبُ** ﴾ رواه مالك في الموطأ والبخاري ومسلم في صحيحيهما والترمذي وأحمد وابن أبي شيبة وعبد الرزاق وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني والطبراني في الكبير وابن أبي حاتم في تفسيره والبيهقي والدارمي وأبو يعلى والحميدي وابن حبان والطيالسي والبزار عن جبير بن مطعم رضي الله عنه .

٢– رواه أبو داود في مراسيله والبيهقي في الدعاء عن خالد بن أبي عمران رضي الله عنه .

فإذا حُشروا إليه ﷺ – وهم أمته – وهو بهذه المثابة من الرحمة التي فُطِر عليها ، والرحمة التي بُعث بها – فيرحم منهم من يقتضي ذلك الموطن أن يُرحم ، فإنه حكيم ، والذي لا يقتضي ذلك الموطن أن يرحمه ، يقول فيه : ﴿ **سُحْقًا ، سُحْقًا** ﴾ (١) . أدباً مع الله ، حتى يتجلى الحق في صفة غير تلك الصفة ، مما يقتضي الإسعاف في الجميع ، فعند ذلك تظهر بركته ورحمته ﷺ ، فيمن بُعث إليهم ، بما يرحمهم الله به ، وينقلهم من النار إلى الجنان ، ومن حال الشقاء إلى حال السعادة ، وإن كانوا مخلدين في النار ، فإن الحكم يقضي بحكم الموطن ، كرجل مقرب عند مليك ، رأى الملك في حال غضب على عبد من عبيده ، فلا ينبغي له من الأدب أن يشفع فيه في تلك الحال ، ولكن ينبغي له أن يقول : أزيلوه من بين يدي الملك ، واجعلوه في الحبس ، وقيدوه ، فإنه لا يصلح لشيء من الخير ، هذا العبد الآبق ، الكافر نعمة سيده ، كل ذلك بمرأى من سيده .

فإذا تجلى ذلك السيد في حال بسط ورضى ، وزال ذلك العبد إلى السجن والقيد ، وبَعُد عن الرحمة – وإن كان في رحمة – حينئذ يليق بهذا المقرب أن

١– هذا جزء من حديث الحوض ، الذي يَقُولُ فيه المصطفى ﷺ في أناس يردون على حوضه : ﴿ **إِنَّهُمْ مِنِّي ، فَيُقَالُ : إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ . فَأَقُولُ : سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي** ﴾ . رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وأحمد والروياني عن أبي سعيد الخدري ﷺ . وأحمد وابن ماجة والبيهقي وأبو عوانة وأبو يعلى وابن خزيمة عن أبي هريرة ﷺ . والطبراني في الكبير عن أم المؤمنين السيدة أم سلمة رضي الله عنها .

يقول للسيد : يا مولانا ! فلان على كل حال هو عبدك (١) ، وما له راحم سواك ، وإلى من يلجأ إن طردته ، ومن يُوَسِّع عليه إن ضيقت عليه ، وهو محسوب عليك ، وفي هذا من العار بالحضرة أن يقال فيه : أنه لم يحترم سيده ، إذا رُئي مُعَاقَباً ، والحضرة أَجَلُّ من أن يقال عنها أنها لم تحترم ، فإذا عفوت عنه ، وألحقته بالسعداء ، استتر الأمر ، وأنا يا مولاي أغار أن يُنسب إلى هذه الحضرة ما يشينها .

ومثل هذا الكلام – مع البسط الذي هو عليه السيد ، واقتضاء الموضع الشفاعة فيه – فيأمر السيد بتبديل حال الشقاء عنه بحال السعادة ، وأن يخلع عليه خلع الرضى ، وأن يبقى محبوساً ، فيصير له ذلك الدار والمنزل ملكاً ، ويهبه له ربه ، ويرجع عذابه نعيما ، وهو أبلغ في القدرة ، هذا إن كانت تلك الدار سكناه ، أو بأخراجه إلى منازل السعداء .

فهكذا الناس يوم القيامة في بركة رسول الله ﷺ . فما أسعد هذه الأمة .

اعلم أنه ما سُمِّي المقام المحمود مقاماً محموداً لمجرد الشفاعة ، بل لما فيه من عواقب الثناء الإلهي ، الذي يُثني به رسول الله ﷺ على ربه عز وجلّ ، مما لا يعلم بذلك الثناء الخاص اليوم .

فما حَمِدَ الله ، إلا من أجل أن الله يحب أن يُحمد ، لا من أجل الشفاعة ،

١- كما ورد في قوله تعالى على لسان عيسى عليه السلام فيمن قال أنه ابن الله : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ {المائدة : ١١٨} .

ثم جاءت الشفاعة تبعاً في هذا المقام ، فيقال له عند فراغه من الثناء : سل تعطه ، واشفع تشفع (١) . فيشفع في الشافعين أن يشفعوا ، فيبيح الله الشفاعة للشافعين عند ذلك ، فيشفعون ، فلا يبقى مَلَك ولا رسول ولا مؤمن إلا ويشفع ، ممن هو من أهل الشفاعة .

قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿ **لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ يَدْعُوهَا ، فَأَنَا أُرِيدُ – إِنْ شَاءَ اللهُ – أَنْ أَخْتَبِئَ دَعْوَتِي ، شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾ (٢) . لعلمه ﷺ بموطن الآخرة ، أكثر من علم غيره من الأنبياء .

١- في الحديث : ﴿ ...**فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي ، ثُمَّ يُقَالُ : يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ ، سَلْ تُعْطَهْ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ** ﴾ . رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والترمذي وأحمد وابن أبي شيبة والنسائي والبيهقي في الدلائل عن أبي هريرة ﷺ . ورواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وابن ماجة وأحمد وابن أبي شيبة والبيهقي في السنن والنسائي عن أنس بن مالك ﷺ . والبخاري والترمذي عن أبي سعيد ﷺ . وأحمد عن ابن عباس ﷺ . والطبراني في الكبير عن سلمان ﷺ . وغيرهم كثير .

٢- رواه مالك في الموطأ والبخاري ومسلم في صحيحيهما والترمذي وابن ماجة وأحمد والبيهقي وعبد الرزاق والطبراني والدارمي عن أبي هريرة ﷺ . والبخاري ومسلم في صحيحيهما وأحمد والبيهقي عن أنس ﷺ . ومسلم وأحمد والطبراني عن جابر بن عبد الله ﷺ . وأحمد والطبراني والبيهقي عن ابن عباس ﷺ . وأحمد والدارمي عن أبي ذر ﷺ . والطبراني عن أبي سعيد ﷺ .

فهو ﷺ يعلم أنه ثَمَّ مغفرة في الدنيا ، وثَمَّ مغفرة في القبر ، وثَمَّ مغفرة في الحشر ، وثَمَّ مغفرة في النار ؛ بخروج منها ، وبغير خروج ، لكن يُستر عن العذاب أن يصل إليه ، بما يجعل له من النعيم في النار مما يستعذبه ، فهو عذاب بلا ألم ! .

قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿ **أَتَانِي آتٍ مِنْ عِنْدِ رَبِّي ، فَخَيَّرَنِي بَيْنَ أَنْ يُدْخِلَ نِصْفَ أُمَّتِي الجنَّةَ ، وَبَيْنَ الشَّفَاعَةِ ، فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ** ﴾ (١) .

قال تعالى : ﴿ **يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ** ﴾ {التحريم : ٨} .

رُوِيَ في معناها أنَّ النبيَّ ﷺ تَضَرَّعَ مَرَّةً إلى الله عز وجل في أمْرِ أُمَّتِهِ ، فأوحَى اللهُ إلَيْهِ : إنْ شِئْتَ جَعَلْتُ حِسَابَهُمْ إلَيْكَ . فَقَالَ ﷺ : ﴿ **يَا رَبِّ ، أَنْتَ أَرْحَمُ بِهِمْ** ﴾ فَقَالَ اللهُ تعالى : إذَنْ لاَ أُخْزِيَكَ فِيهِمْ (٢) .

١- رواه الترمذي وابن ماجة وأحمد وابن أبي شيبة وعبد الرزاق والحاكم وصححه والطبراني والبيهقي وابن حبان وأبو نعيم في المعرفة والطيالسي وابن منده وابن خزيمة وهناد في الزهد وابن أبي عاصم في السنة والآجري في الشريعة عن عوف بن مالك الأشجعي ﷺ . وابن ماجة وأحمد والطبراني وابن أبي عاصم في السنة عن أبي موسى الأشعري ﷺ . وأحمد وابن أبي عاصم في السنة عن ابن عمر ﷺ . والطبراني عن معاذ بن جبل ﷺ .

٢- رواه ابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله . وأورده كل من الثعالبي في تفسيره وأبو حيان في تفسيره البحر المحيط والبقاعي في تفسيره نظم الدر .

حقيقة الإيمان والكفر والطاعة والمعصية والنعيم والعذاب :

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ﴿مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ﴾ (١) .

الفطرة التي فطر الله الخلق عليها هو أن لا يعبدوا إلا الله : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ {الإسراء : ٢٣} . فبقوا على تلك الفطرة في توحيد الله ، فما جعلوا مع الله مسمى آخر هو الله ، بل جعلوا آلهة على طريق القربة إلى الله ، ولهذا قال : ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ {الرعد : ٣٣} . فإنهم إذا سموهم ؛ ظهر أنهم ما عبدوا إلا الله ، فما عبد كل عابد إلا الله ، في المحل الذي نسب الألوهية له ، فصح بقاء التوحيد لله ، وهذا الذي أقروا به في الميثاق ، وأن الفطرة مستصحبة ، والسبب في نسب الألوهية لهذه الصور المعبودة ؛ هو أن الحق لما تجلى لهم في أخذ الميثاق ؛ تجلى لهم في مظهر من المظاهر الإلهية ، فذلك الذي أجرأهم على أن يعبدوه في الصور . ومن قوة بقائهم على الفطرة ؛ أنهم ما عبدوه على الحقيقة في الصور ، وإنما عبدوا الصور لما تخيلوا فيها

١- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما ومالك في الموطأ وأبو داود والترمذي وأحمد والبيهقي في السنن والشعب والطبراني وأبو يعلى والحميدي وابن حبان والطيالسي والفريابي والحارث بن أبي أسامة وعبد الرزاق وابن بطة عن أبي هريرة ﷺ .

من رتبة التقريب كالشفعاء ، وهاتان الحقيقتان إليهما مآل الخلق في الدار الآخرة ، وهما الشفاعة والتجلي في الصور على طريق التحول ، فإذا تمكنت هذه الحالة في قلب الرجل ، وعرف من العلم الإلهي ما الذي دعا هؤلاء الذين صفتهم هذا ، وأنهم تحت قهر ما إليه يؤولون ؛ تضرعوا إلى الله في الدياجي ، وتملقوا له في حقهم ، وسألوه أن يدخلهم في رحمته ، وإذا أخذت منهم النقمة حدها ؛ وإن كانوا عمار النار ، فليجعل لهم فيها نعيماً به ، إذ كانوا من جملة الأشياء التي وسعتهم الرحمة العامة في قوله : ﴿ **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ** ﴾ {الأعراف : ١٥٦} . وحاشا الجناب الإلهي من التقييد ، وهو القائل بأن رحمته سبقت غضبه (١) .

فلحق الغضب بالعدم ، وإن كان شيئاً ، فهو تحت إحاطة الرحمة الإلهية الواسعة ، وقد قال ﷺ أن الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه تقول يوم

١- بلفظ : ﴿**سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي**﴾ أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي هريرة ﷺ وأخرجه ابن عساكر عن ابن عباس ﷺ وأخرجه عبد بن حميد وابن جرير وأبو الشيخ عن عبد الله بن عمرو ﷺ وأخرجه ابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل وأبو نصر السجزي في الإبانة والديلمي عن عمرو بن عبسة ﷺ . وبلفظ : ﴿**إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي**﴾ أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما وعبد الرزاق والفريابي وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات عن أبي هريرة ﷺ . ورواه عبد بن حميد عن عكرمة ﷺ .

القيامة ، إذا سئلوا في الشفاعة : أن الله قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله (١) . وهذا من أرجى حديث يعتمد عليه في هذا الباب . لأنه أعلن عن اضمحلال الغضب بعد هذا اليوم !

أيضاً فإن اليوم الذي أشار إليه الأنبياء ، هو يوم القيامة ، ويوم القيامة هو يوم قيام الناس من قبورهم لرب العالمين ، قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ {المطففين : ٦} . وفي ذلك اليوم يكون الغضب من الله على أهل الغضب ، وأعطى حكم ذلك الغضب الأمر بدخول النار ، وحلول العذاب ، والانتقام من المشركين وغيرهم من القوم الذين يخرجون بالشفاعة ، والذين يخرجهم الرحمن ، كما ورد في الصحيح ، ويدخلهم الجنة إذ لم يكونوا من أهل النار الذين هم أهلها . ولم يبق في النار إلا أهلها الذين هم أهلها . فعم الأمر بدخول النار كل من دخلها ، من أهلها ومن غير أهلها ، لذلك الغضب الإلهي الذي لن يغضب بعده مثله ، فلو سرمد عليهم العذاب ؛ لكان ذلك عن غضب أعظم من غضب الأمر بدخولها ، وقد قالت الأنبياء : أن الله لا يغضب بعد ذلك مثل ذلك الغضب ، ولم يكن حكمه – مع عظم ذلك الغضب – إلا الأمر بدخول النار ، فلا بد من حكم الرحمة على الجميع . ويكفي من الشارع التعريف بقوله :

١- سبق تخريجه .

﴿ أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا ﴾ . وذلك في الحديث الذي رواه أَبو سَعِيدٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ :

﴿ أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمْ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ - أَوْ قَالَ : بِخَطَايَاهُمْ - فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً ، حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا ؛ أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ . فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ - الضَّبَائِر : جَمَاعَات فِي تَفْرِقَة - **فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الجَنَّةِ ، ثُمَّ قِيلَ : يَا أَهْلَ الجَنَّةِ أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ ﴾** . فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ : كَأَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدْ كَانَ بِالْبَادِيَةِ (١) .

- قال ﷺ : أهل النار ، ولم يقل أهل العذاب . فلا يلزم من كان من أهل النار ، الذين يعمرونها ، أن يكونوا معذبين بها . فإن أهلها وعمارها منهم مالك ، وخزنتها ، وهم ملائكة ، ولا واحد منهم تكون النار عليه عذاباً ، كذلك من يبقى فيها ، لا يموتون فيها ولا يحيون ، وكل من ألف موطنه كان به مسروراً ، وأشد العذاب مفارقة الوطن ، فلو فارق النار أهلها لتعذبوا باغترابهم عما أُهِّلوا له ، وإن الله قد خلقهم على نشأة تألف ذلك الموطن ، فعمرت الداران .

١- رواه مسلم في صحيحه وابن ماجة وأحمد والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب وأبو عوانة وأبو يعلى وابن حبان وعبد بن حميد وابن منده وابن خزيمة .

- قال ﷺ : أما أهل النار الذين هم أهلها ... أصابتهم النار بذنوبهم . ولم يخصص ﷺ أمة من أمة ، فإنه ما قال ناس من أمتي ، فهذه رحمة عامة .
- قال ﷺ : فأماتهم الله فيها إماتة ، فأكده بالمصدر ، فهذا كله قبل ذبح الموت (١) . وإنما أماتهم حتى لا يحسوا بما تأكل النار منهم . فإن النفوس التامة هي الموحدة المؤمنة ، فيمنع التوحيد والإيمان قيام الآلام والعذاب بها ، والحواس لا تحس بآلام الإحراق الذي يصيرهم حمماً ، فإن الميت لا يحس بما يُفعل به ، وإن كان يعلمه ، فما كل ما يُعلم يُحَسُّ به .

فرفع الله العذاب عن الموحدين والمؤمنين ، وإن دخلوا النار ، فما أدخلهم الله النار إلا لتتحقق الكلمة الإلهية ، ويقع التمييز بين الذين اجترحوا السيئات ، وبين الذين عملوا الصالحات .

١- قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿ **إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجنَّةِ الجنَّةَ ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ ، يُجَاءُ بِالموْتِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ ، فَيُوقَفُ بَيْنَ الجنَّةِ وَالنَّارِ ، فَيُقَالُ : يَا أَهْلَ الجنَّةِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟ . قَالَ : فَيَشْرَئِبُّونَ ، فَيَنْظُرُونَ ، وَيَقُولُونَ : نَعَمْ هَذَا الموْتُ . قَالَ : فَيُقَالُ : يَا أَهْلَ النَّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟ . قَالَ : فَيَشْرَئِبُّونَ ، فَيَنْظُرُونَ ، وَيَقُولُونَ : نَعَمْ هَذَا الموْتُ . قَالَ : فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ . قَالَ : وَيُقَالُ : يَا أَهْلَ الجنَّةِ خُلُودٌ لَا مَوْتَ . وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ لَا مَوْتَ** ﴾ . رواه مسلم في صحيحه والترمذي وأحمد وعبد الله بن المبارك والبيهقي في البعث والآجري في الشريعة عن أبي سعيد ﷺ . وأحمد والدارمي والآجري في الشريعة وابن الأعرابي عن أبي هريرة ﷺ . والطبراني في الكبير وابن حبان وعبد الله بن المبارك وأبو داود في البعث عن ابن عمر ﷺ . وأبو يعلى عن أنس ﷺ .

ويبقى العذاب على أهل النار الذين هم أهلها ، يجري إلى أجل مسمى عند الله ، إلى أن تذكرهم ملائكة العذاب التسعة عشر ، فإن الملائكة إذا شفعت لم تشفع هذه التسعة عشر ، فتتأخر شفاعتهم إلى أوان اتصافهم بالرحمة ، وذلك عندما يرتفع شهودهم غضب الله ، إيثاراً منهم لجناب الله على الخلق ، فإن الملائكة تشفع يوم القيامة ، يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ **شَفَعَتْ الملَائِكَةُ ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ ، وَشَفَعَ المؤْمِنُونَ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ . فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنْ النَّارِ ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ ، قَدْ عَادُوا حُمَمًا ، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الجَنَّةِ ، يُقَالُ لَهُ نَهَرُ الحيَاةِ ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ ، أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الحجَرِ أَوْ إِلَى الشَّجَرِ ، مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ ، أُصَيْفِرُ وَأُخَيْضِرُ ، وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ ، فَقَالُوا يَا رَسُولَ الله كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرْعَى بِالْبَادِيَةِ ! . قَالَ : فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ ، فِي رِقَابِهِمْ الخوَاتِمُ ، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الجنَّةِ ، هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ الله ، الَّذِينَ أَدْخَلَهُمْ اللهُ الجنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ ، وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ . ثُمَّ يَقُولُ : ادْخُلُوا الجنَّةَ ، فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ . فَيَقُولُونَ : رَبَّنَا أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ الْعَالَمِينَ . فَيَقُولُ : لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا . فَيَقُولُونَ : يَا رَبَّنَا أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا ؟ . فَيَقُولُ : رِضَايَ ؛ فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا** ﴾ (١) .

١- رواه مسلم في صحيحه والبيهقي في الشعب وفي الاعتقاد والدارقطني في الرؤية والطيالسي وابن منده والتبريزي في المشكاة والمنذري في الترغيب عن أبي سعيد الخدري .

يشفع أرحم الراحمين عند شديد العقاب والمنتقم ، وهذا من باب شفاعة الأسماء الإلهية ، فيخرج من النار كل موحد وحد الله من حيث علمه ، لا من حيث إيمانه ، وما له عمل خير غير ذلك ، لكنه من غير إيمان ، فلذلك اخْتُصَّ الله به . وهذا الصنف من الموحدين ؛ هم الذين شهدوا مع شهادة الله سبحانه والملائكة أنه لا إله إلا هو (١) . فمن هناك سبقت لهم العناية بالاشتراك في الشهادة ، ولم يعرفهم إلا الله وحده ، والملائكة – وإن عرفتهم – فإن الملائكة تحت أمر الله كالثقلين ، فيحترمون جناب الله ، ويؤثرونه على هؤلاء ، فلا يقدمون على الشفاعة فيهم لمخالفتهم أمر الله ، وعدم قبولهم الإيمان (٢) . فينفرد الله وحده سبحانه – من كونه أرحم الراحمين – بإخراج هؤلاء من النار ، ويترك أهلها فيها على حالهم ، إلى

١- إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ {آل عمران : ١٨} .

٢- من هذا المنطلق يمكن فهم الحديث المروي عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : ﴿ **لَمَّا أَغْرَقَ اللهُ فِرْعَوْنَ ، قَالَ** : ﴿ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ {يونس : ٩٠} . **فَقَالَ جِبْرِيلُ : يَا مُحَمَّدُ لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا آخُذُ مِنْ حَالِ الْبَحْرِ ، فَأَدُسُّهُ فِي فِيهِ ، مَخَافَةَ أَنْ تُدْرِكَهُ الرَّحْمَةُ** ﴾ . رواه أحمد والطيالسي والترمذي وصححه وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني في الكبير وابن حبان وأبو الشيخ والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان وابن هشام في سيرته عن ابن عباس . (حال البحر : طينه الأسود) .

تجليه في صورة الرضا ، وعموم حكم الرحمة المركبة في عالم التركيب ، وشفاعة ملائكة العذاب ، فحينئذ يتغير الحال على أهل النار كما ذكرناه .

فلما وازن الله بين الرحمة والغضب ، رجحت الرحمة ، وثقلت ، وارتفع الغضب الإلهي ، ولا معنى لارتفاع الشيء إلا زوال حكمه ، فلم يبق للغضب الإلهي حكم في المآل ، فإنه في المآل وقع ترجيح الرحمة ، وارتفاع الغضب لخفته .

فما ظهر حكم الغضب إلا في حال وضع الغضب والرحمة في الميزان ، فحكم كل واحد منهما في العالم . إلى أن يظهر الترجيح ، فيرتفع حكم الغضب ، لقوله تعالى في الحديث القدسي : ﴿سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي﴾(١) وقوله تعالى : ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ {الأعراف : ١٥٦} . وقوله تعالى : ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ {غافر : ٧} ، وجهنم ومن فيها شيء ، فوسعتهم الرحمة ، والله أرحم الراحمين ، كما قال عن نفسه . وقد وجدنا في الناس ممن جبلهم الله على الرحمة ؛ أنهم يرحمون جميع عباد الله ، حتى لو حكَّمهم الله في خلقه ؛ لأزالوا صفة العذاب من العالم ، بما تمكن حكم الرحمة من قلوبهم ، وصاحب هذه الصفة – أنا وأمثالي – ونحن مخلوقون ، أصحاب أهواء وأغراض – وقد قال عن نفسه جل علاه أنه :

١- سبق تخريجه .

﴿أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ (١) فلا نشك أنه أرحم منا بخلقه ، ونحن قد عرفنا من نفوسنا هذه المبالغة في الرحمة ، فكيف يتسرمد عليهم العذاب ؛ وهو بهذه الصفة العامة من الرحمة ؟ . إن الله أكرم من ذلك .

عَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : **﴿وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَدْخُلَنَّ الجنَّةَ الْفَاجِرُ فِي دِينِهِ ، الأَحْمَقُ فِي مَعِيشَتِهِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَدْخُلَنَّ الجنَّةَ الَّذِي قَدْ مَحَشَتْهُ النَّارُ بِذَنبِهِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَغْفِرَنَّ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْفِرَةً يَتَطَاوَلُ لَهَا إِبْلِيسُ رَجَاءَ أَنْ تُصِيبَهُ﴾** . وفي رواية زيادة : **﴿وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَغْفِرَنَّ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْفِرَةً لا تَخْطُرُ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ﴾** (٢) .

بنص هذا الحديث ؛ ستكون رحمة الله تعالى أوسع من كل ما خطر على قلب البشر ، وهو تعالى قد ألقى في قلوبنا أنه ستعم رحمته خلقه جميعا ، وهو تعالى بالتالي أرحم من ذلك .

١- إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ {الأعراف : ١٥١} . وقوله تعالى : ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ {يوسف : ٦٤} . وقوله تعالى : ﴿ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ {يوسف : ٩٢} . وقوله تعالى : ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ { الأنبياء : ٨٣} .

٢- رواه الطبراني في الكبير والوسط والبيهقي في البعث والنشور وابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله عن حذيفة بن اليمان ﷺ .

ومن هنا كانت هذه الرحمة في ذلك اليوم يتطاول لها إبليس لتناله .

ولا سيما وقد قام الدليل العقلي على أن الباري ، لا تنفعه الطاعات ، ولا تضره المخالفات ، وأن كل شيء جار بقضائه وقدره وحكمه ، وأن الخلق مجبورون في اختيارهم . وقد قام الدليل السمعي أن الله يقول في الصحيح : يا عبادي ، فأضافهم إلى نفسه ، وما أضاف الله قط العباد لنفسه إلا من سبقت له الرحمة أن لا يؤبد عليهم الشقاء ، وإن دخلوا النار ، فقال : ﴿**يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ ، كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا . يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا**﴾ (١) . فقد أخبر بأن الطاعات والمعاصي ملكه ، وأنه على ما هو عليه لا يتغير ، ولا يزيد ولا ينقص ملكه مما طرأ عليه وفيه ، فإن الكل ملكه وله .

ثم قال من تمام هذا الخبر الصحيح : ﴿**يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، فَسَأَلُونِي ، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي ، إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ**﴾

١- رواه مسلم في صحيحه والبيهقي في السنن والشعب والحاكم وصححه والبزار وابن الأعرابي والمنذري في الترغيب عن أبي ذر ﷺ .

ولا شك أنه ما من أحد إلا وهو يكره ما يؤلمه طبعاً ، فما من أحد إلا وقد سأله أن لا يؤلمه ، وأن يعطيه اللذة في الأشياء .

فاعلم يا أخي أن لله رحمة عامة ، ورحمة خاصة .

وأن الله خص هذه الأمة برحمة خاصة ، فقال رسول الله ﷺ : ﴿ **أُمَّتِي هَذِهِ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ ، لَيْسَ عَلَيْهَا عَذَابٌ فِي الْآخِرَةِ . عَذَابُهَا فِي الدُّنْيَا الْفِتَنُ وَالزَّلَازِلُ وَالْقَتْلُ** ﴾ (١) . لذا فإنه قل ما يخلو المؤمن من البلاء ، لما يراد به من الخير .

ولما كان الخلق كلهم هم رعايا الراعي الأول سيدنا محمد ﷺ وهو الملاذ لهم والملجأ كما ورد في الصحيح ، وما ورد من قوله ﷺ : ﴿ ... **فَأَقُولُ أَنَا لَهَا ، فَأَنْطَلِقُ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي** ، ....﴾ (٢) ، لذا فقد كان هو ﷺ مفتاح الشفاعة ، فبه تفتتح يوم القيامة ، كما افتتح الخلق به في أول الوجود كما أشرنا لذلك من قبل ، فتقع الشفاعة الأولى من سيدنا محمد ﷺ في كل شافع أن يشفع ، فيشفع الشافعون ، ويقبل الله من شفاعتهم ما شاء ، ويرد من شفاعتهم ما شاء ، لأن الرحمة في ذلك اليوم يبسطها الله في قلوب

١- رواه أبو داود وأحمد والحاكم وصححه والطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب وأبو يعلى والشهاب وعبد بن حميد والبزار والروياني والتبريزي وأبو حنيفة وابن عساكر عن أبي موسى رضي الله عنه .

٢- سبق تخريجه .

الشفعاء ، فمن رد الله شفاعته من الشافعين ؛ لم يردها انتقاصاً له ، ولا عدم رحمة بالمشفوع فيه ، وإنما أراد بذلك إظهار المنة الإلهية على بعض عباده ، فيتولى بنفسه سعادتهم ، ورفع الشقاوة عنهم ، فمنهم من يرفع ذلك عنه بإخرجهم من النار إلى الجنان ، بشفاعة أرحم الراحمين عند المنتقم الجبار ، فهي مراتب أسماء إلهية ، لا شفاعة محققة ، فإن الله يقول في ذلك اليوم : ﴿ **شَفَعَتْ الملَائِكَةُ ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ ، وَشَفَعَ المؤْمِنُونَ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ** ﴾ (١) . فدل بالمفهوم أنه لم يشفع ، فيتولى بنفسه إخراج من يشاء من النار إلى الجنة ، ونقل حال من هو من أهل النار ، من شقاوة الآلام إلى سعادة إزالتها ، فذلك قدر نعيمه .

وقد يشاء ؛ ويملأ الله جهنم بغضبه (وهو المعبر عنه في الصحيحين بالقدم) (٢)

١- سبق تخريجه .

٢- إشارة إلى ما ورد في الحديث الشريف عنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ : ﴿ **تَحاجَّتْ الجنَّةُ وَالنَّارُ ، فَقَالَتْ النَّارُ : أُوثِرْتُ بِالمتَكَبِّرِينَ وَالمتَجَبِّرِينَ ، وَقَالَتْ الجنَّةُ : مَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ وَعَجَزُهُمْ . قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلجَنَّةِ : أَنْتِ رَحْمَتِي ، أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي . وَقَالَ لِلنَّارِ : إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي ، أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي . وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكم مِلْؤُهَا ، فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْتَلِئُ ، فَيَضَعُ قَدَمَهُ عَلَيْهَا فَتَقُولُ قَطْ قَطْ فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ، وَلَا يَظْلِمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا . وَأَمَّا الجنَّةُ فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا** ﴾ . رواه البخاري ومسلم وأحمد والنسائي وأبو عوانة والبيهقي وابن خزيمة عن أبي هريرة ﷺ . والبخاري ومسلم والترمذي وأحمد والنسائي وعبد بن حميد والبيهقي وابن خزيمة عن أنس بن مالك ﷺ .

والجنة برضاه ، فتعم الرحمة ، وتنبسط النعمة ، فيكون الخلق كما هم في الدنيا على صورة الحق ، فيتحولون لتحوله . وآخر صورة يتحول إليها في الحكم في عباده ؛ صورة الرضا ، فيتحول الحق في صورة النعيم . فإن الرحيم والمعافي أوّل من يرحم ويعفو ، وينعم على نفسه بإزالة ما كان فيه من الجرح ، والغضب على من أغضبه ، ثم سرى ذلك في المغضوب عليه . فمن فهم فقد أمنَّاه ، ومن لم يفهم فسيعلم ، ويفهم .

- قال تعالى : ﴿ **وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ** ﴾ {ق : ٤١} .

  وقال : ﴿ **أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ** ﴾ {فصلت : ٤٤} .

  - فقد صح للمحمديين النداء .
  - وقد صح للكفار النداء – مع أن الفعل في آيتهم مبني لما لم يسمى فاعله – لأنهم لا يدرون أنه تعالى المنادي عليهم .
  - وقد صح أن الله سبحانه وتعالى هو المنادي على كل من الفريقين لسعادتهم .
  - واختلفت المسافة المقطوعة من كل منهم ، لاختلاف مكان النداء ، واختلاف الطريق الذي أتى عليه كل من هؤلاء وهؤلاء .
  - ولكن لابد للكل من الوصول إلى الله ، ورجوع القطرة للبحر .

فإن المآل إليه : ﴿ **وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ** ﴾ {النجم : ٤٢} .

وبعد الوصول إلى المنزل ، يتحد من نودي من قريب ، ومن نودي من بعيد . لأنهم يتحدون فى اندراجهم في الحقيقة المحمدية ، لأنها النور الذي خلق الله منه الجنة والجحيم ، والمحتد الذي وُجد منه العذاب والنعيم .

الله – من حيث يعلم نفسه ، ومن هويته وغناه – هو على ما هو عليه ، وإنما هذا الذي وردت به الأخبار ، وأعطاه الكشف ، إنما ذلك من أحوال تظهر ومقامات تشخص ، ومعان تجسد ، ليعلم الحق عباده معنى الإسم الإلهي الظاهر ، وهو ما بدا من هذا كله ، والاسم الإلهي الباطن ، وهو هويته ، وقد تسمى لنا بهما ، فقال تعالى : ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ {الحديد : ٣} . فكل ما هو العالم فيه من تصريف وانقلاب ، وتحوّل في صور ، في حق وخلق ، فذلك من حكم الاسم الظاهر ، وهو منتهى علم العالم ، والعلماء بالله .

وأما الاسم الباطن ؛ فهو إليه ، لا إلينا ، وما بإيدينا منه سوى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ { الشورى : ١١} . ليس كمثله شيء ، على بعض وجوه محتملاته ، إلا أن أوصاف التنزيه لها تعلق بالاسم الباطن ، وإن كان فيه تحديد ، ولكن ليس في الإمكان أكثر من هذا ، فإنه غاية الفهم عندنا ، الذي يعطيه استعدادنا : ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ { طه : ١١٤} .

اللهم الرفيق الأعلى

عَنْ أُمِّ الْمُؤمِنِين السَّيِّدَة عَائِشَة رَضْي اللهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ وَهُوَ صَحِيحٌ : ﴿ **إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ قَطُّ ، حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنْ الجنَّةِ ، ثُمَّ يُخَيَّرُ** ﴾ . فَلَمَّا نَزَلَ بِهِ ، وَرَأْسُهُ عَلَى فَخِذِي ، غُشِيَ عَلَيْهِ سَاعَةً ثُمَّ أَفَاقَ ، فَأَشْخَصَ بَصَرَهُ إِلَى السَّقْفِ ، ثُمَّ قَالَ : ﴿ **اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى** ﴾ . قُلْتُ : إِذًا لَا يَخْتَارُنَا . وَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَدِيثُ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا بِهِ ، قَالَتْ : فَكَانَتْ تِلْكَ آخِرَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ ، قَوْلُهُ : ﴿ **اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى** ﴾ (١) .

عندما خُيِّرَ الحبيب ﷺ ؛ اختار لقاء محبوبه ، وهو لقاء خاص ، عَيَّنَهُ الحق ، إذ هو تعالى المشهود له في كل حال ، ولكن لما عَيَّنَ ما شاء من المواطن ، وجعله محلاً للقاءٍ مخصوصٍ ، رَغَّبنا فيه ، ولا نناله إلا بالخروج من الدار التي تنافي هذا اللقاء ، وهي الدار الدنيا ، فلما خُيِّر النبي ﷺ بين البقاء في الدنيا ، والانتقال إلى الآخرة ؛ اختار الرفيق الأعلى . فإنه في حال الدنيا في مرافقته تعالى ، ولكنها رفقة أدنى ، ولذا فقد فضل عليها الرفقة الأعلى .

١- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما (واللفظ لهما) ومالك في الموطأ وأحمد والبيهقي في الدلائل وفي الأسماء والصفات والطبراني في مسند الشاميين وفي الدعاء .

فلما علم منه تعالى أنه يريد بطلوع الفجر ؛ الرجوع إلى عرشه ، من السماء الدنيا التي نزل إليها ، في ليل نشأته الطبيعية (١) ، فلم يُرِد ﷺ مفارقة رفيقه ، فانتقل لانتقاله ، ورحل لرحلته ، ولذلك قال ﷺ : الرفيق . ولم يقل غير ذلك ، لأن الإنسان خُلق في محل الحاجة والعجز ، فهو يطلب من يرتفق به ، فلما وجد الحق نعم الرفيق ، وعلم أن الارتفاق به على الحقيقة هو الارتفاق الموجود في العالم ، وإن أضيف إلى غيره ، فلجهل الذي أضافه ، فطلب الرفيق الذي بيده جميع الأرفاق ، فلم يطلب أثراً بعد عين .

وهكذا حال كل من أحب لقاء الله ، إذا لم تكن له درجة مشاهدة الرفيق ، وهو في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ {الحديد : ٤} . فهو – تعالى – رفيقنا في كل وجهة نكون فيها ، غير أنَّا حُجبنا ، فسمى انفصالنا – عن هذا الوجود الحسي – بالموت : لقاء الله .

١– إشارة لما رُوي عن رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ : «يَنْزِلُ رَبُّنَا – تَبَارَكَ وَتَعَالَى – كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ ، يَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ» . رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وأبو داود والترمذي وابن ماجة وأحمد والبيهقي في السنن وعبد الرزاق عن أبي هريرة ﷺ . وأحمد عن ابن مسعود ﷺ . وابن أبي شيبة عن أبي سعيد الخدري ﷺ . وفي رواية مسلم وأبو داود وابن ماجة وأحمد زيادة : «فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُضِيءَ الْفَجْرُ» .

وما هو لقاء ، وإنما هو شهود الرفيق ، الذي أخذ الله بأبصارنا عنه ، فقال ﷺ : ﴿ **مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ ، أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ . وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ الله ، كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ** ﴾(١) .

فلم يعرفه المحجوب رفيقاً ، حتى لقيه ، فإذا لقيه ؛ عرفه ، وهو قوله : ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴾ {الزمر : ٤٧} . فاستحيا منه المؤمنون ؛ لما عاملوه به من المخالفة لأوامره تعالى ، وخاف منه المجرمون ؛ لما قصروا ، فلقوه على كُرهٍ ، فكَرِهَ الله لقاءهم ، ومع هذه الكراهة ؛ فلابد من اللقاء للجزاء ، كان الجزاء ما كان . فمن كره الله لقاءه ، لقيه في الموت بما يكرهه ، وهو أن حجبه عنه ، وتجلى لمن أحب لقاءه من عباده .

ولقاء الحق – بالموت – له طعم ، لا يكون في لقائه بالحياة الدنيا ، فنسبة لقائنا له بالموت ؛ كنسبة قوله : ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴾ {الرحمن : ٣١} والموت فينا ؛ فراغ لأرواحنا من تدبير أجسامها ، ولا يمكن للمحب أن يحصِّل ذلك ذوقاً ، ولا يكون ذلك إلا بالخروج من دار الدنيا ، بالموت ،

١– رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والترمذي والنسائي وأحمد عن عبادة بن الصامت ﷺ . والبخاري عن أبي موسى ﷺ . وأحمد عن أنس ﷺ . ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها . ومسلم والنسائي وأحمد عن أبي هريرة ﷺ . وغيرهم كثير .

لا بالحال ، وهو أن يفارق هذا الهيكل ، الذي وقعت له به هذه الألفة ، من حين وُلِد وظهر به . بل كان السبب في ظهوره .

ففرَّقَ الحق بينه وبين هذا الجسم ، لما ثبت من العلاقة بينهما ، وهو من حال الغيرة الإلهية على عبيده ، لحبِّهِ لهم ، فلا يريد أن يكون بينهم وبين غيره علاقة ، فخلق الموت ، وابتلاهم به ، تمحيصاً لدعواهم في محبته ، وهو قوله تعالى : ﴿ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ {البقرة : ٩٤ ، الجمعة : ٦} . فإذا انقضى حكمه ؛ ذُبِحَ بين الجنة والنار (١) . فلا يموت أحد من أهل الدارين ، فهذا سبب رغبتهم في الخروج من الدنيا إلى لقاء المحبوب ، لأن الغيرة نَصَبٌ .

ويحيى الموت – بالذبح – حياة خاصة ، كما حُكْمُنا بعد الموت ، فإن الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا ! .

١- قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿ يُؤْتَى بِالموْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ ، فَيُنَادِي مُنَادٍ : يَا أَهْلَ الجنَّةِ ؛ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ ، فَيَقُولُ : هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟ . فَيَقُولُونَ : نَعَمْ ، هَذَا الموْتُ . وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ . ثُمَّ يُنَادِي : يَا أَهْلَ النَّارِ ؛ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ ، فَيَقُولُ : هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟ . فَيَقُولُونَ : نَعَمْ ، هَذَا الموْتُ . وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ . فَيُذْبَحُ . ثُمَّ يَقُولُ : يَا أَهْلَ الجنَّةِ ؛ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ . وَيَا أَهْلَ النَّارِ ؛ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ ﴾ . رواه البخاري في صحيحه والترمذي وصححه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . وابن ماجة وأحمد والحاكم وصححه والدارمي وابن حبان وهناد عن أبي هريرة رضي الله عنه . وأبو يعلى عن أنس رضي الله عنه .

المحب يتبرم بصحبة ما يحول بينه وبين لقاء محبوبه ، وهو يعلم بأنه ما ثَمَّ حائل يحول بينه وبين لقاء محبوبه إلا العدم ، وما هو ثَمَّ . وليس الوجود سواه . فهو شاهده في كل عين تراه .

فليس بين المحب والمحبوب إلا حجاب الخلق ، فيعلم أن ثَمَّ خالقاً ومخلوقاً ، فلم يقدر على رفع صحبة هذه الحقيقة ، فإنها عينه ، والشيء لا يرتفع عن نفسه ، ونفسه تحول بينه وبين لقاء محبوبه ، فهو متبرم بنفسه ، لكونه مخلوقاً ، وصحبته لنفسه ذاتية ، لا ترفع أبداً ، فلا يزال متبرماً أبداً .

وهو يتبرم لأنه يتخيل أنه إذا فارق هذا الهيكل ؛ فارق التركيب ، فيرجع بسيطاً ، لا ثاني له ، فينفرد بأحديته ، فيضربها في أحدية الحق – وهو اللقاء – فيكون الحق الخارج بعد الضرب ، لا هُوَ . فهذا يجعل الإنسان العادي يتبرم ، والعارف والمحب لا يتبرم من هذا ، لمعرفته بالأمر على ما هو عليه .

فصحبة الرفيق الأعلى ؛ أَولى .

الرفيق بعبده أرفق ، وهو عليه أشفق .

اختار الرفيق قبل الطريق ، وهو بالفضل حقيق خير .

فاختار ﷺ ، ورحل عنا ، وسار ليلحق بالمتقدم السابق ، ويلتحق به المتأخر اللاحق . فلعلمه بأنه لا بد من الاجتماع ، اختار الخروج من الضيق إلى الاتساع .

نعت المحب أنه كامن الغم ، أي غمه مستور ، لا ظهور له . فسبب ذلك قوله تعالى : ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾ {الأنعام : ٩١} . في صدر الآية ، ثم قال : ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ﴾ {الأنعام : ٩١} في عجز الآية . فالمحب يرى في شهوده أنه لا تتحرك ذرة إلا بإذنه تعالى ، إذ هو محركها بما تتحرك فيه ، ويرى في شهوده ما يقابل الكون به خالقه من سوء الأدب ، وما لا ينبغي أن يوصف به مدلوله العدم ، فيريد أن يتكلم ويبدي ما في نفسه من الغيرة ، التي تقتضيها المحبة ، ثم يرى أن ذلك بإذنه ، فيسكن . ولا يتمكن له أن يظهر غمه ، لأن الحب حكم عليه ، بأن ذلك الذي يعامل به المحبوب لا يليق به ، ويرى أنه سلط خلقه عليه بما أنطقهم به وما عذرهم ، وأرسل الحجاب دونهم ، فكمن غم هذا المحب في الدنيا ، فإنه في الآخرة لا غم له ، ولهذا يطلب الخروج من الدنيا .

المحب كله لمحبوبه . وذلك أنه مجموع ، وبحكم جمعيته ظهر عينه ، فآحاده : الله ، إذ الأحدية لله ، وليس المجموع سوى هذه الآحاد ، فكله لله ، فإن كل واحد من المجموع إذا ضربته في الواحد الحق ؛ كان الخارج من ذلك : واحد الحق . فهذا معنى كله لمحبوبه ، وهو واحد المجموع ، لأن المجموع له أحدية ، وعلى هذا يخرج – إذا كان المحب – الله .

فالكل – في حق الله – مع أحديته .

وإنما ذلك كالأسماء الإلهية ، وهي التسعة والتسعون ، فظهرت الكثرة في الأسماء ، فصح اسم الكل ، وآحاد هذا الكل ؛ عين كل اسم على حدة . يطلب من العبد – ذلك الاسم – حقيقة واحدة ، يظهر سلطانه فيها ، ولا تكون إلا واحدة ، فتضرب الواحد في الواحد ، فيظهر في الشاهد واحد العبد ، وهو المحبوب ، فكله لله ، لأن الأسماء كلها تظهر أحكامها في العبد ، والأسماء لله ، فالكل للعبد المحبوب عند الله .

فما في الحضرة الإلهية شيء إلا للعبد المحبوب ، فإن الله بذاته غني عن العالمين ، فهو غني عن الكثرة ، وعن الدلالة عليه .

- قال رسول الله ﷺ عند انتقاله : ﴿ **اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى** ﴾ (١) . وقال : ﴿ **لَيْسَ وَرَاءَ اللهِ مَرْمَى** ﴾ (٢) . ليُعلمنا معنى قوله تعالى : ﴿ **وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ** ﴾ {النجم : ٤٢} . وقوله : ﴿ **وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌ** ﴾ {البروج : ٢٠} . وقوله : ﴿ **يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ** ﴾ {الأحزاب : ١٣} .

ولله در من قال :

١- سبق تخريجه .

٢- رواه مالك في الموطأ مرسلا ، والبزار عن عبد الرحمن بن عوف ﷺ مرفوعا .

وليس وراء الله مرمى لرام هذا هو الحق الذي لا يُرام
هذا مقام الحق لا تعتدوا يحرم في هذا المَقام المُقام
إذا وصلتم إخوتي فارجعوا هذا وجود ما لديه انصرام
رجوعكم منه إليكم فما ثَمَّ سوى عين الورى والإمام
كونوا أعزاء به تسعدوا فليس عز غير عز الإمام

فما ثَمَّ إلا الله ، ونحن .

وهو من ورائنا محيط .

فليس وراء الله مرمى إلا العدم المحض ، الذي ما فيه حق ولا خلق .

فهو تعالى المحيط بنا ، فالوراء منا له من كل وجهة ، فلا نراه أبداً في هذه الآية ، لأن وجوهنا إنما هي مقبلة ، مصروفة إلى نقطة المحيط ، لأنَّا منها خرجنا ، فلم يتمكن لنا أن نستقبل بوجوهنا إلا هي ، فهي قبلتنا ، وهي إمامنا .

ومن كان هذا نعته – والأمر كريٌّ – فبالضرورة يكون الوراء منا للمحيط بنا ، فإذا نظرنا إلى قوله : ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ {النجم : ٤٢} . فإنما يريد بظهورنا ، لا بوجوهنا ، فإن مشينا إلى المحيط القهقري ، فهو من ورائنا

المحيط ، لأنه الوجود ، فلو لم يكن من ورائنا لكان انتهاؤنا إلى العدم ، ولو وقعنا في العدم ؛ ما ظهر لنا عين . فمن المحال وقوعنا في العدم ، لأن الله – وهو الوجود المحض – من ورائنا ، محيط بنا ، إليه ننتهي ، فيحول وجوده وإحاطته بيننا وبين العدم ، فليس بين قوله ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ {النجم : ٤٢} . وبين قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴾ {البروج : ٢٠} . تقابل ، فالعالم بين النقطة والمحيط . فالنقطة : الأوّل ، والمحيط : الآخر .

فالحفظ الإلهي يصحبنا حيثما كنا ، فيصرفنا منه إليه .

والأمر دائرة ، ما لها طرف يُشهد ، فيُوقف عنده .

فلهذا قيل للمحمدي الذي له مثل هذا الكشف :

﴿ لَا مُقَامَ لَكُمْ ﴾ {الأحزاب : ١٣} . لكون الأمر دورياً .

﴿ فَٱرْجِعُوا۟ ﴾ {الأحزاب : ١٣} . أي فلا يزال العالم سابحاً في فلك الوجود ، دائماً إلى غير نهاية ، إذ لا نهاية هناك .

ولا يزال وجه العالم أبداً – إلى اسم الأوّل ، الذي أوجده – ناظراً .

ولا يزال ظهر العالم أبدا – إلى الاسم الآخر المحيط ، الذي ينتهي إليه بورائه – ناظراً .

فإن العالم يرى من خلفه كما يرى من أمامه (١) ، ولكن يختلف إدراكه باختلاف الحال عليه ، ولولا الاختلاف ؛ ما تميز عين ، ولا كان فرقان :

إن الوجود رحى عليّ تدور وأنا لها قطب فلست أبور
لو زلت ما دارت ولا كانت رحى فالفقر نعت الكون فهو فقير
يا جاهلاً بالأمر وهو مشاهد اعلم بأنك بالأمور خبير
الجمع يحجب فرقه عن عينه وهو الدليل عليه فهو بصير

١- قال رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح : ﴿ **هَلْ تَرَوْنَ قِبْلَتِي هَا هُنَا ؟ . فَوَاللهِ مَا يَخْفَى عَلَيَّ خُشُوعُكُمْ وَلَا رُكُوعُكُمْ ، إِنِّي لَأَرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي** ﴾ . رواه البخاري في صحيحه ومالك في الموطأ وأحمد وأبو عوانة وأبو يعلى وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ . وفي رواية : ﴿ **فَإِنِّي أَرَاكُمْ أَمَامِي ، وَمِنْ خَلْفِي** ﴾ . رواه مسلم في صحيحه والنسائي وأحمد وابن أبي شيبة وعبد الرزاق والطبراني والبيهقي في الدلائل والدارمي وأبو عوانة وأبو يعلى وابن خزيمة عن أنس بن مالك ﷺ .

خاتم النبيين وخاتم الأولياء

قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿ **إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي ؛ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا ، فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ ، وَيَقُولُونَ : هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ . قَالَ : فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ** ﴾ (١) .

والختم على الشيء هو المنع والحجر ، فلا شيء يزيد فيه ولا شيء ينقص منه ، كقوله تعالى : ﴿ **خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ** ﴾ {البقرة : ٧} . فلا تدخل الهداية إلى قلوبهم ، ولا يخرج الكفر منها .

من هذا الحديث يتضح أن معنى الخاتم هو كمال المقام . كالختم على الرسالة لا يكون إلا بعد تمامها .

وذلك أن الدنيا لما كان لها بدء ونهاية ، وهو ختمها ، قضى الله سبحانه أن يكون جميع ما فيها – بحسب نعتها – له بدء وختام :

١– رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وأحمد والنسائي والطبراني في الأوسط والبيهقي في الدلائل والشعب وابن حبان والآجري في الشريعة عن أبي هريرة ﷺ . والترمذي وصححه وأحمد وعبد بن حميد عن أبي بن كعب ﷺ . وأحمد وابن أبي شيبة عن أبي سعيد الخدري ﷺ . وابن أبي شيبة والبيهقي في السنن عن جابر بن عبد الله ﷺ .

- فكان من جملة ما فيها ؛ تنزيل الشرائع ، فختم الله هذا التنزيل بشرع سيدنا محمد ﷺ : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ {الأحزاب : ٤٠} .

- وكان من جملة ما فيها ؛ الولاية العامة ، ولها بدء من آدم عليه السلام ، فختمها الله بعيسى عليه السلام . فكان الختم يضاهي البدء : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ ﴾ {آل عمران : ٥٩} . فختم بمثل مابه بدأ ، فكان البدء لهذا الأمر بنبي ، وختم به أيضاً .

ولما كانت أحكام سيدنا محمد ﷺ عند الله ، تخالف أحكام سائر الانبياء والرسل ، في البعث العام لكافة الخلق ، وتحليل الغنائم ، وطهارة الأرض ، وأتخاذها مسجداً ، ونُصر بالرعب ، وأُعطي الشفاعة ، وخُتمت به النبوة ، وأُوتي جوامع الكلم ، وأُوتي مفاتيح خزائن الأرض (١) ؛ لذا فقد

١- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿ **أُعْطِيتُ خَمْسًا ، لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي : نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ . وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا ، وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ . وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ . وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً ، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً . وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ** ﴾ . رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وابن أبي شيبة والبيهقي وأبو عوانة وابن حبان وعبد بن حميد واللالكائي . وفي رواية عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : ﴿ **بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ . وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ . وَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ ؛ أُتِيتُ بِمَفَاتِيحِ** =

عاد حكم كل نبي بعده حكم ولي ، واستحق أن يكون لولايته الخاصة ختم ؛ يواطىء اسمه اسمه ﷺ ، ويحوز خلقه ، وما هو بالمهدي المسمى المعروف المنتظر ، فإن ذلك من سلالته وعترته ، والختم ليس من سلالته الحسية ، ولكنه من سلالة أعراقه وأخلاقه ﷺ ، أما سمعت الله يقول : ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ﴾ {يونس : ٤٩} . وجميع أنواع المخلوقات في الدنيا أمم .

وقال : ﴿ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ {لقمان : ٢٩} . في ختام قوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ {لقمان : ٢٩} . فجعل لها ختاماً ، وهو انتهاء مدة الأجل .

فكان سيدنا محمد ﷺ :

- عين سابقة النبوة البشرية ، كما قال بقوله معرفاً إيانا : كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد (١) .

= خَزَائِنِ الْأَرْضِ ، فَوُضِعَتْ فِي يَدِي﴾ . رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والنسائي وأحمد وابن أبي شيبة والبيهقي وعبد الرزاق وأبو عوانة وأبو يعلى وابن حبان والطبراني وسعيد بن منصور واللالكائي .

١- هذا الحديث له روايات كثيرة نورد منها : ما أخرجه أحمد وابن أبي شيبة والبخاري في تاريخه والطبراني في الكبير والحاكم وصححه وأبو نعيم والبيهقي كل منهما في الدلائل وابن بطة العكبري والطحاوي في مشكل الآثار وابن بشران في أماليه والخلال في السنة والآجري في الشريعة والفريابي في القدر وابن قانع في معجمه عَنْ مَيْسَرَةَ الْفَجْرِ ﷺ ، قَالَ : =

- وهو ﷺ عين خاتم النبيين بقوله تعالى : ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ {الأحزاب : ٤٠} .
- وفي واقعة تبنيه ﷺ لزيد رضي الله عنه ، نفى الله عنه أن يكون أبا لأحد من رجالنا ، وقال فيه : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ {الأحزاب : ٤٠} . لرفع المناسبة ، وتمييز المرتبة .

ألا تراه ﷺ ما عاش له ولد ذكر من ظهره (١) ، تشريفا له ، لكونه سبق في علم الله تعالى أنه خاتم النبيين ! .

= قُلْتُ : يَا رَسُولَ الله ، مَتَى كُنْتَ نَبِيًّا ؟ . قَالَ : ﴿**وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالجسَدِ**﴾ . وأخرج الترمذي وصححه والحاكم وأبو نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل والآجري في الشريعة والفريابي في القدر واللالكائي وتمام والتبريزي وابن عساكر والخطيب كلاهما في التاريخ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالُوا يَا رَسُولَ الله مَتَى وَجَبَتْ لَكَ النُّبُوَّةُ ؟ . قَالَ : ﴿**وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالجسَدِ**﴾ . وفي رواية : ﴿**بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ وَنَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ**﴾ . وأخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وابن سعد عن قتادة رضي الله عنه مرسلا . ورفعه كل من الطبراني في مسند الشاميين وأبو نعيم في الدلائل وتمام في فوائده وابن عساكر عن قتادة ، عن الحسن ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ إذا قرأ : ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ** ... ﴾ {الأحزاب : ٧} . قال : ﴿**بدىء بي في الخير . وكنت آخرهم في البعث**﴾ . وفي رواية : ﴿**كنت أول الأنبياء في الخلق ، وآخرهم في البعث**﴾ .

١- انظر شرح الحديث الذي رواه أحمد في مسنده (وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح) وأبو نعيم الأصبهاني في المعرفة عن سيدنا أنس رضي الله عنه : ﴿**لَوْ عَاشَ إِبْرَاهِيم اِبْن النَّبِيّ** ﷺ ، **لَكَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا**﴾ . في فصل سيدنا إبراهيم عليه السلام من باب أهل البيت في هذا الكتاب .

- قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿**إِنَّ الرِّسَالَةَ وَالنُّبُوَّةَ قَدْ انْقَطَعَتْ ، فَلَا رَسُولَ بَعْدِي وَلَا نَبِيَّ**﴾ (١) .

﴿**إِنَّ الرِّسَالَةَ وَالنُّبُوَّةَ**﴾ يعني البعثة إلى الناس ، بالتشريع لهم .

﴿**قَدْ انْقَطَعَتْ**﴾ أي ما بقي من يُشرع له من عند الله حكم ، يكون عليه ، ليس هو شرعنا الذي جاءنا به سيدنا محمد ﷺ .

﴿**فَلَا رَسُولَ بَعْدِي**﴾ يأتي بشرع يخالف شرعي إلى الناس .

﴿**وَلَا نَبِيَّ**﴾ يكون على شرع ينفرد به من عند ربه ، يكون عليه . فصرح أنه ﷺ خاتم نبوة التشريع .

ولو أراد ﷺ غير ما ذكرناه ، لكان معارضاً لقوله إن عيسى عليه السلام ينزل فينا حكماً مقسطاً (٢) يَؤُمُّنَا بِنَا (٣) أي بالشرع الذي نحن عليه . ولا نشك فيه أنه عليه السلام رسول ونبي .

١- رواه الترمذي وصححه وأحمد والحاكم وصححه عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : ﴿**يُوشِكُ مَنْ عَاشَ مِنْكُمْ أَنْ يَلْقَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ، إِمَامًا مَهْدِيًّا ، وَحَكَمًا عَدْلًا ، فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ**﴾ . رواه أحمد والبيهقي وعبد الرزاق والحاكم وصححه والطبراني وأبو عوانة وأبو يعلى .

٣- قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿**كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ ، وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ**﴾ رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وأحمد والطبراني وأبو عوانة وابن حبان والبيهقي وابن منده عن أبي هريرة رضي الله عنه . وفي رواية أخرى عند مسلم في صحيحه وعبد الرزاق وأبو عوانة : ﴿**فَأَمَّكُمْ مِنْكُمْ**﴾ وفي معناها في رواية مسلم عن ابْن أَبِي ذِئْبٍ رضي الله عنه قال : فَأَمَّكُمْ بِكِتَابِ رَبِّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وَسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ ﷺ .

فعلمنا أنه ﷺ أراد أنه لا شرع بعده ينسخ شرعه . ودخل في أمته – بهذا القول – كل إنسان في العالم ، من زمان بعثته إلى يوم القيامة :

- فالخضر وإلياس وعيسى – عليهم السلام – من أمة سيدنا محمد ﷺ الظاهرة .
- ومن آدم عليه السلام إلى زمان بعثة رسول الله ﷺ من أمته الباطنة .

فهو ﷺ النبي بالسابقة ، وهو ﷺ النبي بالخاتمة .

فظهر في رسول الله ﷺ أن السابقة عين الخاتمة في النبوة .

فإن قلت : ومن الذي يستحق خاتم الأولياء ، كما اسْتُحِقَّ سيدنا محمد ﷺ خاتم النبوة ؟

الجواب : الختم ، ختمان :

• خَتْمٌ يَخْتِمُ اللهُ به الولاية على الإطلاق :

ختم الولاية العامة واحد ، وهو عيسى عليه السلام ، فهو الولي بالنبوة المطلقة في زمان هذه الأمة ، وقد حيل بينه وبين نبوة التشريع والرسالة ، فينزل في آخر الزمان ، وارثاً ، خاتماً ، لا وليَّ بعده . كما أن سيدنا محمداً ﷺ خاتم النبوة ، أي لا نبوة تشريع بعده ، وإن كان بعده مثل عيسى عليه السلام ؛ من أُولي العزم من الرسل ، ومن خواص الأنبياء ، ولكن زال حكمه من هذا المقام ، لحكم الزمان عليه ، الذي هو لغيره ، فينزل وليًّا ذا نبوة مطلقة ، يشاركه فيها الأولياء المحمديون . فهو مِنَّا ، وهو سيدنا . فيكون له حشر متعدد يوم القيامة :

- حشر كخاتم الأولياء ، مع الأولياء المحمديين رضي الله عنهم .
- وحشر كرسول من أولي العزم من الرسل ، مع الرسل ، صلوات الله عليهم .
- وحشر كنبي مع الأنبياء ، صلوات الله وسلامه عليهم .

ومن صفاته الأمانة ، وبيده مفاتيح الأنفاس ، وحاله التجريد والسياحة ، وهذا هو نعته عليه السلام في القرآن ، حيث كان يُحيي بالنفخ (١) ، وكان من

١- قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ ﴾ {المائدة : ١١٠} .

زهاد الرسل ، وكان حافظاً للأمانة ، مؤدياً لها ، ولهذا عادته اليهود .

وأما خاتمية عيسى عليه السلام ، فهو آخر رسول ظهر قبل سيدنا محمد ﷺ ، وآخر رسول غير مشرع ، يظهر كولي من أمة سيدنا محمد ﷺ ، قبل قيام الساعة .

وكان قد ظهر عليه السلام بصورة آدم عليه السلام في نشأته ، حيث قال تعالى : ﴿ **إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ** ﴾ {آل عمران : ٥٩} . حيث لم يكن عن أب بشري ، ولم يشبه الأبناء – أعني ذرية آدم – في النشئ . فإنه لم يلبث في البطن اللبث المعتاد ، فإنه لم ينتقل في أطوار النشأة الطبيعية بمرور الأزمان المعتادة ، بل كان انتقاله يشبه البعث – أعني إحياء الموتى يوم القيامة – في الزمان القليل ، على صورة من جاؤوا عليها في الزمان الكثير ، فإنه داخل تحت عموم قوله : ﴿ **كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ** ﴾ {الأعراف : ٢٩} . أي في التناسل والتنقل في الأطوار .

ثم إن عيسى عليه السلام إذا نزل إلى الأرض في آخر الزمان ، أعطاه الله تعالى ختم الولاية الكبرى ، من آدم إلى آخر نبي ، تشريفاً لحبيبه سيدنا محمد ﷺ .

فإنه من شرف سيدنا محمد ﷺ أن ختم الله ولاية أمته ، والولاية مطلقة ، بنبي رسول مكرم ، خُتم به مقام الولاية .

وختم الولاية المحمدي يختم الله تعالى به ولاية الأولياء ، لتتميز المراتب بين ولاية الولي ، وولاية الرسل ، وعلى هذا فإن خاتم الولاية المحمدي يكون ختماً لولاية عيسى عليه السلام من حيث أنه ولي .

واعلم أنه لابد من نزول عيسى عليه السلام ، ولابد من حكمه فينا بشريعة سيدنا محمد ﷺ ، يوحي الله بها إليه – من كونه نبياً – فإن النبيّ لا يأخذ الشرع من غير مرسله . فيأتيه الملك مخبراً بشرع سيدنا محمد ﷺ الذي جاء به سيدنا محمد ﷺ . وقد يلهمه إلهاما ، فلا يحكم في الأشياء بتحليل وتحريم ، إلا بما كان يحكم به رسول الله ﷺ لو كان حاضراً . ويرتفع اجتهاد المجتهدين بنزوله عليه السلام .

ولا يحكم عيسى عليه السلام فينا بشرعه الذي كان عليه ، في أوان رسالته ودولته ، فيما هو عالم بها من حيث الوحي الإلهي إليه ، بما هو رسول ونبي . وإنما يحكم بالشرع الذي كان عليه سيدنا محمد ﷺ .

وقد يكون له من الاطلاع على روح سيدنا محمد ﷺ ، كشفاً ، بحيث أن يأخذ عنه ما شرع الله له أن يحكم به في أمّته ﷺ ، فيكون عيسى عليه السلام صاحباً وتابعاً من هذا الوجه ، وهو عليه السلام – من هذا الوجه – خاتم

الأولياء ، فكان من شرف النبي ﷺ أن ختم الأولياء في أمّته نبي رسول مكرم ، هو عيسى ابن مريم عليه السلام .

فإنه – وإن كان ولياً في هذه الأمة المحمدية – فهو نبيّ ورسول في نفس الأمر ، فله يوم القيامة حشران :

- يُحشر في جماعة الأنبياء والرسل ، بلواء النبوّة والرسالة ، وأصحابه تابعون له ، فيكون متبوعاً كسائر الرسل .
- ويحشر أيضاً معنا وليًّا ، في جماعة أولياء هذه الأمة ، تحت لواء سيدنا محمد ﷺ تابعاً له ، مقدماً على جميع الأولياء ، من عهد آدم عليه السلام ، إلى آخر ولي يكون في العالم .

فجمع الله له بين الولاية والنبوّة .

وما في الرسل – يوم القيامة – من يتبعه رسول ، إلا سيدنا محمد ﷺ ، فإنه يحشر يوم القيامة في أتباعه عيسى عليه السلام .

وإن كان كل من في الموقف – من آدم فمن دونه – تحت لوائه ﷺ (١)

١- هذا الحديث له روايات كثيرة ، نذكر منها : ﴿آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ تَحْتَ لِوَائِي﴾ بهذا اللفظ رواه أحمد وأبو يعلى والبيهقي في الشعب وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما . والمروزي في تعظيم قدر الصلاة عن أنس بن مالك رضي الله عنه . وله رواية أخرى : ﴿آدَمَ فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لِوَائِي﴾ رواه الترمذي وصححه وابن عساكر عن أبي سعيد رضي الله عنه .

فذلك لواؤه العام ، وكلامنا هنا في اللواء الخاص بأمّته ﷺ .

- قال تعالى على لسان عيسى عليه السلام : ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ﴾ {مريم : (٣١ – ٣٣)} .

﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا ﴾ أي خصني بزيادة لم تحصل لغيري ، وتلك الزيادة ؛ ختمه عليه السلام للولاية ، ونزوله في آخر الزمان ، وحكمه بشرع سيدنا محمد ﷺ ، حتى يكون يوم القيامة ممن يرى ربه الرؤية المحمدية ، في الصورة المحمدية ! .

﴿ أَيْنَ مَا كُنتُ ﴾ من دنيا وآخرة ، فإنه عليه السلام ذو حشرين : يُحشر في صف الرسل ، ويُحشر معنا في أتباع سيدنا محمد ﷺ .

﴿ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ ﴾ أي بالصلاة المفروضة في أمة سيدنا محمد ﷺ ، أن أُقيمها ، لأنه جاء بالألف واللام فيها .

= وفي رواية أخرى : ﴿ **مَا مِن النَّاسِ مِنْ أَحَدٍ إِلا وَهُو تَحْتَ لِوَائِي** ﴾ رواه ابن عساكر في تاريخه وابن حجر في الفتح . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد حديث رقم ١٨٥١٢ عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه . وفي رواية أخرى : ﴿ **وَلَدُ آدَمَ كُلُّهُم تَحْتَ لِوَائِي** ﴾ رواه ابن عساكر عن حذيفة رضي الله عنه .

﴿وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ أيضاً كذلك .

﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ زمان التكليف ، وهو الحياة الدنيا .

﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى﴾ فأخبر أن لها شِقٌّ في خلقه ، فإن لأمّه عليه ولادة ، لما كانت محل تكوينه ، فقلَّت نسبته العنصرية في خلقه ، فكان أقرب إلى ربه ، فكان أحدث عهد بعبوديته لربه .

﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ إذ لا يكون ذلك إلا ممن تمكن فيه الجهل ، والجهل لا يكون إلا ممن قوي فيه سلطان الظلمة الطبيعية ، وأنا لست ممن هو كذلك .

﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ﴾ وذلك لعلمه عليه السلام بمرتبته من ربه ، وحظه منه .

﴿يَوْمَ وُلِدتُّ﴾ يعني أنه عليه السلام كانت له السلامة في ولادته ، من تأثير الشيطان عليه ، حيث وقع عليه السلام من بطن أمه ساجداً لله تعالى .

﴿وَيَوْمَ أَمُوتُ﴾ هنا تصريح بأنه عليه السلام يكذِّبُ من يفتري عليه بأنه قُتل ، فلم يَقُلْ : ويوم أُقتل . وهو تصريح أيضا بأنه عليه السلام سيظهر في حياتنا الدنيا مرة أخرى ، بعد رفعه ، كولي في الأمة المحمدية ، وأنه سيكون له مقام ختم الولاية العامة ، وأنه سيكتب عليه بعدها الموت .

﴿وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ يعني في القيامة الكبرى ، فأكد موته .

• وَخَتْمٌ يَخْتِمُ اللهُ بِهِ الولاية المحمدية :

ختم الولاية المحمدية واحد . لا في كل زمان ، بل هو واحد في العالم ، يختم الله به الولاية المحمدية ، فلا يكون في الأولياء المحمديين أكبر منه .

وختم الولاية المحمدية هو أعلم الخلق بالله من الأولياء ، لأنه عين مظهر رسول الله ﷺ .

ولا يكون في زمانه ، ولا بعد زمانه ، أعلم بالله ، وبمواقع الحكم ، منه .

فكما أن الله ختم بسيدنا محمد ﷺ نبوة الشرائع ؛ كذلك ختم الله بهذا الختم المحمدي الولاية ، التي تحصل من الوارث المحمدي ، لا التي تحصل من سائر الأنبياء .

فإن من الأولياء من يرث إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام (١) ، فهؤلاء يوجدون بعد هذا الختم المحمدي ، وبعده لا يوجد ولي على قلب سيدنا محمد ﷺ ، هذا معنى خاتم الولاية المحمدية .

١- ورد عن ابن مسعود ، رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ ، قال : ﴿ **إن لله عز وجل في الخلق : ثلاثمائة ، قلوبهم على قلب آدم** عليه السلام . **ولله في الخلق : أربعون ، قلوبهم على قلب موسى** عليه السلام . **ولله في الخلق : سبعة ، قلوبهم على قلب إبراهيم** عليه السلام ﴾ . أخرجه أبو نعيم في الحلية وابن عساكر وابن حجر في القول المسدد عن ابن مسعود رضي الله عنه . وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ، رضي الله عنه ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿ **لا يَزَالُ أَرْبَعُونَ رَجُلا مِنْ أُمَّتِي قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ إِبْرَاهِيمَ ، يَدْفَعُ اللهُ بِهِمْ عَنْ أَهْلِ الأَرْضِ** ﴾ . رواه الطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية وفي المعرفة .

وأما الصفة التي استحق بها خاتم الولاية المحمدية أن يكون خاتماً ؛ فبتمام مكارم الأخلاق مع الله ، وجميع ماحصل للناس من جهته من الأخلاق ؛ فمن كون ذلك الخُلُق موافقاً لتصريف الأخلاق مع الله .

وإنما كان ذلك كذلك لأن الأغراض مختلفة ، ومكارم الأخلاق عند من يتخلق بها معه ؛ عبارة عن موافقة غرضه ، سواء حُمِد ذلك عند غيره أو ذم . فلما لم يتمكن في الوجود تعميم موافقة العالم ، بالجميل الذي هو عنده جميل ، نظر في ذلك نظر الحكيم ، الذي يفعل ما ينبغي ، كما ينبغي ، لمن ينبغي له . فنظر في الموجودات ، فلم يجد صاحباً مثل الحق ، ولا صحبة أحسن من صحبته (١) ، ورأى أن السعادة في معاملته ، وموافقة إرادته ، فنظر فيما حدَّه وشرعه ، فوقف عنده ، واتبعه .

وكان من جملة ما شرعه أن علمه كيف يعاشر ما سوى الله ، من ملَكٍ مطهر ، ورسول مكرم ، وإمام جعل الله أمور الخلق بيده ، من خليفة وغيره ، إلى صاحب وصاحبة وقرابة وولد وخادم ودابة وحيوان ، ونبات وجماد ، فراعى جميع من ذكرناه بمراعاة الصاحب الحق ، فما صرف الأخلاق إلا مع

١- قال ﷺ في مناجاته لربه : ﴿ **اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ** ﴾ . رواه مسلم وأبو داود والترمذي وأحمد والبيهقي في السنن وعبد الرزاق والنسائي عن ابن عمر ﷺ . وأبو داود والترمذي والنسائي وأحمد عن أبي هريرة ﷺ . والترمذي وأحمد والبيهقي في السنن والنسائي عن عبد الله بن سرجس ﷺ . وأحمد وابن أبي شيبة عن ابن عباس ﷺ . والنسائي عن البراء ﷺ .

سيده ، فلما كان بهذه المثابة ، قيل فيه مثل ما قيل في رسوله ﷺ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ {القلم : ٤} . فهو والقرآن إخوان . سُئِلت أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها عن خُلُقِ رسول الله ﷺ ، فقالت : ﴿ كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ ﴾ (١) يحمد ما حمد الله ، ويَذِمُّ مَا ذَمَّ اللهُ .

والخُلُقُ : هو النعت والصفة ، وكمال الاتصاف بالصفة ؛ أن يصبح الموصوف عين الصفة . لذلك قيل فيه ﷺ أنه كان قرآنا يمشي على الأرض . يمشي بين الناس بلسان حق ، وهو في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

فلما طابت أعراقه ، وعمَّ العالم أخلاقه ، ووصلت إلى جميع الآفاق أرفاقه ، استحق أن يُختم بمن هذه صفته الولاية المحمدية ، جعلنا الله ممن مهد له سبيل هداه ، ووفقه للمشي عليه ، وهداه .

١- رواه البخاري في الأدب المفرد والنسائي وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن يزيد بن بابنوس عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها وأخرجه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد ومسلم وابن المنذر والحاكم وابن مردويه عن سعد بن هشام عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها . وأخرجه ابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن أبي الدرداء عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها . وأخرجه ابن مردويه عن عبد الله بن شقيق العقيلي عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها . وأخرجه ابن مردويه عن زينب بنت يزيد بن وسق عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها .

فخاتم الولاية المحمدية هو الختم الخاص لولاية أمة سيدنا محمد ﷺ الظاهرة . ومنزلة خاتم الولاية المحمديه من رسول الله ﷺ منزلة شعرة واحدة من جسده ﷺ ، ولهذا يُشعَر به إجمالاً ، ولا يُعلَم به تفصيلاً ، إلا من أعلمه الله به ، أو من صدقه ، أن عرفه بنفسه في دعواه ذلك ، فلذلك عُرِف بأنه شعرة من الشعور .

ومثال الشعور أن ترى بابا مغلقاً على بيت ، أو صندوقاً مغلقاً ، فتحس فيه بحركة تؤذن أن في ذلك البيت مخلوقا ، ولكن لا يُعلم أي نوع هو من أنواع المخلوقات ، أو يشعر به إنسان ، ولا يعرف له عيناً ، فيفصّله من غيره ، كما نعلم بثقل الصندوق أنه يحتوي على شيء أثقله ، لا يعلم ما هو ذلك الشيء المختزن في ذلك الصندوق ، فمثل هذا يسمى شعور ، لهذا الخفاء .

ومقام ختم الولاية المحمدية هذا ، كان أملا لكبار الأولياء يتطلعون إليه ، كالشيخ محيي الدين بن عربي رضي الله عنه ، حيث قال عن نفسه في الباب الخامس والستون من كتاب الفتوحات المكية : (فكنت بمكة سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، أرى فيما يرى النائم الكعبة ، مبنية بلبن فضة وذهب ، لبنة فضة ولبنة ذهب ، وقد كملت بالبناء ، وما بقي فيها شيء ، وأنا أنظر إليها وإلى حسنها ، فالتفتُّ إلى الوجه الذي بين الركن

اليماني والشامي ، هو إلى الركن الشامي أقرب ، فوجدت موضع لبنتين ، لبنة فضة ولبنة ذهب ، ينقص من الحائط في الصفين ؛ في الصف الأعلى ينقص لبنة ذهب ، وفي الصف الذي يليه ينقص لبنة فضة ، فرأيت نفسي قد انطبعت في موضع تلك اللبنتين ، فكنت أنا عين تينك اللبنتين ، وكمل الحائط ، ولم يبق في الكعبة شيء ينقص ، وأنا واقف أنظر ، وأعلم أني واقف ، وأعلم أني عين تينك اللبنتين ، لا أشك في ذلك ، وأنهما عين ذاتي . واستيقظت ، فشكرت الله تعالى ، وقلت – متأوّلا : أني في الأتباع – في صنفي – كرسول الله ﷺ في الأنبياء عليهم السلام ، وعسى أن أكون ممن ختم الله الولاية بي : ﴿ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ {إبراهيم : ٢٠}) اهـ .

ولكن لما تحقق الشيخ محيي الدين بمعرفة هذا الختم ، وعلم أنه ليس هو ، وعلم أن هذا المقام محفوظ لغيره ، وأنه لا يُنال بالتطلع ، وأنه صفة وهبية صِرفة ، لا دخل للكسب فيها ، وصف لنا لقاء روحانيا دار بينه وبين هذا الختم ، في موضع آخر من كتاب الفتوحات المكية ، حيث قال :

(وهذا المقام لرجل من العرب ، من أكرمها أصلاً ويداً ، وهو في زماننا اليوم موجود ، عرفت به سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، ورأيت العلامة التي له ، قد أخفاها الحق فيه عن عيون عباده ، وكشفها لي

بمدينة فاس ، حتى رأيت خاتم الولاية منه ، وهو خاتم النبوة المطلقة ، لا يعلمها كثير من الناس ، وقد ابتلاه الله بأهل الإنكار عليه ، فيما يتحقق به من الحق في سره ، من العلم به ، ... ، وقد جمعت بين صاحبي عبد الله ، وإسماعيل بن سودكين ، وبين هذا الختم ، ودعا لهما ، وانتفعا به ، والحمد الله) اهـ .

• القطب المكتوم :

قال الشيخ محيي الدين ﷺ في كتاب عنقاء مغرب : (**سألت الله أن أجتمع بخاتم الأولياء ، فأجابني ، واجتمعت به اجتماعا روحانيا ، منزها عن الزمان ، وكان بمدينة فاس ، ورأيت العلامة التي أخفاها الله فيه عن عباده ، وكشفها لي ، حتى رأيت خاتم الولاية منه ، ورأيته مبتلى بالإنكار عليه ، لما يتحقق به في سره من العلوم اللدنية . وكان ذلك سنة ٥٩٥ ، وكنيته أبو العباس ، وإنه مكتوم الإسم عنهم ، ثم قبلت يده الكريمة ، وسألته الدعاء ، وانصرفت**) اهـ .

وهذا هو مقام الكتم ، أي أن اسمه مكتوم ، ومقامه أيضا مكتوم ، لا يعرفه أحد من أكابر الأقطاب والأولياء ، إلا من يطلعه الله تعالى عليه .

أخبر سيدي محيي الدين بن عربي ﷺ أن القطب المكتوم خاتم الأولياء بفاس ، ولم يدَّع هذا المقام بفاس إلا سيدي أحمد بن محمد التجاني ، وقال أنه مبتلى بالإنكار عليه ، وكان كذلك ، وقال أن كنيته أبو العباس وهو كذلك ، رضي الله عنه وأرضاه ، ورضي عنا به .

وكما أن خاتم النبيين ﷺ بُعث للناس كافة ، وأن شريعته نسخت جميع الشرائع ، وورد عنه ﷺ أنه قال : ﴿ **وَاللهِ لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ** ؛

مَا حَلَّ لَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي﴾ (١) .

فكذلك خاتم الأولياء ؛ نسخت طريقته جميع الطرق ، فلو أن أكابر الأولياء يشمون منه رائحة ؛ لما وسعهم إلا اتباعه ، والدخول في طريقته ، وكذا يفعل آخرهم ، وهو المهدي المنتظر .

من أقوال سيدي أحمد التجاني ﷺ :

- **[أخبرني سيد الوجود ﷺ ، بأني أنا القطب المكتوم ، منه ، إلي ، مشافهة ، يقظة ، لا مناما]** .
- **[إن جميع الأولياء يدخلون زمرتنا ، ويأخذون أورادنا ، ويتمسكون بطريقتنا ، حتى الإمام المهدي إذا قام آخر الزمان ، يأخذ عنا ، ويدخل زمرتنا ، بعد مماتنا وانتقالنا إلى دار البقاء]** .
- **[طريقتنا تنسخ جميع الطرق ، وتبطلها ، ولا تدخل طريقة على طريقتنا]** .
- **[منذ خلق الله الأرواح ، والروح الشريف ﷺ يمد الأنبياء والرسل ، وروحي تمد الأقطاب والأولياء]** .

١- رواه أحمد في مسنده وأبو يعلى وابن أبي شيبة والدارمي والديلمي والسجزي عن جابر بن عبد الله ﷺ .

- **[أنا سيد الأولياء ، كما كان النبي ﷺ سيد الأنبياء ، فلا يشرب ولي ولا يُسقى إلا من بحرنا ، من نشأة العالم إلى النفخ في الصور]** .
- **[أنا الذي إذا كان يوم القيامة ؛ ينادي مناد في الموقف : يا أهل الموقف هذا إمامكم ، الذي مددكم منه ، من نشأة العالم إلى الآن]** .

والقطب المكتوم : هو الواسطة بين خاتم الأنبياء وما عداه من الأولياء ، فهو برزخ عظيم ، قد حاز جميع البرازخ ، مكتوم مشربه عن الجميع ، حتى عن الأنبياء والملائكة والأولياء ، إلا المصطفى ﷺ ، وطريقته ورجالها أيضا مكتومة مقاماتهم ، وراثة أحمدية .

وقد بلغ رضي الله عنه مرتبة القطبانية العظمى ، التي هي الختمية ، أول المحرم سنة ١٢١٤ هـ .

وبلغ رضي الله عنه مرتبة الكتمية في ١٨ صفر من نفس السنة .

فالحمد لله الذي جعلنا على طريقته ومن مريديه ومحبيه رضي الله عنه .

ومجمع القول أن الولاية هي على قسمين :

- ولاية ظاهرة لأهل الأمر والتصريف الظاهر ، وهي معروفة ، وهذه الولاية تختم على الإمام العادل المسمى بالمهدي المنتظر .

- وولاية باطنة لأهل التصريف الباطن ، وهي أيضا تنقسم إلى قسمين :

١- ولاية باطنة عامة ، من آدم عليه السلام إلى سيدنا عيسى عليه السلام ، وعليه تختم حين ينزل في آخر الزمان .

٢- وولاية باطنة خاصة ، وهي من خاتم النبيين ﷺ ، إلى خاتم الولاية الخاصة ، الختم الأكبر ، سيدي أبي العباس أحمد التجاني رضي الله عنه .

الإنسان الكامل

مدحتك للأسماء مدح مُعَرِّفٍ وقمت به في موقف العدل منشدا
وها أنا أتلو في مديحك ألسنا تعز على من كان في العلم قد شدا
ولم أغل بل قلت الذي قال ربنا وجئت به فضلا مبينا لأرشدا
مدحتك بالأسماء أسماء ربنا ولم ألتفت عقلا ورأيا مسددا
بأنك عبد الله بل أنت كونه وأنت مضاف الكاف شرعا وما عدا
فعينك عين السر والسمع سمعه وأنت كبير الكل للعين إن بدا
وأنت الذي أكني إذا قلت كنية وأنت الذي أعني إذا ما تمجدا
لقد خصك الرحمن بالصورة التي روينا ولم ينزل لنا ذكرها سدى
ولما اصطفاك الله عبدا مقربا أراك الذي أعطى عليك وأشهدا

قال حجة الإسلام الإمام الغزالي ﷺ : **(ليس في الإمكان أبدع مما كان)**(١) .

١- قال القطب المكتوم والختم المحمدي سيدي أحمد التجاني ﷺ حينما سئل عن قول حجة الإسلام (ليس في الإمكان أبدع مما كان) : [اعلم أنه ليس في الإمكان أشرف وأعلى وأجمل وأكمل من صورة الكون كله إلا سيدنا محمد ﷺ لأنه ﷺ خلق من السر المكتوم ، والدليل على شرفه من النقل قوله ﷺ : ﴿ **أنا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ ولا فخر** ﴾] اهـ .

فليس هناك أكمل من الصورة التي ظهر عليها الإنسان الكامل ، فلو كان لكان في العالم ما هو أكمل من الصورة ، التي هي الحضرة الإلهية .

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ﴿ كَمَلَ مِنْ الرِّجَالِ كَثِيرٌ ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنْ النِّسَاءِ إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ ﴾ (١) .

الكمال عبارة عن اللحوق بالدرجات العُلَى ، وهو التشبه بالأصل ، والمسامتة له ، والانطباع على الأنموذج المحمدي ، وهو ما تطلق عليه الطائفة الفناء فيه ﷺ .

فيصبح هو (من) الرسول ﷺ ، والرسول ﷺ (منه) . وقد صح عنه ﷺ أنه قال في بعض الصحابة ؛ رجالاً ونساءً : هَذَا **﴿مِنِّي ، وَأَنَا مِنْهُ﴾** (٢) .

١- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والترمذي وابن ماجة وأحمد وابن أبي شيبة والنسائي وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني والطبراني في الكبير وأبو يعلى وابن حبان وعبد بن حميد والطيالسي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

٢- قالها رسول الله ﷺ في حق جليبيب رضي الله عنه . فيما رواه مسلم في صحيحه وأحمد والبيهقي عن أبي برزة رضي الله عنه . وقالها ﷺ في حق من لم يعن الظالمين على ظلمهم . فيما رواه عنه الترمذي وحسنه والنسائي وأحمد وابن أبي شيبة والبيهقي والحاكم عن كعب بن عجرة رضي الله عنه . وأحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . وأحمد عن النعمان بن بشير رضي الله عنه . وأحمد والطبراني في الكبير عن حذيفة رضي الله عنه . وقالها ﷺ في حق سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . فيما رواه الترمذي وحسنه وأحمد والحاكم عن عمران بن حصين رضي الله عنه . وابن ماجة وأحمد وابن أبي شيبة والطبراني في الكبير عن حبشي بن جنادة رضي الله عنه . وأحمد والحاكم =

وهذا الوصف معناه في التحقيق : أن صاحبه اتبع النبي ﷺ اتباعاً دقيقاً ، حتى انطبع على الأنموذج المحمدي ، فأصبح صورة من الرسول ﷺ في مرآة الحق ، كل يرى نفسه فيه عين الآخر ، أي أنه أصبح تعدداً للرسول ﷺ . ولو كان هذا الحديث مقتصرا فقط على الاتباع ، دون الطبع على الأنموذج ، لاقتصر الحديث على كلمة ﴿**مِنّي**﴾ ولم يزد ﴿**وَأَنَا مِنْهُ**﴾ ! .

ولا يُتخيل من قول النبي ﷺ تساوي الكمل من الأنبياء والأولياء ، فهم متفاوتون في الكمال ، فمنهم الكامل والأكمل ، فبنص الحديث اجتمع الرجال والنساء في درجة الكمال ، وفضل الرجل بالأكملية ، لا بالكمالية . فإن كملا بالنبوة ، فقد فضل الرجل بالرسالة والبعثة ، ولم يكن للمرأة درجة البعثة والرسالة ، مع أن المقام الواحد المشترك يقع التفاضل – في أصحابه – بينهم فيه ، كما قال تعالى : ﴿**تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ**﴾ {البقرة : ٢٥٣} . وقال : ﴿**وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ**

= والطبراني في الكبير عن ابن عباس ﷺ . وأحمد عن يحيى بن آدم السلولي ﷺ . وأحمد عن بريدة ﷺ . وقالها ﷺ في حق العباس ﷺ . فيما رواه الترمذي وصححه وأحمد والنسائي والطبراني في الكبير عن ابن عباس ﷺ . وقالها ﷺ في حق الحسين بن علي ﷺ . فيما رواه الترمذي وحسنه وابن ماجة وأحمد وابن أبي شيبة والحاكم وصححه وابن حبان والطبراني في الكبير وأبو نعيم في المعرفة عن يعلى بن مرة ﷺ . وقالها ﷺ في حق درة بنت أبي لهب رضي الله عنها . فيما رواه أحمد (وقال الهيثمي رجاله ثقات) والطحاوي في مشكل الآثار عن درة رضي الله عنها .

عَلَىٰ بَعۡضٖۖ ﴾ {الإسراء : ٥٥} . ولم يتعين أحد منهم بما تعين به ﷺ في هذا الوجود ، من الكمال الذي قُطع له ، بانفراده فيه ، شهدت له بذلك أخلاقه وأحواله وأفعاله وبعض أقواله ﷺ .

فسيدنا محمد ﷺ هو **الإنسان الكامل** ، والباقون من الأنبياء وكمل الأولياء صلوات الله عليهم ؛ ملتحقون به لحوق الكامل بالأكمل ، ومنتسبون إليه انتساب الفاضل إلى الأفضل ، ولكن مطلق لفظ **الإنسان الكامل** – حيث وقع – إنما أريد به المصطفى ﷺ .

اعلم حفظك الله أن **الإنسان الكامل** هو القطب ، الذي تدور عليه أفلاك الوجود ، من أوله إلى آخره ، وهو واحد منذ كان الوجود إلى أبد الآبدين . ثم له تنوع في ملابس ، فيُسمى به باعتبار لباس ، ولا يُسمى به باعتبار لباس آخر ، فاسمه الأصلي : محمد . وكنيته : أبو القاسم . ووصفه : عبد الله . ثم له باعتبار ملابس أخرى أسماء أخر ، وله في كل زمان اسم ما يليق بلباسه في ذلك الزمان . وهو قوله ﷺ : ﴿ فَإِنِّي أُرَى فِي كُلِّ صُورَةٍ ﴾ (١) .

١- رواه الديلمي في مسند الفردوس عن أبي هريرة رضي الله عنه . وورد هذا الحديث في كنز العمال تحت رقم (٤١٤٨٨) حيث قال المتقي الهندي : خرجه أبو نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه . وأورده الحافظ بن حجر العسقلاني في الفتح والسيوطي في الديباج على صحيح مسلم حيث قال خرجه ابن أبي عاصم عن أبي هريرة رضي الله عنه .

فرسول الله ﷺ له من التمكن في التصور بكل صورة ، حتى يتجلى في هذه الصورة ، وقد جرت سنته ﷺ أنه لا يزال يتصور في كل زمان بصورة أكملهم ، ليعلي شأنهم ، ويقيم ميلانهم ، فهم خلفاؤه في الظاهر ، وهو في الباطن حقيقتهم .

واعلم أن الإنسان الكامل مقابل لجميع الحقائق الوجودية بنفسه ، فيقابل الحقائق العلوية بلطافته ، ويقابل الحقائق السفلية بكثافته ، فلا يزال يقابل كل حقيقة من حقائق الوجود برقيقة من رقائقه .

فسيدنا محمد ﷺ هو المدعو بفرد من أفراد بني آدم ، عبد الله ، ورسوله المعظم ، ونبيه المكرم ، ورداؤه المعلَّم ، وطرازه الأفخم ، وسابقه الأقدم ، وصراطه الأقوم ، مجلى مرآة الذات ، منتهى الأسماء والصفات ، مهبط أنوار الجبروت ، منزل أسرار الملكوت ، فخر التسامي والترقيات ، شمس العلم والدراية . بدر الكمال والنهاية . نجم الاجتباء والهداية . نار حرارة الإرادة . ماء حياة الغيب والشهادة . ريح صبا نفس الرحمة والربوبية . طينة أرض الذِّلة والعبودية . ذو السبع المثاني ، صاحب المفاتيح والثواني . مظهر الكمال ، ومقتضى الجمال والجلال .

صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ، القائمين عنه في أحواله ، النائبين منابه في أفعاله وأقواله .

فالإنسان الكامل هو مرآة الحق ، فإن الحق تعالى أوجب على نفسه أن لا تُرى أسماؤه وصفاته إلا في الإنسان الكامل ، وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ {الأحزاب : ٧٢} .

(ظلوما) : يعني قد ظلم نفسه ، بأن أنزلها عن تلك الدرجة .

(جهولا) : يعني بمقداره ، لأنه محل الأمانة الإلهية ، وهو لا يدري .

ويكون الإنسان الكامل فراغ عن متعلقاته كالأسماء والصفات ، فلا يكون له إليهم نظر ، بل يكون متجردا عنهم ، لا يعلم في الوجود غير هويته بحكم اليقين والكشف ، ويشهد صدور الوجود كله ؛ أعلاه وأسفله منه ، ويرى متعددات أمر الوجود في ذاته ، كما يرى أحدنا خواطره وحقائقه .

اعلم أن الله تعالى قد اعتنى بالإنسان غاية العناية ، ما لم يعتن بمخلوق ، بكونه جعله خليفة ، وأعطاه الكمال بعلم الأسماء (١) . وخلقه على

١- قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ {البقرة : ٣١} . وانتبه في هذه الآية إلى كلمة (كلها) .

الصورة الإلهية (١) . وأكمل من الصورة الإلهية ما يمكن أن يكون في الوجود .

اعلم أن الله لما أحب أن يُعرف ؛ لم يمكن أن يعرفه إلا من هو على صورته ، وما أوجد الله على صورته أحد إلا الإنسان الكامل ، لا الإنسان الحيوان . فإذا حصل حصلت المعرفة المطلوبة . فأوجد ما أوجد من الأسباب لظهور عين الإنسان الكامل ، فاعلم ذلك .

واعلم أن العالم كله ، لولا الإنسان الكامل ، ما وُجِد (٢) ، وأنه بوجوده

١- قال رسول الله ﷺ : ﴿خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ﴾ رواه البخاري ومسلم وأحمد والدارقطني في الصفات وعبد الرزاق وأبو عوانة والحميدي وابن حبان وعبد بن حميد والطبراني في مسند الشاميين والبيهقي في الأسماء والصفات وابن خزيمة وابن منده كلاهما في التوحيد وابن أبي عاصم في السنة والآجري في الشريعة عن أبي هريرة ﷺ . وعبد بن حميد عن أبي سعيد ﷺ . وابن أبي عاصم في السنة والدارقطني في الصفات عن ابن عمر ﷺ .

٢- أخرج الطبراني في المعجم الصغير والحاكم وأبو نعيم والبيهقي في الدلائل وابن عساكر عن عمر بن الخطاب ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿لَمَّا أَذْنَبَ آدَمُ بِالذَّنْبِ الذي أَذْنَبَهُ ، رَفَعَ رَأْسَهُ إلى السَّمَاءِ فَقَالَ : أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ إِلَّا غَفَرْتَ لي ؟ . فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ : وَمَنْ مُحَمَّد ؟ فَقَالَ : تَبَارَكَ اسْمُكَ . لَمَا خَلَقْتَني رَفَعْتُ رَأْسِي إلى عَرْشِكَ فَإِذَا فِيهِ مَكْتُوبٌ : "لا إِلَهَ إلا اللهُ مُحَمَّدُ رَسُولُ الله" . فَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَعْظَمَ عِنْدَكَ قَدْراً مِمَّنْ جَعَلْتَ اسْمَهُ مَعَ اسْمِكَ . فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ : يَا آدَمُ إِنَّهُ آخِرُ النَّبِيين مِنْ ذُرِّيَتِكَ ، وَلَوْلَا هُوَ مَا خَلَقْتُكَ﴾ . وروى الديلمي في الفردوس عن ابن عمر ﷺ . قال رسول الله ﷺ : ﴿أَتَاني جِبرِيلُ ﷺ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ :=

صح المقصود من العلم الحادث بالله ، والوجود الحادث الذي هو على صورة الوجود القديم ، واعلم أن العلم المحدث بالله – الذي هو على صورة العلم القديم بالله – لا يتمكن أن يكون إلا لمن هو في خلقه على الصورة ، وليس غير **الإنسان الكامل** ، ولهذا سمي كاملاً ، وأنه روح العالم ، والعالم مسخر له ، علوه وسفله ، وأن الإنسان الحيوان من جملة العالم المسخر له ، وأنه يشبه **الإنسان الكامل** في الصورة الظاهرة ، لا في الباطن من حيث الرتبة ، كما يشبه القرد الإنسان في جميع أعضائه الظاهرة ، فتأمل درجة الإنسان الحيوان من درجة **الإنسان الكامل** .

= **لَوْلاكَ مَا خَلَقْتُ الجَنَّةَ وَلَوْلاكَ لَمَا خَلَقْتُ النَّارَ** ﴾ . كما روى الديلمي عن ابن عباس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿**يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : وَعِزَّتِي وَجَلالِي : لَوْلاكَ مَا خَلَقْتُ الجَنَّةَ ، وَلَوْلاكَ مَا خَلَقْتُ الدُّنْيَا**﴾ . وروى ابن عساكر في تاريخه عن سلمان الفارسي ﷺ قال : هبط جبريل عليه السلام على النبي ﷺ فقال : إن ربك يقول لك : ﴿**إن كنت اتخذت إبراهيم خليلا ، فقد اتخذتك حبيبا ،...، وما خلقت خلقا أكرم علي منك ، ....، ولقد خلقت الدنيا وأهلها ؛ لأعرفهم كرامتك ومنزلتك ، ولولاك ما خلقت الدنيا**﴾ . وفي "فتاوي شيخ الإسلام البلقيني" و "شفاء الصدور" لابن سبع ، عن الإمام علي كرم الله وجهه عن النبي ﷺ عن الله عز وجل أنه قال : ﴿**يا محمد – وعزتي وجلالي – لولاك ما خلقت أرضي ولا سمائي ، ولا رفعت هذه الخضراء ، ولا بسطت هذه الغبراء**﴾ . قال : وذكر المصنفان المذكوران في رواية أخرى ، عن الإمام علي كرم الله وجهه أن الله تعالى قال لنبيه ﷺ : ﴿**من أجلك أَبْطَحُ البَطْحَاءَ ، وَأُمَوِّجُ المَاءَ ، وأرفع السماء ، وأجعل الثواب والعقاب ، والجنة والنار**﴾ .

واعلم من أي الأناسي أنت ، فإنك على استعداد قبول الكمال لو عقلت ، ولهذا تعين التنبيه والإعلام من العالم ، فلو لم تكن على استعداد يقبل الكمال ، لم يصح التنبيه ، ولكان التعريف بذلك عبثاً وباطلاً ، فلا تلومن إلا نفسك في عدم القبول لما دُعيت إليه ، فإن الداعي ما دعا إلا على بصيرة (١) ، ليلحقك بذاته في البصيرة .

فإذا علمت هذا ، وأشهدك الحق نسبة العالم إليك ، بقي عليك أن تعلم نسبة الحق إليك ، ونسبتك إليه . فيوقفك الحق على نسبة الأسماء الإلهية إليك ، لتحصل لك الصورة المقصودة ، فتنطلق عليك جميع الأسماء الإلهية التي تنطلق عليه تعالى ، لا يفوتك منها اسم ، بوجه من الوجوه .

فالإنسان الكامل له الاسم الخليفة مما اختص به هذا المثل الكوني ، وأسماء الحق الباقية مركبة من روح وصورة . فمن حيث صورتها تدل بحكم المطابقة على الإنسان ، ومن حيث روحها ومعناها تدل بحكم المطابقة على الله ، ولنا حالة ، وله حالة ، والأسماء تتبع تلك الأحوال ؛ فلنا التجريد عن الصور متى شئنا ، فالذي لنا من ذاتنا الصور ، ولكن من حقيقة ذاتنا أيضاً التجرد عنها متى شئنا ، فتتبعنا الأسماء في حال تجريدنا من حيث أرواحها المجردة عن صورها ، وله التباس بالصور ، وهو بالذات

١- قال تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾ {يوسف : ١٠٨} .

غير صورة ، وبالذات أيضاً يقبل التجلي لنا في الصور ، فتتبعه الأسماء عينها من حيث صورها ، إذا لبس الصورة متى شاء . فالأمر بيننا وبينه على السواء ، مع الفرقان الموجود المحقق ؛ بأنه الخالق ، ونحن المخلوقون ، وهو الله ، وأنا الإنسان الخليفة . فيشركنا في الخلافة لتحقق الصورة ، فإنه أمرنا أن نتخذه وكيلاً ، والوكالة : خلافة . فالمختص به ، الذي يتميز به عنَّا الاسم (الله) صورةً ومعنىً ، فإذا تجلى في الصورة انطلق عليه – بحكم المطابقة – صورة الاسم (الله) ، وإذا بقي على ما هو عليه ، من غير تقييد بصورة ، انطلق عليه روح الاسم (الله) .

قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ {البقرة : ٣١} . ولفظة (كلها) تقتضي الإحاطة والعموم . وقال رسول الله ﷺ في دعائه ربه : ﴿ **أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ : سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ ، ...** ﴾ (١) . فهذه إضافة حقيقية ، وهي إضافة الشيء إلى نفسه .

لما ذكر لفظتين مختلفين ، صحت الإضافة ، كحق اليقين ، وعلم اليقين ، والعين واحدة ، وهي لفظة النفس ، وكاف الخطاب ، في قوله : (نفسك) .

١- رواه أحمد في مسنده وابن حبان والحاكم وصححه والطبراني في الكبير وفي الدعاء وأبو يعلى والبزار وابن أبي شيبة والحارث وابن أبي الدنيا في الفرج والتبريزي في مشكاة المصابيح عن ابن مسعود ﵁ . وابن عساكر في تاريخه عن ابن عمر ﵄ .

فالإنسان الكامل محل الأسماء كلها ، التي في قوَّته قبولها ، وما ليس في قوَّته قبولها فلا يتمكن له قبولها ، فليس ذلك من الأسماء التي يقال فيها أنه نقص عنها ، كالأسماء التي يختص بها الإنسان ، ولا يجوز أن تطلق على الله ، ولا يقال أن الله قد نقصه هذا الاسم أن يطلق عليه ، فمعنى ﴿ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ {البقرة : ٣١} . كل اسم في حقيقة هذا المسمى أن يقبله ، فاعلم ذلك . فمن علم نسبة الأسماء الإلهية إلى الإنسان كيف هي ، ونسبة الأسماء الكونية إلى الله كيف هي ، علم مرتبة الإنسان ، وتميزه عن العالم كله ، وشرفه بما هو عليه من الجمعية .

ولما لم يتمكن أن يكون كل إنسان له مرتبة الكمال المطلوبة في الإنسانية ، وإن كان يفضل بعضهم بعضاً :

فأدناهم منزلة : من هو إنسان حيواني .

وأعلاهم منزلة : من هو ظل الله ، وهو الإنسان الكامل ، نائب الحق : يكون الحق لسانه وجميع قواه (١) .

١- هذا الحديث وردت له روايات متعددة عن أبي هريرة وعن أبي أمامة وعن أم المؤمنين السيدة عائشة وأم المؤمنين السيدة ميمونة رضي الله عنهم نذكر اثنين منها :

أولا : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿ **إِنَّ اللهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ** =

وما بين هذين المقامين مراتب :

- ففي زمان الرسل يكون الكامل رسولاً .
- وفي زمان انقطاع الرسالة يكون الكامل وارثاً .

ولا ظهور للوارث مع وجود الرسول ، إذ الوارث لا يكون وارثاً إلا بعد موت من يرثه ، فلم يتمكن للصاحب – مع وجود الرسول – أن تكون له هذه المرتبة ، فالأمر ينزل من الله على الدوام ، لا ينقطع ، فلا يقبله إلا الرسل خاصة ، فإذا فُقدوا ؛ حينئذ وُجد ذلك الاستعداد في غير الرسل ، فقبلوا ذلك التنزل الإلهي في قلوبهم ، فَسُمُّوا ورثة .

لم ينطلق عليهم اسم رسل ، مع كونهم يخبرون عن الله بالتنزل الإلهي ، وهو المعبر عنه – بلسان علماء الرسوم – بالمجتهد الذي يستنبط الحكم ، فإن كان في ذلك التنزل الإلهي حكم ، أخذه هذا المنزَّل عليه ، وحكم به

= **بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ﴾** . رواه البخاري في صحيحه والبيهقي في السنن وفي الأسماء والصفات وابن حبان في صحيحه .
ثانيا : عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ ، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ ، قَالَ : **﴿إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ ، يَقُولُ : مَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَأَكُونَ أَنَا سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَلِسَانَهُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ ، وَقَلْبَهُ الَّذِي يَعْقِلُ بِهِ ، فَإِذَا دَعَا أَجَبْتُهُ ، وَإِذَا سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ ، وَإِذَا اسْتَنْصَرَنِي نَصَرْتُهُ ، وَأَحَبُّ مَا تَعَبَّدَ لِي عَبْدِي بِهِ النُّصْحُ لِي﴾** . رواه الطبراني في الكبير والبيهقي في الزهد .

عندهم ، وهو العالم بقول الله : ﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ ﴾ {النساء : ٨٣} . فهذا حظ الناس اليوم من التشريع بعد رسول الله ﷺ ، ونحن نقول به ، ولكن لا نقول بأن الاجتهاد هو ما ذكره علماء الرسوم ، بل الاجتهاد عندنا بذل الوسع في تحصيل الاستعداد الباطن ، الذي به يقبل هذا التنزل الخاص ، الذي لا يقبله في زمان النبوة والرسالة إلا نبي أو رسول ، إلا أنه لا سبيل إلى مخالفة حكم ثابت قد تقرر من الرسول ﷺ في نفس الأمر ، فإن لم يكن ذلك في نفس الأمر ، فلا يُلقى إلى هذا المجتهد – الذي ذكرناه – إلا ما هو الحكم عليه في نفس الأمر ، حتى أنه لو كان الرسول ﷺ حياً لحكم به ، مع أنه قرر حكم المجتهد وإن أخطأ ، فما أخطأ المجتهد إلا في الاستعداد كما ذكرناه ، فلو أصاب في الاستعداد ، ما أخطأ مجتهد أبداً ، بل لا يكون مجتهداً في الحكم ، وإنما هو ناقل ما قَبِلَه من الحق ، النازل عليه في تجليه ، وهذا عزيز في الأمة ، ما يوجد إلا في أفراد ، وعلامتهم أنهم ما يختلفون في الحكم أصلاً ، لوحدانية الرسالة في هذا الزمان ، فإذا اختلفوا ؛ فما هم الذين ذكرناهم . فيكون صاحب الحق – إذا كانت الأحكام منحصرة القسمة – واحداً منهم ، فإن بقي قسم لم يقع به حكم ، ربما كان الحق فيه ، ومع هذا تعبد كل واحد بما أعطاه دليله ، فإن أصاب فله أجران ، وإن أخطأ فله أجر ، فوقع الاجتهاد .

وإذا تقرر أن التنزل الإلهي لم ينقطع ، وأنه على ضروب ، وكلها علم ، سواء كان تنزل حكم شرعي ، أو غير ذلك ، بحسب المواطن ، ألا ترى موطن الآخرة في الجنة ، التنزل فيه دائم ، ولكن ليس فيه حكم تحجير جملة واحدة ، بخلاف تنزله في الدنيا (١) ، فهذا أعني بحكم المواطن ، والكل تعريف إلهي .

ولما كان في الإنسان الكامل المثل والضد والخلاف ، كما هو في الأسماء الإلهية :

- المثل : كالرحمن الرحيم .
- والخلاف : كالرحمن الصبور .
- والضد : كالضار النافع .

١- بيان ذلك أن الإنسان :

- في الدنيا يقال له : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾ {الأنعام : ١٠٣} . وفي الآخرة يقال له : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ {القيامة : (٢٢ – ٢٣)} .
- في الدنيا يقال له : ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾ {الشورى : ٥١} . وفي الأخرة يقال له : ﴿مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ اللهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَان﴾ . رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والترمذي وابن ماجة وأحمد والبيهقي والطبراني وابن حبان والطيالسي عن عدي بن حاتم رضي الله عنه .

فقد قال النبي ﷺ - يرفع هممنا إلى الرتب العالية : ﴿ **لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا ؛ لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا ، إِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللهِ** ﴾ (١) . والله تعالى يقول : ﴿ **وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا** ﴾ {النساء : ١٢٥} .

وقال ﷺ لربه : ﴿ **اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ** ﴾ (٢) . فإذا علمت أن الله لا يستحيل عليه خلة عباده ، فاجهد أن تكون أنت ذلك الخليل ، بأن تنظر إلى ما يؤدي إلى تحصيل هذه الخلة الشريفة ، فإنك لا تجد لها سبباً إلا الموافقة ، ولا علم لنا بموافقتنا الحق إلا موافقتنا شرعه ، فما حَرَّم حرمناه ، وما أحل حللناه ، وما أباحه أبحناه ، وما كرهه كرهناه ، وما ندب إليه ندبنا إليه ، وما أوجبه أوجبناه ، فإذا كانت هذه صفتك ، وقمت فيها مقام حق ، صحت لك الخلة ، لا بل المحبة ، التي هي أعظم وأخص من الخلة ، لأن الخليل يصحبك لك ، والمحب يصحبك لنفسه .

١- رواه مسلم في صحيحه واللفظ له والترمذي وابن ماجة وأحمد والنسائي والطبراني وأبو يعلى وابن حبان والطيالسي عن ابن مسعود ﷺ . والترمذي وأحمد عن أبي المعلى ﷺ .

٢- رواه مسلم وأبو داود والترمذي وأحمد والبيهقي في السنن وعبد الرزاق والنسائي عن ابن عمر ﷺ . وأبو داود والترمذي والنسائي وأحمد عن أبي هريرة ﷺ . والترمذي وأحمد والبيهقي في السنن والنسائي عن عبد الله بن سرجس ﷺ . وأحمد وابن أبي شيبة عن ابن عباس ﷺ . والنسائي عن البراء ﷺ .

فشتان ما بين الخلة والمحبة ، وقد دللتك على تحصيل هذين المقامين ، فالخليل يعتضد بخليله ، والحبيب يبطن في مُحِبِّهِ ، فيقيه بنفسه ، فالحق مِجَنُّ المحبوب ، والخليل مِجَنُّ خليله .

اعلم أن الله شرَّف الإنسان على جميع من في السماء والأرض ، وإنه العين المقصودة للحق من الموجودات ، لأنه الذي اتخذه الله مجلى ، وأعني به الإنسان الكامل ، لأنه ما كمل إلا بصورة الحق ، كما أن المرآة – وإن كانت تامة الخلق – فلا تكمل إلا بتجلي صورة الناظر ، فتلك مرتبتها ، والمرتبة هي الغاية ، كما أن الألوهة تامة بالأسماء التي تطلبها من المألوهين ، فهي لا ينقصها شيء ، كمالها – أعني الرتبة التي تستحقها – الغنى عن العالمين ، فكان له الكمال المطلق بالغنى عن العالمين .

ولما شاء تعالى أن يعطي كماله حقه – ولم يزل كذلك – وخلق العالم للتسبيح بحمده سبحانه : ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ ﴾ {الإسراء : ٤٤} . ولا يكون المسبح في حالة الشهود ، لأنه فناء عن الشهود ، والعالم لا يفتر عن التسبيح طرفة عين ، لأن تسبيحه ذاتي ، كالنَّفَسِ للمُتَنَفِسِ ، فدل أن العالم لا يزال محجوباً ، وطلبهم بذلك التسبيح ؛ المشاهدة . فخلق سبحانه الإنسان الكامل على صورته ، وعرَّف الملائكة بمرتبته ، وأخبرهم بأنه الخليفة في العالم ، وأن مسكنه الأرض ، وجعلها له داراً ، لأنه منها خلقه ،

وشغل الملأ الأعلى به ، سماءً وأرضاً ، وقال : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ {الجاثية : ١٣} . أي من أجله ، واحتجب الحق ، إذ لا حكم للنائب بظهور من استخلفه ، فاحتجب عن البصائر ، كما احتجب عن الأبصار ، فقال رسول الله ﷺ ، يخاطب الناس الذين يُشْبِهُون الإنسان في الصورة الحسية ، وهم نازلون عن رتبة الكمال : ﴿ **إِنَّ اللهَ احْتَجَبَ عَنِ البَصَائِرِ كَمَا احْتَجَبَ عَنِ الأَبْصَارِ ، وَأَنَّ المَلأَ الأَعْلَى يَطْلُبُونَهُ كَمَا تَطْلُبُونَهُ أَنْتُمْ** ﴾ (١) .

فكما لا تدركه الأبصار ، كذلك لا تدركه البصائر ، ولا العقول . لا تدركه بأفكارها ، فتعجز عن الوصول إلى مطلوبها ، والظفر به .

١- لم أجده في كتب الحديث المعروفة وإنما قال ابن عربي في الفتوحات المكية أنه سمعه من شيوخه . وأورده الألوسي في تفسيره (روح المعاني) ولم يورد سنده . وهذا الحديث صحيح كشفا . ويؤيده من النقل ماورد في القرآن من قوله تعالى : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ {الأنعام : ١٠٣} . وروي أن رسول الله ﷺ قال لجبريل عليه السلام : ﴿ **هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ ؟ . فَانْتَفَضَ جِبْرِيلُ** عليه السلام **، وَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ سَبْعِينَ حِجَاباً مِنْ نُورٍ ، لَوْ دَنَوْتُ مِنْ بَعْضِهَا لاحْتَرَقْتُ** ﴾ . رواه الطبراني في الأوسط وأبو الشيخ في العظمة والدولابي في الكني وابن الأعرابي في معجمه عن أنس بن مالك رضي الله عنه . والدارمي في الرد على الجهمية وابن أبي شيبة في العرش وأبو الشيخ في العظمة والتبريزي في مشكاة المصابيح عن زرارة بن أوفى رضي الله عنه .

وعلَّم آدم الأسماء كلها ، وأَمر بتعليم الملأ الأعلى ، وأَمر من في السماوات والأرض بالنظر فيما يستحقه هذا النائب ، فسخر له جميع من في السماوات والأرض ، حتى المقول عليه الإنسان الحيواني – من حيث تماميته ، لا من حيث كماليته – فهذا النوع المشارك له في الاسم ؛ إذا لم يكمل ؛ فهو من جملة المسخرين لمن كمل . والحق في كماله بِالغِنى عن العالمين ، وهو وحده – أعني الإنسان الكامل – يعبد ربه الغني عنه ، فكماله أن لا يستغني عنه ، وما ثم من يعبده من غير تسبيح إلا الإنسان الكامل ، فإن التجلي له دائم ، فحكم الشهود له لازم ، فهو أكمل الموجودات معرفةً بالله (١) ، وأدومهم شهوداً . وله إلى الحق نظران ، ولهذا جعل له عينين : –

- فينظر بالعين الواحدة إليه – من كونه غنياً عن العالمين – فلا يراه في شيء ، ولا في نفسه .
- وينظر إليه بالعين الأخرى – من كونه اسمه الرحمن – فيجده يطلب العالم ، ويطلبه العالم . فيراه ساري الوجود في كل شيء ، فيفتقر – بهذه النظرة – من هذه العين – إلى كل شيء – من حيث ما هي الأشياء أسماء الحق – لا من حيث أعيانها .

١- لذا فقد قال رسول الله الإنسان الكامل ﷺ : ﴿إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللهِ أَنَا﴾ . رواه البخاري في صحيحه وأحمد وعبد بن حميد عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها . والحاكم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه .

فلا أفقر من الإنسان الكامل إلى العالم ، لأنه يشهده مسخراً له ، فعلم أنه لولا ما هو عليه من الحاجة إلى ما سُخِّروا فيه ، من أجله ، ما سُخِّروا ، فيعرف نفسه أنه أحوج إلى العالم من العالم إليه ، فقام له هذا الفقر العام ، مقام الغنى الإلهي العام ، فنزل في العالم ، في الفقر ، منزلة الحق من حيث الأسماء الإلهية ؛ التي تطلب التأثير في العالم .

فما ظهر في فقره إلا ظهور أسماء الحق ، فهو حق في غناه عن العالم ، لأن العالم مسخر في حقه بتأثير الأسماء الإلهية فيه ، أعني في العالم . فما يسخر له إلا من له التأثير ، لا من حيث عين العالم ، فلم يفتقر إلا لله ، وهو حق في فقره إلى العالم ، فإنه لما علم أن الله ما سخر العالم لهذا الإنسان ؛ إلا ليشتغل العالم بما كلفهم من التسخير ، عن طلب العلم به ، من حيث الشهود ، فإن ذلك ليس لهم ، لأنهم نازلون عن رتبة الكمال ، أظهر الإنسان الكامل الحاجة لما سخر فيه العالم ، فقوى التسخير في العالم ، لئلا يفرطوا فيما أمرهم الحق به من ذلك ، لأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ، فوافق الإنسان الكامل بإظهار هذا الفقر الحق ، في إشغال العالم ، فكان حقاً في فقره كالأسماء ، وحقاً في غناه ، لأنه لا يرى المسخر له إلا من له الأثر وهو للأسماء الإلهية ، لا لأعيان العالم ، فما افتقر إلا لله في أعيان العالم ، والعالم لا علم له بذلك .

قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿ **إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ : أَطَّتْ السَّمَاءُ ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابعَ ، إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ ، سَاجِدًا لله** ﴾ (١) . فأخبر في قوله ﷺ : (ساجدا لله) لينبه على نظر كل ملك في السماء إلى الأرض ، لأن السجود : التطأطؤ والانخفاض . وقد عرفوا أن الأرض موضع الخليفة ، وأُمروا بالسجود ، فطأطؤا عن أمر الله ، ناظرين إلى مكان هذا الخليفة ، حتى يكون السجود له ، لأن الله أمرهم بالسجود له ، ولم يزل حكم السجود فيهم لآدم عليه السلام ، وللكامل أبداً دائماً .

فإن قلت : فيزول في الدار الآخرة مثل هذا السجود ؟

قلنا : لا يزول .

لأن الصورة الظاهرة من **الإنسان الكامل** ، التي وقع السجود لها ، أنشأها الله من الطبيعة العنصرية ، ابتداءً وإعادةً . ففي الابتداء أنبتها من الأرض ، ثم أعادها إليها بالموت ، ثم أخرجها منها إخراجاً بالبعث ، ولها السفل في الرتبة ، تطلب بهذه الحقيقة الله ، الذي قال فيه النبي ﷺ : ﴿ **وَالَّذِي نَفْسُ**

١- رواه الترمذي وأحمد والبيهقي في السنن والشعب والحاكم وصححه ووكيع في الزهد والمروزي في تعظيم قدر الصلاة عن أبي ذر رضي الله عنه . وأبو نعيم في المعرفة والمروزي في تعظيم قدر الصلاة عن العلاء بن سعد رضي الله عنه . والبزار عن حكيم بن حزام رضي الله عنه . وعبد الرزاق عن داود بن أبي عاصم رضي الله عنه .

مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ؛ لَوْ أَنَّكُمْ دَلَّيْتُمْ رَجُلًا بِحَبْلٍ إِلَى الْأَرْضِ السُّفْلَى ، لَهَبَطَ عَلَى اللهِ ﴾(١) .

١- هذا جزء من الحديث المروي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : بَيْنَمَا نَبِيُّ الله ﷺ جَالِسٌ وَأَصْحَابُهُ ، إِذْ أَتَى عَلَيْهِمْ سَحَابٌ ، فَقَالَ نَبِيُّ الله ﷺ : ﴿ هَلْ تَدْرُونَ مَا هَذَا ﴾ ؟ . فَقَالُوا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ : ﴿ هَذَا الْعَنَانُ ، هَذِهِ رَوَايَا الْأَرْضِ ، يَسُوقُهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْكُرُونَهُ ، وَلَا يَدْعُونَهُ ﴾ . قَالَ : ﴿ هَلْ تَدْرُونَ مَا فَوْقَكُمْ ﴾ ؟ . قَالُوا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : ﴿ فَإِنَّهَا الرَّقِيعُ ، سَقْفٌ مَحْفُوظٌ ، وَمَوْجٌ مَكْفُوفٌ ﴾ . ثُمَّ قَالَ : ﴿ هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهَا ﴾ ؟ قَالُوا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : ﴿ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهَا مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ ﴾ . ثُمَّ قَالَ : ﴿ هَلْ تَدْرُونَ مَا فَوْقَ ذَلِكَ ﴾ ؟ . قَالُوا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : ﴿ فَإِنَّ فَوْقَ ذَلِكَ سَمَاءَيْنِ ، مَا بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ ﴾ ... حَتَّى عَدَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ، مَا بَيْنَ كُلِّ سَمَاءَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ . ثُمَّ قَالَ : ﴿ هَلْ تَدْرُونَ مَا فَوْقَ ذَلِكَ ﴾ ؟ . قَالُوا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : ﴿ فَإِنَّ فَوْقَ ذَلِكَ الْعَرْشَ ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّمَاءِ بُعْدُ مَا بَيْنَ السَّمَاءَيْنِ ﴾ . ثُمَّ قَالَ : ﴿ هَلْ تَدْرُونَ مَا الَّذِي تَحْتَكُمْ ﴾ ؟ . قَالُوا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : ﴿ فَإِنَّهَا الْأَرْضُ ﴾ . ثُمَّ قَالَ : ﴿ هَلْ تَدْرُونَ مَا الَّذِي تَحْتَ ذَلِكَ ﴾ ؟ . قَالُوا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : ﴿ فَإِنَّ تَحْتَهَا أَرْضًا أُخْرَى ، بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ ﴾ ... حَتَّى عَدَّ سَبْعَ أَرَضِينَ ، بَيْنَ كُلِّ أَرْضَيْنِ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ . ثُمَّ قَالَ : ﴿ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ أَنَّكُمْ دَلَّيْتُمْ رَجُلًا بِحَبْلٍ إِلَى الْأَرْضِ السُّفْلَى ؛ لَهَبَطَ عَلَى اللهِ ﴾ ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ {الحديد : ٣} . رواه الترمذي وأحمد والبيهقي في الأسماء والصفات وأبو الشيخ في العظمة والتبريزي في مشكاة المصابيح . وهذه الرواية علتها ما يظنه البعض من الانقطاع بين الحسن البصري وأبي هريرة ﷺ . ولكن قال الحافظ ابن حجر في تهذيب تهذيب : ((...ووقع في سنن النسائي من طريق أيوب عن الحسن عن أبي هريرة ﷺ في المختلعات قال الحسن لم أسمع من أبي هريرة ﷺ غير هذا الحديث أخرجه عن إسحاق بن راهويه عن المغيرة بن سلمة عن وهيب عن أيوب وهذا إسناد لا مطعن من أحد في رواته وهو يؤيد أنه سمع من أبي هريرة ﷺ في الجملة)) اهـ . وبلفظ : ﴿ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوْ دَلَّيْتُمْ أَحَدَكُم بِحَبْلٍ إِلَى الْأَرْضِ السُّفْلَى ، لَقَدِمَ عَلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴾ . رواه الطبراني في الأوسط وابن مردويه عن ابن عباس ﷺ .

وكذا ينبغي أن يكون الأمر في نفسه ، فلا بد من استصحاب سجودهم للإمام ، دنيا وآخرة . فحاز الإنسان الكامل صورة العالم ، وصورة الحق ، ففضل بالمجموع . فالساجد والمسجود له ، فيه ، ومنه ، ولو لم يكن الأمر هكذا ، لم يكن جامعاً ، فعند الملأ الأعلى ازدحام لرؤية الإنسان الكامل ، كما يزدحم الناس عند رؤية الملك إذا طلع عليهم ، فأطَّت السماء لازدحامهم .

واعلم أن الله تعالى لما أراد أن يُعرف ؛ فلا بد أن ينصب دليلاً على معرفته ، فخلق الإنسان الكامل على صورته ، ونصبه دليلاً على نفسه ، لمن أراد أن يعرفه بطريق المشاهدة ، لا بطريق الفكر ، الذي هو طريق الرؤية في آيات الآفاق ، وهو قوله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ ﴾ {فصلت : ٥٣} . ثم لم يكتف بالتعريف ، حتى أحال على الإنسان الكامل الذي نصبه دليلاً أقرب على العلم ، من طريق الكشف والشهود ، فأردف بقوله : ﴿وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ {فصلت : ٥٣} . فقال أهل الشهود : كفانا .

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ ﴾ {الفرقان : ٤٥} . فذكر الكيف . والظل لا يخرج إلا على صورة مَن مَدَّهُ منه . فخلقه رحمة ، فمد الظل رحمة واقية . فلا مخلوق أعظم رحمة من **الإنسان الكامل** ، ولا أحد من المخلوقين أشد بطشاً وانتقاماً من الإنسان الحيواني . **فالإنسان الكامل** – وإن بطش ، وكان ذا بطش شديد – فالإنسان الحيواني أشد بطشاً منه ، ولذلك قال أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه : بطشي أشد منه (١) . من حيث نفسه الحيوانية ، لأنه يبطش بما لم يخلق ، فلا رحمة له فيه . والحق يبطش بمن خلق ، فالرحمة مندرجة في بطشه حيث كان . فإن الحدود التي نصبها في الدنيا ؛ إنما هي للتطهير ، وكذلك الآلام والأمراض ، وكل ما يؤدي إلى ذلك ، كل ذلك للتطهير ، ورفع الدرجات ، وتكفير السيئات .

فلو لم ينصب سبحانه وتعالى **الإنسان الكامل** ؛ لتتحقق المعرفة بالله – من حيث ما هو إله – في الوجود الحادث ، معرفة كمال – وهي المعرفة التي طُلبت منا – لظهر بنفسه وذاته إلى خلقه ، حتى يعرفه على المشاهدة والكشف ، فلا يُنكر . والله تعالى يستحي من خلقه أن يُرى بغير حجاب

١– قالها أبو يزيد رضي الله عنه عندما سمع قوله تعالى : ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ {البروج : ١٢} .

وحجابه هو الإنسان الكامل . وما أنكره من أنكره في الآخرة (١) ، أو حيث وقع الإنكار ، إلا لما تقدمهم النظر العقلي ، وقيدوا الحق ، فلما لم يروا ما قيدوه به من الصفات ؛ عند ذلك أنكروه . ألا تراهم – إذا تجلى لهم بالعلامة التي قيدوه بها – عند ذلك يُقِرُّون له بالربوبية ، فلو تجلى لهم ابتداء – قبل هذا التقييد – لما أنكره أحد من خلقه ، فإنه بتجليه ابتداءً يكون دليلاً على نفسه ، فلهذا قلنا أن **الإنسان الكامل** نائب عن الحق في الظهور للخلق ، لحصول المعرفة به على الكمال ، الذي تطلبه الصورة الإلهية .

١- الإنكار في الآخرة ورد في الحديث المروي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ أُنَاسٌ : يَا رَسُولَ الله هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَقَالَ ﷺ : ﴿ **هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ ، لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ** ﴾ ؟ . قَالُوا : لَا يَا رَسُولَ الله . قَالَ : ﴿ **هَلْ تُضَارُّونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ** ﴾ ؟ . قَالُوا : لَا يَا رَسُولَ الله . قَالَ : ﴿ **فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . كَذَلِكَ يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ ، فَيَقُولُ : مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ ، فَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ . وَتَبْقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا ، فَيَأْتِيهِمْ اللهُ فِي غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ . فَيَقُولُونَ : نَعُوذُ بالله مِنْكَ ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا ، فَإِذَا أَتَانَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ فَيَأْتِيهِمْ اللهُ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ . فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا ، فَيَتْبَعُونَهُ** ﴾ . هذا الحديث خرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما وأحمد وعبد الرزاق وأبو عوانة وابن حبان والطبراني في مسند الشاميين والبيهقي في الأسماء والصفات وابن منده في الإيمان وابن خزيمة في التوحيد والدارقطني في الرؤية وابن أبي عاصم في السنة .

اعلم أن الإنسان الكامل – من حيث أنه ليس أحد معه في درجته ، لأنه ما حاز الصورة الإلهية غيره – فدرجته رفيعة عن النيل ، فلا يعرفه إلا الله .

ولا يعلم اللهَ إلا الإنسان الكامل ، فهو مجلاه .

ولما ارتفعت درجته بالإحاطة ، وحصول الكل ، لم يتمكن للجزء أن يعرفه ، إذ لا معرفة للجزء بالكل ، لأن الشيء لا يعرف إلا نفسه ، ولا يعرف شيئاً إلا من نفسه ، وما للجزء صفة الكل ، فاستحال أن يعرف أحد الإنسان الكامل ، لأنه ليست له درجة ، فالكل يعرف الكل مثله ، ويعرف ما يحوي كليته عليه من الأجزاء ، لأنها كالأعضاء والقوى لصورته ، والشيء لا يجهل نفسه ، فظهر كل الإنسان في درجة لا يبلغ إليها ، فناب بما ذكرناه – مما ظهر فيه – مناب رفيع الدرجات ذو العرش .

لما كان الخلق على مراتب كثيرة ، وكان أكمل مرتبة فيه الإنسان ، كان كل صنف من العالم جزأ بالنظر إلى كمال الإنسان ، حتى الإنسان الحيوان جزء من الإنسان الكامل . فكل معرفة لجزء من العالم ، بالله ، معرفة جزئية ، إلا الإنسان الكامل ، فإن معرفته بالله ؛ هي معرفة العالم كله بالله ، فعلمه بالله علمٌ كليٌّ ، لا علم كل ، إذ لو كان علماً كلاً ؛ لم يُؤمر أن يقول : ﴿رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمًا﴾ {طه : ١١٤} . أترى ذلك علماً بغير الله ؟ . لا والله ، بل بالله .

لما كان العالم على صورة الحق ، وكان الإنسان الكامل على صورة العالم ، وصورة الحق . وهو قوله ﷺ : ﴿ خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ ﴾ (١) ، وقوله ﷺ : ﴿ لا تُقَبِّحُوا الْوَجْهَ ، فَإِنَّ ابْنَ آدَمَ خُلِقَ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ تَعَالَى ﴾ (٢) .

فالإنسان الكامل في الحق معقول فيه ، كالظل إذا خفي في الشمس ، فلا يظهر . فلم يزل الإنسان أزلاً وأبداً ، ولهذا كان مشهوداً للحق من كونه ، موصوفاً بأن له بصراً ، فلما مد الظل منه ، ظهر بصورته : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ﴾ {الفرقان : ٤٥} . ساكنا : أي ثابتاً فيمن هو ظله ، فلا يمده ، فلا يظهر له عين في الوجود الحسي إلا لله وحده ، فلم يزل مع الله ، ولا يزال معه الله ، فهو باق ببقاء الله ،

١- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وأحمد في مسنده وعبد بن حميد والدارقطني في الصفات والطبراني وابن عساكر عن أبي هريرة ﷺ . وعبد بن حميد عن أبي سعيد ﷺ . والدارقطني في الصفات والخطيب عن ابن عمر ﷺ . وعبد بن حميد عن قتادة ﷺ مرسلا . ورفعه أحمد عن قتادة ﷺ عن أبي أيوب ﷺ .

٢- رواه الطبراني (ووثق رجاله الهيثمي) والبيهقي في الأسماء والصفات وابن عساكر وابن بطة العكبري في الإبانة والدارقطني وابن خزيمة في التوحيد وابن أبي عاصم في السنة والآجري في الشريعة والحارث في مسنده وابن عساكر عن ابن عمر ﷺ . وبلفظ : ﴿ إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ ، فَإِنَّمَا صُورَةُ الإِنْسَانِ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ ﴾ رواه ابن بطة العكبري في الإبانة والدارقطني وابن أبي عاصم عن أبي هريرة ﷺ . وأورده ابن حجر في الفتح مستعرضا طرقه .

وما عدا الإنسان الكامل ؛ فهو باق بإبقاء الله .

اعلم أن الله لما جعل منزل سيدنا محمد ﷺ السيادة ، فكان سيداً ، ومَن سواه سُوقَة ، علمنا أنه لا يُقاوم ، فإن السوقة لا تقاوم ملوكها ، فله منزل خاص ، ولما أُعطي هذه المنزلة ، وآدم بين الماء والطين ، علمنا أنه الممد لكل إنسان ، منعوت بناموس إلهي أو حكمي . وأول ما ظهر من ذلك في آدم عليه السلام ، حيث جعله الله خليفة عن سيدنا محمد ﷺ ، فأمده بالأسماء كلها ، من مقام جوامع الكلم التي لسيدنا محمد ﷺ ، فظهر بعلم الأسماء كلها ، على من اعترض على الله في وجود ذلك الإنسان ، ورجح نفسه عليه ، ثم توالت الخلائف في الأرض ، إلى أن وصل زمان وجود صورة جسمه ﷺ ، لإظهار حكم منزلته ، باجتماع نشأتيه ، فلما برز ، كان كالشمس ، اندرج في نوره كل نور ، فأقر من شرائعه – التي وجه بها نوابه – ما أقر ، ونسخ منها ما نسخ ، وظهرت عنايته بأمته ، لحضوره وظهوره فيها ، وإن كان العالم الإنساني والناري كله أمته ، ولكن لهؤلاء خصوص وصف ، فقيل فيهم : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ {آل عمران : ١١٠} .

هذا الفضل أعطاه ظهوره بنشأتيه ، فكان من فضل هذه الأمة على الأمم ؛ أن أنزلها منزلة خلفائه في العالم ، قبل ظهوره ، إذ كان أعطاهم التشريع ، فأعطى هذه الأمة الاجتهاد في نصب الأحكام ، وأمرهم أن يحكموا بما

هداهم إليه اجتهادهم ، فأعطاهم التشريع ، فلحقوا بمقامات الأنبياء عليهم السلام في ذلك ، وجعلهم ورثة لهم ، لتقدمهم عليهم ، فإن المتأخر يرث المتقدم بالضرورة ، فيدعون إلى الله على بصيرة – كما دعا الرسل السابقين على سيدنا محمد ﷺ – فأخبر بعصمتهم فيما يدعون إليه .

فمنهم المخطئ حكم غيره من المجتهدين ، ما هو مخطئ عن الحق ، فإن الذي جاء به حق ، فإن أخطأ حكماً قد تقدم الحكم به لسيدنا محمد ﷺ ، وما وصل إليه ، فذلك الذي جعل له أجراً واحداً ، وهو أجر الاجتهاد ، وإن أصاب الحكم المتقدم ، باجتهاده ، فله أجر الاجتهاد ، وأجر الإصابة ، وإن كان المصيب مجهول العين في المجتهدين عند نفسه ، وعند غيره ؛ فليس بمجهول عند الله .

وكل من دخل في زمان هذه الأمة ، بعد ظهور سيدنا محمد ﷺ من الأنبياء والخلفاء الأول ، كنزول سيدنا عيسى عليه السلام في آخر الزمان ، فإنهم لا يحكمون العالم إلا بما شرع سيدنا محمد ﷺ في هذه الأمة ، وتميز في المجتهدين ، وصار في حزبهم ، مع إبقاء منزلة الخلافة الأولى عليه ، فله حكمان ، يظهر بذلك في القيامة ، ما له ظهور بذلك هنا .

ومنزل سيدنا محمد ﷺ يوم الزور الأعظم على يمين الرحمن ، من حيث الصورة التي يتجلى فيها على عرشه ، ومنزله يوم القيامة ليس على يمين الرحمن ، لكن بين يدي الحكم العدل ، لتنفيذ الأوامر الإلهية ، والأحكام في

العالم ، فالكل عنه يأخذ في ذلك الموطن ، وهو وجه كله ، يرى من جميع جهاته ، وله من كل جانب إعلام عن الله تعالى ، يُفهم عنه ، يرونه لساناً ، ويسمعونه صوتاً وحرفاً ، ومنزلته في الجنان الوسيلة ، التي تتفرع جميع الجنات منها ، وهي أعلى جنة عدن ، دار المقامة ، ولها شعبة في كل جنة من تلك الجنات ، من تلك الشعبة يظهر ﷺ لأهل تلك الجنة ، وهي في كل جنة أعظم منزلة فيها ، وهي منازل كلها ، حسية لا معنوية ، وليست المعنوية إلا منزلته في نفس موجده ، وهو الله تعالى ، وما هذا خاص به ، بل كل منزلة لا تكون إلا في نفس الله ، الذي هو الرحمن ، والمنازل محسوسة ، محصورة ، التي هي جمع منزل ، لا جمع منزلة ، فاعلم ذلك ، فإنه من لباب المعرفة بالله ، تعالى وتقدس في ذاته .

وأما منزلته في العلوم ؛ فالإحاطة بعلم كل عالم بالله ، من العلماء به تعالى ، متقدميهم ومتأخريهم ، وكل منزل له ولأتباعه ؛ مطيب بالطيب الإلهي ، الذي لم يدخل فيه ، ولا استعملت أيدي الأكوان فيه .

- قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ ﴾ {الأنفال : ٢٤} .

اعلم – أيدنا الله وإياك بروح القدس – إنه ما في القرآن دليل أدل على أن **الإنسان الكامل** مخلوق على الصورة ، من هذا الذكر ، لدخول اللام في قوله (وللرسول) وفي أمره تعالى – لمن آمن به من المؤمنين – بالإجابة لدعوة الله تعالى ، ولدعوة الرسول . فإن الله ورسوله ما يدعونا إلا لما يحيينا به ، فلتكن منا الإجابة على كل حال ، إذا دعانا . فإنه ما نكون في حال إلا منه ، فلا بدّ أن نجيبه إذا دعانا ، فإنه الذي يقيمنا في أحوالنا ، وإنما فصل هنا بين دعوة الله ، ودعوة الرسول ، لنتحقق من ذلك صورة الحق التي رسول الله ﷺ عليها ، وهو الداعي في الحالتين إيانا .

- فإذا دعانا بالقرآن ، كان مبلغاً وترجماناً ، وكان الدعاء دعاء الله ، فلتكن إجابتنا لله ، والإسماع للرسول .
- وإذا دعانا بغير القرآن ، كان الدعاء دعاء الرسول ﷺ ، فلتكن إجابتنا للرسول ﷺ .
- ولا فرق بين الدعاءين في إجابتنا ، وإن تميز كل دعاء عن الآخر بتميز الداعي .

وجرت سنة الله ؛ إنه لا يخلو زمان من **الإنسان الكامل** ، أي لا يخلو عن خليفة عن الله ، أي لا يخلو عن ظهوره بالصورة الإلهية ، يعرفها جميع خلق الله ، من

حجر وشجر ، وماء وهواء ، وسموات وأرضين . إلا الإنس والجن (١) ، فهذه الصورة معروفة عند الخواص منهم فقط ، وهم الذين يوفونها حقها من التعظيم والإجلال ، ولولا وجود هذه الصورة لفنيت الدورة الخلقية الكبرى ، وذاب ثلج الخلق قطرة في مياه بحر الأحدية : ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ {النَّجم : ٤٢} .

ولله در من قال :

سكن الفؤاد فعش هنيئا يا جسد — هذا النعيم هو المقيم إلى الأبد
روح الوجود حياة من هو واحد — لولاه ما تم الوجود لمن وجد
عيسى وآدم والصدور جميعهم — هم أعين هو نورها لما ورد
لو أبصر الشيطان طلعة نوره — في وجه آدم كان أول من سجد
أو لو رأى النمروذ نور جماله — عبد الجليل مع الخليل وما عند
لكن جمال الله جل فلا يرى — إلا بتوفيق من الله الصمد

١- هذا الإنسان الكامل يكون أكمل الورثة المحمديين ، حتى أنه يرث معنى قوله ﷺ : ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا يَعْلَمُ أَنِّي رَسُولُ الله ، إِلَّا عَاصِيَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ﴾ . بهذا اللفظ رواه أحمد (وقال الهيثمي رواته ثقات) والدارمي وعبد بن حميد وابن حبان في الثقات والقاضي عياض في الشفا عن جابر بن عبد الله ﷺ . ورواه الطبراني في معجمه الكبير وفي المطولات والبيهقي في الدلائل عن يعلى بن مرة ﷺ .

وخلاصة القول أن :

- **الإنسان الكامل** : هو حقيقة الحقائق التي هي للحق من وجه ، ومن وجه هي للخلائق .
- **الإنسان الكامل** : هو أول التعينات المفاضة من العماء الرباني .
- **الإنسان الكامل** : هو آخر التنزلات المضافة إلى النوع الإنساني .
- **الإنسان الكامل** : هو المهاجر من مكة كان الله ولا شيء معه ، إلى مدينة وهو الآن على ما عليه كان .
- **الإنسان الكامل** : هو خليفة الله .
- **الإنسان الكامل** : هو ظل الله .
- **الإنسان الكامل** : هو النائب عن الحق .
- **الإنسان الكامل** : هو البرزخ بين الحق والخلق .
- **الإنسان الكامل** : هو النسخة الكاملة الجامعة .

- الإنسان الكامل : هو الحامل جميع الأسماء الإلهية والكونية .
- الإنسان الكامل : هو النور الذاتي والسر الساري في سائر الأسماء والصفات .
- الإنسان الكامل : هو روح العالم .
- الإنسان الكامل : هو أصل العالم .
- الإنسان الكامل : هو الإمام المبين .
- الإنسان الكامل : هو الممد الأول .
- الإنسان الكامل : هو مرآة الحق والحقيقة .
- الإنسان الكامل : هو الواحد الكثير .
- الإنسان الكامل : هو كل شيء .
- الإنسان الكامل : هو سيدنا محمد ﷺ .

فهرس المحتوى

فهرس المحتوى

الموضـــوع الصفحة

آية... ٣
صلة الرحم.. ٥
أهل البيت.. ١٢
أهل العباءة.. ٢٨
المباهلة.. ٢٩
بعض مناقب الإمام علي كرم الله وجهه................................... ٣٣
بعض مناقب السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها.......................... ٤٤
بعض مناقب الحسن والحسين عليهما السلام............................. ٥١
الشيعة والخوارج والسنة.. ٥٦
آل سيدنا محمد ﷺ.. ٥٨
الإمام المهدي ﷺ.. ٦٣
السيد أبو طالب عم النبي ﷺ.. ٦٩
أبوي الرسول ﷺ.. ٨٣
سيدنا إبراهيم عليه السلام ابن رسول الله ﷺ.............................. ١١٦
الإسراء والمعراج.. ١٢٩
ذكر الإسراء والمعراج في القرآن.. ١٣٠
ذكر الإسراء والمعراج في السنة.. ١٣١
هل رأى سيدنا محمد ﷺ ربه ؟... ١٦١
قصة الإسراء والمعراج.. ١٨٨
رآه ببصره أم بفؤاده ؟.. ٢٠٢
عرج به جسدا وروحا أم روحا فقط ؟................................... ٢٠٤

الموضـــوع	الصفحة

عرج به يقظة أم مناما ؟.. ٢٠٦
حقيقة الرؤية والمكالمة والإدراك.. ٢٠٩
تنبيه.. ٢٢٧
منزلة قاب قوسين الثاني.. ٢٤٧
تنبيه.. ٢٥٤
ولسوف يعطيك ربك فترضى.. ٢٥٥
١- أعطاه تعالى أنه ﷺ ليس كمثله شيء.................................. ٢٥٧
٢- وأعطاه تعالى سر كلمة (كن) ٢٦١
٣- وأعطاه تعالى الجمال الظاهر والباطن وعشق الكون لهذا الجمال....... ٢٦٦
٤- وأعطاه تعالى مفتاح محبته.. ٢٧٧
٥- وأعطاه تعالى مفتاح مغفرته.. ٢٨٧
٦- وأعطاه تعالى مفتاح رضاه.. ٢٩٣
٧- وأعطاه تعالى رحمته.. ٢٩٥
٨- وأعطاه تعالى عموم رسالته.. ٣٠٣
٩- وأعطاه تعالى الوسيلة والمقام المحمود................................ ٣٠٧
١٠- وأعطاه تعالى الشفاعة.. ٣١٧
حقيقة الإيمان والكفر والطاعة والمعصية والنعيم والعذاب......... ٣٣٢
اللهم الرفيق الأعلى.. ٣٤٦
خاتم النبيين وخاتم الأولياء.. ٣٥٦
ختم يختم به الله الولاية على الإطلاق.................................. ٣٦٢
وختم يختم به الله الولاية المحمدية...................................... ٣٦٨
القطب المكتوم... ٣٧٤
الإنسان الكامل.. ٣٧٨
فهرس المحتوى... ٤١١

﴿ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

{يونس : ١٠}

تم بحمد الله وتوفيقه

كتاب

أنا محمد وأنا أحمد

الزاوية التجانية المباركة

إمبابة - القاهرة

٠٢٣٣١٥٤٢٥٥

www.sheikhsalah.com